العدد ٣٤٢ السنة الثلاثون مايو ١٩٨٧



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 342 May 1987 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

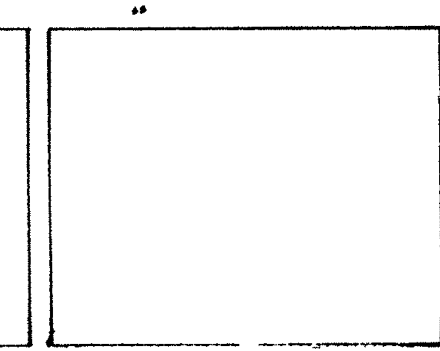
ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

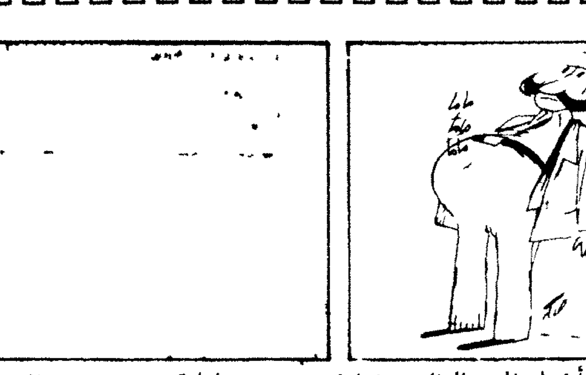
ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

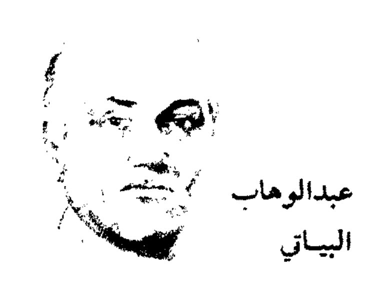


محتويات العدد





استطلاعات ومقابلات



عبدالوهاب البياتي



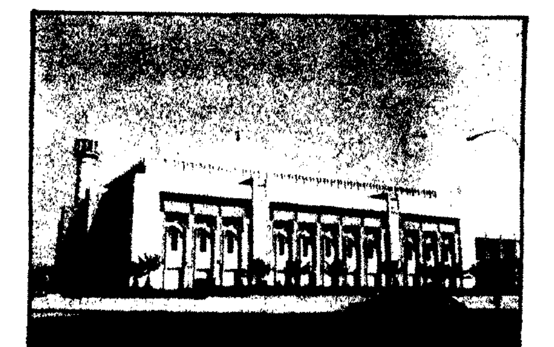
د . جليل العطية

صورة الغلاف



● في بلاد الشاشان بالاتحاد السوفيتي قرآن ومسجد وشيخ .. وحياة جديدة بعد المنفى .

(اقرأ ص ١٣٢)



مآذن لها تاريخ ص٦٨



رمضان في ربوع القدس ص٩٦

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

أبواب ثابتة :

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



عزيزي القارئ

احدى فوائد شهر رمضان الكريم علينا نحن المسلمين أنه تجديد سنوي للجسم والنفس ، وعودة سنوية أيضا للتفكير في الانسان كمخلوق خلق كي يعمر الأرض ، ويسعد نفسه ، ومجتمعه ، وفي هذا العدد من « العربي » حشدنا مجموعة من المقالات ذات الصلة الوثيقة بهذا الفرض العظيم الذي يحث على الزهد والتنسك من جهة ، والذي يحقق المساواة بين المسلمين من جهة أخرى .

كتب لنا الدكتور محمد فتحي الدريني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق عن الصوم وحكمة تدبير الحياة ، وطاف بنا الدكتور صبحي غوشة في رحاب القدس واحتفالات مواطنيها بمقدم الشهر الكريم ، ومن منظور أوسع شارك الدكتور كمال أبو المجد بمقال حول العمل الاسلامي وترتيب الأولويات ، وناقش الدكتور عبدالعزيز كامل موضوع الساعة الذي اختلف واتفق حوله كثيرون وهو الصحوة الاسلامية بين الجسور والعقبات » .

ونظرا لما للمسجد من مركز ديني إسلامي كبير ، من حيث هو مدرسة ومكان للاجتماع والعبادة ، قدمنا لك استطلاعا تاريخيا ملونا عن المآذن والمنارات في البلدان الاسلامية ، يتعرض لأصولها ، وكيف تطورت فنيا ومعماريا .

ومن جهة أخرى نقدم لك في هذا العدد رحلة إلى بلاد الشاشان والأنغوش ، فما هي تلك البلاد ، وما قصة شعبها ؟

كما ننقلك إلى « سبتة ومليلية » المدينتين العربيتين المغربيتين اللتين تجاهدان لنيل استقلالها عن الاستعمار الاسباني والعودة إلى الوطن الأم .

ومن الموضوعات الأخرى ما كتبه لنا الدكتور شاكر مصطفى حول ردم الهوة والخيار الصعب !

ونكمل ذلك بكثير من الموضوعات الطبية والثقافية ، والأبواب الثابتة .

إنها مائدة حافلة ، وغنية بالألوان الثقافية والعلمية ، تماما كمائدة الافطار الرمضانية المتنوعة والمفيدة .

« وكل عام وأنتم بخير »

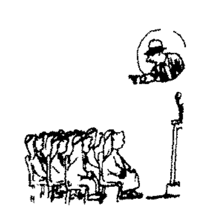
المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

التفكير.. في غير المألوف !

■ يعتاد الناس والمجتمعات في معظم الأوقات نمطاً من التفكير ، وطرق العمل ، ونظاماً من المعاملات ، ثم تصبح تلك الأنماط عادة ، بغيرها لا تستقيم الحياة لديهم ، أما التفكير بشيء يخالفها أو ينقضها فذلك جريمة لا غفران لها .



واذا كانت تلك العادات وطرق التفكير سليمة ، بمعنى أنها تخضع للمحاكمة العقلية بين فترة وأخرى ، فيقبلها العقل ، وتستقيم مع المنطق السليم ، فلا غبار على ذلك ، إلا أن المشكلة هي عندما تصبح تلك الطرق من التفكير وأنماط العمل وأشكال المعاملات كأنها شيء مقدس يجب أن لا يمس ولا يقترب منه ولا ينقد ، وقتها تصبح الأفراد والمجتمعات التي تكبلها تلك الطرق من التفكير أسرى العادة عاجزة عن مسايرة العصر ، بل ضعيفة الى درجة عدم القدرة على مقاومة أي مرض خارجي سياسياً كان أو اجتماعياً .

■ ولقد فكرت ملياً في هذه الاشكالية ، بعد أن جمعتني الصدف مع أحد الأساتذة الخريجين حديثاً من إحدى الجامعات الغربية ، وذلك عندما اشتركنا معاً في محاضرة لنخبة من الدارسين ، حول السلوك الإداري والمجتمع ، فوجدت الزميل الكريم ـ ربما على غير قصد منه ـ يطيل في شرح ما اعتقد أنه سلوك اجتماعي غير سوي ، مؤثر على الإدارة ، لكن أمثلته جلها ـ ان لم تكن كلها ـ مأخوذة من ذاك النظام السياسي الاجتماعي الذي تعلم في ظله ، وعرف الأمثلة من خلاله ، وهو مجتمع غربي .

وقد بدا لي أن الدارسين لم يستطيعوا المتابعة ، أو الربط بين واقع عملهم ووجهة نظر ذلك الزميل ، في كيفية حل المشكلات التي تصادفهم .

منذ تلك الحادثة وأنا أراقب مراقبة مقصودة ـ كما يقول أهل الذكر ـ هذه الظاهرة ، وهي تتلخص في عدة أسئلة أضعها أمام القاريء حتى يصير هضمها ، والوصول إلى ما أبتغيه منها ، سهلاً ميسوراً وواضحاً . من بين تلك الأسئلة المتعددة : « هل يقدم علماؤ نا العرب حلولاً لمشكلاتنا ؟ » ، وأنا أعني هنا مشكلاتنا الواقعية ، لا ما يتخيلونه من مشكلات ، نتيجة تعليمهم الغربي ، أو ما قرءوه من تلك المشكلات على أيدي أساتذتهم أو في كتب موضوعة . وبمعنى آخر هل يحصل طلابنا على معلومات ومهارات معرفية نابعة من تحليل لمشكلاتنا التنموية الشاملة أم أن أكثر ما يحصلون عليه من « علم ومعرفة » هو من خبرة المجتمعات الأخرى ، والقليل القليل من خبرة مجتمعاتهم التي يعيشون فيها ويتمنون النهوض بها ؟

وإذا أردنا أن نبسط الأمر أكثر قلنا : هل يقدم مهندسونا ـ مثلاً ـ حلولاً لمشكلات السكن والطاقة والطرق والتصنيع ، بحيث تكون لهذه الحلول علاقة بما نواجهه من مشكلات ؟ .

وبنفس المنطق نقول : هل يقدم اقتصاديونا حلولاً لما نواجهه من مشكلات اقتصادية في نقص الماء ، وضعف الزراعة ، وتدني التصنيع ، وتبعية التجارة . . ؟ وهل يقدم اجتماعيونا ـ بالمثل ـ حلولاً لمشكلاتنا الاجتماعية الخاصة بالمرأة ، والشباب ، والطائفية ، والعرقية ، ومشكلات فقراء المدن والريف ؟ وبنفس السياق أيضاً نتساءل : هل يقدم علماء السياسة والإدارة عندنا حلولاً لمشكلات الحكم والادارة التي تواجهنا نحن ، لا التي ننقلها من الآخرين ؟

معادلة جديدة تبرز في العالم بين المعرفة والثروة!

في مجموع تلك الأسئلة وأمثالها يكمن ـ في رأيي ـ أسلوب طرح المشكلة التي أود عرضها ، وهي : هل نقدم لطلابنا على امتداد الوطن العربي في الجامعات والمدارس معلومات لها علاقة بواقع مشكلاتنا البيئية ، سواء أكانت اجتماعية أم مادية ؟

أميل الى الاعتقاد بأننا ـ في الأغلب الأعم ـ لا نفعل ذلك ، والأسباب كثيرة ، يعرفها كل من اشتغل بالتعليم من قريب أو بعيد ، أو على الأقل يعرفها أغلبهم ، وخاصة من حاول منهم الوصول إلى فهم العملية التعليمية في بلداننا ، من منطلق ابتكاري ، لا من منطلق نقلي .

ثمار النقل .. جهل بواقع الحياة

■ إذا استنجدنا بالشواهد فهي ـ أيضاً ـ كثيرة ، فالطبيب الذي يتخرج في إحدى كليات الطب في جامعاتنا ربما يعرف عن أمراض متفشية في المجتمعات الغربية أكثر مما يعرف عن أمراض التراخوما ونقص الغذاء والبلهارسيا والملاريا وغيرها وهي من الأمراض التي تنتشر بكثرة في بيئتنا .

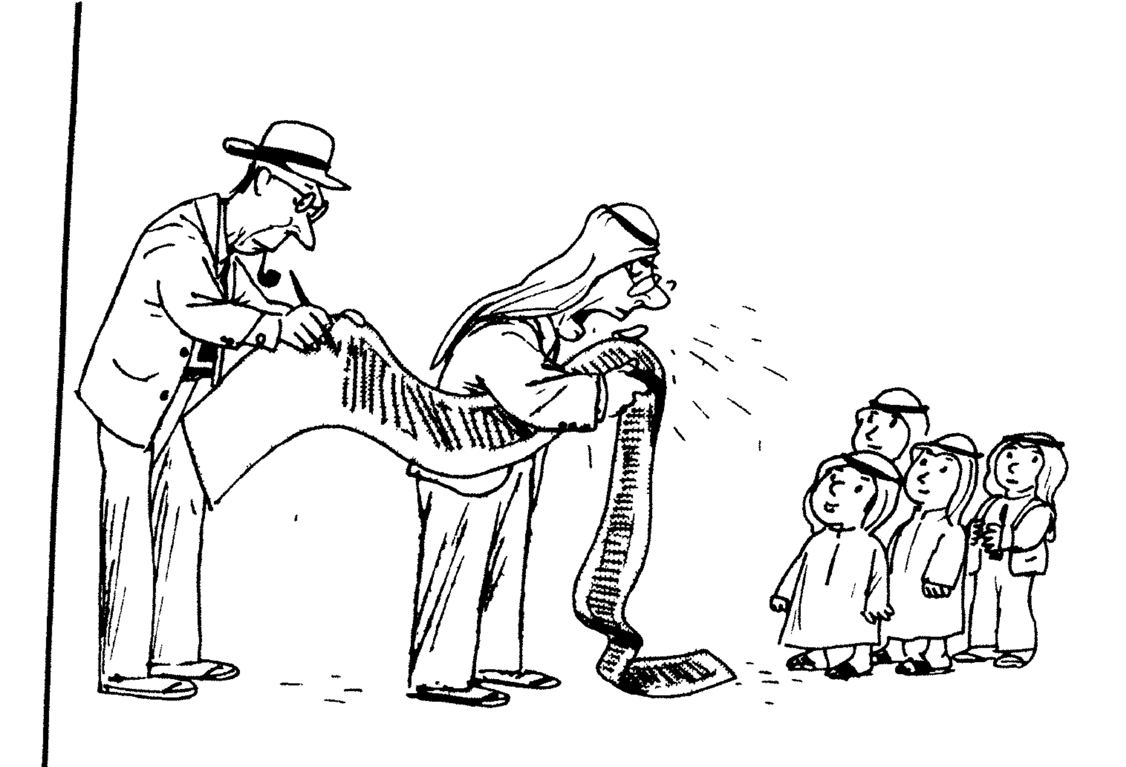
وأزعم أن مهندسينا المعماريين يعرفون كيف يواجهون متطلبات السكن والمواصلات في البيئات الباردة أكثر من مواجهة مشكلات البيئات الحارة ، وعلماء السياسة عندنا لا يخرجون عن هذا المنوال ، فهم يتحدثون عن « الديمقراطية الانجلوسكسونية » وحقوق الرئيس في النظام الأمريكي ، وربما عن أشكال حكم الحزب الواحد ، لكن عطاءهم الابتكاري في هذا المنحى الهام من شئون الحياة العامة لدينا قليل ، بل نادر .

ويتبع هذا الطريق علماء الإدارة والاجتماع ، ولا يكاد المرء يستثني أي قطاع علمي في العلوم البحتة والتطبيقية* أو العلوم الاجتماعية الا النزر اليسير الذي يمكن أن يشار إليه بأنه مساهمة حقيقية وواقعية لمواجهة المشكلات التي نشكو منها ، أو نريد تخطيها .

يعرف كل من درس القانون في بلادنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ أن معظم الأمثلة التي يلتقطها ـ وهو طالب ـ في كتب القانون أمثلة تبدأ بالقول (ففي حكم محكمة الاستئناف في ليون في فرنسا في عام كذا في دعوى تتلخص وقائعها .. الخ) وان لم تكن ليون فهي لندن أو باريس .

---

* هذا التعميم بحد ذاته جزء من البنية الثقافية والعلمية للمجتمعات المتقدمة وهو كمن يحاول الفصل بين الثمار والجذور في الشجرة الواحدة .



وفي كليات الزراعة عندنا قد تأخذ دراسات نباتات الزينة وترتيب الحدائق أولوية على الاهتمام بالغذاء وتنمية الثروة الحيوانية .

هذا التوجه يحمل أكثر من معنى ، فهو يعني أننا حتى الآن لم نراكم من المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ما يكفي كي يصبح ذخيرة للتحليل ، واستخراج مفاهيم عامة منه ، ترقى الى فرضيات معقولة ، يمكن الاستعانة بها ، وتدريسها لطلابنا ، لربط النظرية بالواقع ، كما أن هذا التوجه يعني ـ أيضاً ـ أننا خلطنا خلطاً عجيباً بين المنهج العلمي الذي يكون صالحاً في معظم الأوقات والأماكن إذا استخدم استخداماً صحيحاً ، وبين المحتوى الذي يختلف ـ ويجب أن يختلف ـ بين شعب وآخر وثقافة وأخرى ، بل بين إقليم وآخر حتى في نفس البلد إن كان امتداده شاسعاً .

معاهدنا التقنية تخرج فنيين يحمون سياراتهم الأجنبية بتعويذة!

هذا الخلط بين المنهج والمحتوى نشأ عنه أن كليات العلوم والزراعة والطب والادارة . . . الخ يعتمد معظم التدريس فيها على الرواية بدلاً من الدراية ، فينقل فلان عن فلان ويتم الاستشهاد بالمرجع العلمي كما يتم الاستشهاد ببيت شعري ، أو مثل شعبي لحسم النقاش سواءً بسواءً ! وتخرج معاهدنا التقنية فنيين يحمون سياراتهم الأجنبية الجديدة بتعويذة !

هـل هي تبعيـة ؟

■ إن ما يقلقني هو أن ما نشاهده يبدو وكأنه شيء من التبعية العمياء ، فعندما تحدث في بلادنا انتخابات عامة ، نجد أكثر من صاحب رأي يكتب في الصحف مطالباً بأعلى صوته أنه يجب أن يكون لدينا مؤسسات لقياس الرأي ! ويشير الكاتب الى (جالوب) كمثال يمكن أن يحتذى ، وينسى البيئة الاجتماعية التي يتحدث عنها ، وينسى كيف يتعامل الناس في بلاده مع الأسئلة الخاصة ، لا سيما إن جاءت من غرباء ، وينسى ـ أيضاً ـ أشياء أخرى كثيرة . وحتى في بلاد الغرب نجد أن هذا النوع من (قياس الرأي) ـ وأنا أسوق ذلك على سبيل المثال لا الحصر ـ غير دقيق ، وأذكر أنه قد نشرت مرة بهذا الخصوص مفارقة لا تخفى على اللبيب ، في كتاب كان عنوانه (ترتيب الفئات الاجتماعية في بريطانيا) فقد سئلت زوجات العمال ، نعم العمال : « في أي فئة تضعين نفسك في المجتمع ؟ » فأجاب ستون بالمائة منهن بأنهن من «الطبقة المتوسطة » ! هذا ما حدث في بريطانيا ، فما بالك لو طرح مثل هذا النوع من الأسئلة في ظروف عادية على أحد مواطنينا ! ؟

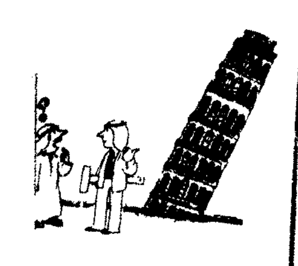
* * *

وعلى هذا القياس فإننا نشاهد ما ينقله علماء الإدارة ، فتارة عندما تصبح الصيحة « الإدارة بالأهداف » تصبح لدينا كذلك ، وعندما تكون الصيحة « الإدارة بالاستراتيجية » أو « بالحوافز » تصبح لدينا كذلك أيضاً ،

□ كليات الزراعة تهتم بتدريس نباتات الزينة وترتيب الحدائق أكثر من الاهتمام بالغذاء والثروة الحيوانية !

وينسى بعضنا أن الادارة في العالم الثالث ، وفي وطننا العربي لها مواصفات وظروف تختلف كلياً عن الإدارة في مجتمع رأسمالي صناعي متقدم ، فإدارتنا معظمها حكومي ، يشكل الدافع الاجتماعي والسياسي في التوظيف فيها الضغط الأكبر ، وكذلك هي مجال للتوظيف من أجل توزيع الثروة أو خلق فرص عمل أكثر منها ادارة للانتاج حسب معناها في تلك المجتمعات . ولقد ثبت أن ثلث العاملين أو ربعهم في الادارة العامة في كثير من دول العالم الثالث ليس هناك حاجة إليهم .

فمشكلاتنا الحياتية تحتاج اذن لحلول مبتكرة وربما غير مسبوقة لايقاف هذه التبعية العمياء في النقل والتلقين ، وبالتالي توجيه طلابنا والدارسين المهتمين في المجتمع ككل إلى إيجاد الحلول المبتكرة المبتغاة ، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من دراسة البيئة بمعناها الواسع ، الاجتماعي ، والاقتصادي ، والنفسي ، والمادي .



أما استمرار متابعة الصيحات الجديدة التي تبدو ـ لأول وهلة ـ مبهرة تأخذ بالأنفاس ، ثم نقلها لطلابنا على مقاعد الدراسة دون أن يكون بينها وبين حياتهم في المجتمع رابط حتى لو كان متخيلاً ، فذلك انقطاع وفصل بين ما هو متعلم في الفصل الدراسي ، وما هو واقعي ملموس ومشاهد .

قد تكون إحدى بدايات هذا الانقطاع هو ما نلمسه في بيئات عربية عديدة في الآونة الأخيرة ، من ضعف الدافع الاجتماعي ـ على أقل تقدير ـ لقبول المتعلمين أصحاب الشهادات . بل لقد أصبح تعبير « صاحب شهادة » يثير الابتسام المخلوط بسخرية مبطنة أكثر مما يثير الإعجاب ، لأن واقع الأمر قد أظهر للناس أن صاحب تلك الشهادة ليس لديه حلول لمشكلاتهم ، أو لديه حلول نظرية منقطعة ومعلقة في الهواء .

والأزمة المقلقة لكثيرين منا أننا في مجتمعات تحتاج إلى العلم ، أكثر من أي شيء آخر ، لمساعدتها في تجاوز عنق الزجاجة التنموي ، والعلم بمعناه الصحيح هو الطريق الوحيد لاجتياز ذلك ، وعندما يصبح هذا (العلم) بكل تخصصاته المتعددة علماً منفصلاً عن المجتمع ، منظوراً إليه من الجموع الكبيرة كشيء لا ضرورة له في النهاية ، لأنه لا منفعة منه ، عندئذ تصل الأزمة الحضارية إلى الحلقوم .

أمثلة شتى .. والداء واحد

■ هذا الانفصال وتلك التبعية يمكن أن نرصد لهما بعض الأمثلة ، ففي بداية الستينيات صدر كتاب لأحد الاختصاصيين النفسيين في جامعة هارفارد ـ ذاع صيته بعد ذلك ـ عنوانه (مجتمع الانجاز) ، وكان محاولة عجيبة من الكاتب للاجابة عن سؤال اختلقه ، مفاده : لماذا تشجع بعض الثقافات (المجتمعات) ـ أكثر من غيرها ـ أبناءها على الانجاز ، أي على النجاح في المشروعات العامة والخاصة .

وقد اختار الكاتب مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تبدو في الظاهر مقنعة لدراسة أسباب الانجاز .

تلك الظواهر استمدها من المجتمع الأمريكي بالطبع ، فدرس الكاتب أهازيج الأمهات لأطفالهن في المهد ، وقصص الأطفال والقصص الشعبية ، وقنوات عديدة يتم توصيل القيم الاجتماعية خلالها بشكل واع أو غير واع . وفي النهاية وجد الكاتب أن الثقافة الأمريكية تحث على النجاح ، وأن عامل النجاح الذي سماه « ن » يوجد مضاعفاً في المجتمع الأمريكي !

فالنجاح في المجتمع الأمريكي - كما يقول الكاتب - غير مرتبط بالصدفة أو الحظ (فالرجل يصنع حظه) ، هذا بعكس ثقافات أخرى تحث أبناءها على قبول الحظ والصدفة ، والمكتوب ، وتضع أفرادها أمام صعوبات قدرية ، خارج حدود الإدارة الإنسانية ، لا تستطيع أن تتخطاها .

- لقد كان الانحياز في ذلك الكتاب واضح المعالم لا تخطئه عين ، ومع ذلك ترجم إلى لغات عديدة - منها العربية - بل ودُرِّس لطلابنا !

ولا يحدث هذا في الكتب فقط ، بل اننا في بعض الأوقات - كما هي الحال اليوم - نجد أنفسنا وقد استعرنا أشكالاً من التعليم كاملة ، كما حدث على سبيل المثال في تدريس (الخدمة الاجتماعية) التي نشأت وتطورت في المجتمعات الغربية الصناعية ، واستعارها الرواد في الوطن العربي كما هي وعلمناها لطلابنا بقضها وقضيضها كما يقال ، الى أن انتبهنا أخيراً لخطأ ذلك النقل فأخذنا نتحدث عن (توطين الخدمة الاجتماعية) ، وأعتقد أننا ما نزال عن ذلك بعيدين .

الحلقة المفقودة بين مقاعد الدراسة ورحابة المجتمع .. أين هي ؟

إنني لا أقصد هنا أن فكرة أو فلسفة تدريب بعض مواطنينا على الاهتمام بأشكال الرعاية الاجتماعية هي فكرة أو فلسفة خاطئة ، ولكنني أقصد أن الطرق والمناهج التي درسناها لطلابنا فترة طويلة في هذا الموضوع - ومثلها في ذلك مثل كثير من برامج التدريس - إنما نقلناها دون توطين ، ولا تكييف ، فجاءت أصداؤ ها في عقول طلابنا غريبة ، غير مفهومة .

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية - كمثال - أصبح نقدها مطروقاً نسبياً ، فاننا أمام أخطر موضوع مطروح اليوم ما زلنا عاجزين عن توطينه ، وأقصد به دراسة الإعلام والاتصال ، صحيح أننا نستخدم وسائل الاعلام الحديثة ، كالمذياع والتلفاز والصحافة ، لكن دراستها كعلم مُوطن له علاقة بالواقع ما زالت بعيدة عن التحقيق ، وكل من كتب في الموضوع أو قرأ فيه يعرف أن هناك كثيراً من البحوث والدراسات المتوفرة أساسها غربي ، أما الدراسات



العربية فهي قليلة ، بل نادرة ، ولعلي أشير إلى واحدة من المعضلات في ذلك ، فكتاباتنا العربية تنقد الصحافة المؤممة في بعض بلادنا نقداً مراً ، كما تنقد الصحافة المملوكة لأفراد من جهة أخرى بنفس المرارة ، فماذا تريد ! !

أين تكمن الأسباب ؟

■ موضوع مثل ما نطرقه اليوم وهو محتوى ما نقدمه لطلابنا ، وهل هو قريب من الواقع مخاطباً له ، وسلاح بيد أبنائنا لمواجهة مشكلات اليوم والغد ، ليس بالموضوع الهين ، كما أنه موضوع لا تجدي فيه التمنيات ، فتاريخ العلم الحديث في الوطن العربي تاريخ ليس بالبعيد ، ولم نستطع حتى الآن ـ لأسباب كثيرة ـ أن نراكم ثروة من المعلومات والمعارف في المجالات المختلفة تؤهلنا للانطلاق الى تعميمات معقولة ، حيث ان ثروة البحوث العلمية البحتة

والتطبيقية والاجتماعية ما زالت مزدهرة لدى الشعوب المتقدمة ، وإذا أردنا أن نفسر ذلك سوف نجد أن معظم ما تنفقه شركات الأدوية مثلاً على بحوثها ، ومن ثم على انتاج الأدوية ، يذهب الى الأدوية التي تعالج أمراضاً معروفة في الغرب ، أما في العالم الثالث - ونحن منه - فلا معرفة الا بالأدوية العامة . أما أمراضنا المستوطنة فلا تصرف عليها تلك الشركات شيئاً يذكر ، هـذا مثال لواقع حال البحوث العلمية في مجال حيوي كالدواء والعلاج ، وهو واقع قائم نتيجة لعدم فهمنا وإدراكنا ، ان البحث العلمي مجال يمكن أن ننفق عليه كثيراً من المال اليوم كي ينبت في الغد ويورق ، وقد لا يحتاج إلى أشهر معدودات وإنما إلى سنين طويلة حتى يؤتي ثماره ، وكل هذا يحتاج إلى عقلية تفهم ذلك وتعيه . فالناس على قدر عقولهم .

ابتكاريون لاحرفيون

■ ومن أسباب المشكلة التي تحدثنا عنها أن استخدامنا للمنهج العلمي ما زال استخداماً غير مرن ، فالعلم أساسه الشك والابتكار ، والتفكير في غير المألوف له تطبيقات وصور عديدة ، كما أن العلم يحتاج إلى (ابتكاريين) ، وليس الى (حرفيين) من ذوي التفكير الآلي الميكانيكي ، فالعلم الاقتصادي الغربي - مثلاً - إن ظل في إطار النظريات التقليدية لن يقدم لنا شيئاً يذكر لحل مشكلاتنا المستعصية ، وكذلك أيضاً العلم الاجتماعي والعلم البحت . . ولا يوجد مجال اليوم نشهد فيه صراعاً أكثر سخونة من الصراع في مجال العلم بين ثقافة الحرفيين والآليين ، وثقافة المبادرين بالابتكار .

واذا ظلت مدارسنا وجامعاتنا تصر على الاحتراف والنقل بدلاً من الابتكار ، انفصمت العلاقة بين ما يدرس ويقرأ ، وبين الحياة برحابتها ، وتولدت علاقة آلية (ميكانيكية) بين المدرسة وبين الوظيفة ، تزيدنا تخلفاً على تخلف .

ان صيحة العصر هي المزاوجة بين العلم والمجتمع ، واستخدام التقنية الحديثة في كثير من المجالات ، فقد تغيرت المعادلة القديمة عما كانت عليه عندما كانت ثروة الأمم وسلطتها تعتمد على مصادرها الطبيعية ، واستثمارها المالي ، وأصبح الميزان يرجح بكفته بوضوح الى الاستثمار في البشر ، والمعرفة كمصدر (استراتيجي) للتقدم . . . فهل نحن فاعلون !؟



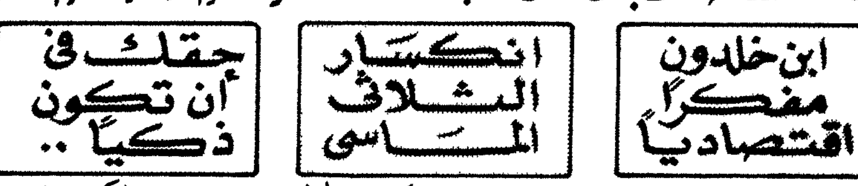
محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد يونيو ١٩٨٧

استطلاعات

- باكستان .. سنوات الصراع والأحلام / محمود عبدالوهاب
- النوبة .. أرض الذهب وشعب المأساة / سليمان مظهر
- صناعة الألبان .. والتوجه للاكتفاء الغذائي / ريم الكيلاني وثريا البقصمي



د. ابراهيم عويس — د. شاكر مصطفى — د. عادل عبدالكريم ياسين

- هل أدبُ العَبث .. عَبث ؟ / فتحي رضوان
- في مجمع الخالدين / عبدالرزاق البصير
- هل دخل السرطان مرحلة الاحتضار؟ د. عماد شمسي باشا
- طابور الجياع يتقدم / فوزي الغيشاوي
- الجامعة المفتوحة أو التعلم عن بعد! / توفيق أبو بكر
- انطونيوغاودي عبقري العمارة الإسبانية / طارق الحجي
- الكسب الحرام في الاسلام / د. توفيق محمد شاهين
- خبر من طرف الآخرة ! / أبوالمعاطي أبوالنجا
- وجهاً لوجه .. رسول حمزاتوف وسليمان الشيخ

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. سعيد السماحي - فهمي هويدي - يوسف هلال
فاروق خورشيد - محمد عبدالملك - فاروق شوشة - د. نجم عبدالواحد

العمل الإسلامي ومسألة ترتيب الأولويات

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

من أعقد المشاكل التي تواجه حركات التغيير الاجتماعي تحديد نقطة البداية في هذا التغيير ، وترتيب الأولويات في برامج الاصلاح ، ذلك أن الزعماء والمصلحين يبدأون مسيرتهم في أكثر الأحيان وهم يحملون فكرة أو عقيدة أو مذهبا في الاصلاح ، يطرحونه على الناس ، ويدعونهم إلى اعتناقه والالتفاف حوله ، مرجئين حديث البرامج العملية ، وترتيب الخطوات المتعاقبة للحركة إلى مراحل تالية من مراحل عملهم السياسي والاجتماعي .

الواقع الاجتماعي لا يلتزم دائما بتقديرات القادة والزعماء ، وقد يفاجئهم بالتفاف الناس حولهم ، واستجابتهم لدعوتهم ، واجتماعهم حول قيادتهم . فإذا بهذه الجموع تسأل - في استعجال - هانحن قد جئنا ، ولبينا ، فماذا نفعل الآن ؟ وإذا بالأتباع والخصوم - على السواء - يطالبون بتحديد مراحل الحركة ، وأولويات العمل ، والقيادات ما تزال - بعد - تبحث عن أطراف الخيوط ، وتجتهد في تمييز ما يحتاج إلى العمل السريع ، وما يحتمل الإرجاء والانتظار ، وإذا طال بها أمد هذا البحث أو عجز اجتهادها عن تقديم الجواب فإن جماهير المؤيدين والأتباع لا تجد مفرا من أن تمارس هي ذلك كله على مسئوليتها ، وتجتهد فيه بحسب مزاجها ، وبمقدار نصيبها من المعرفة والحكمة ، وما تتمتع به من حكنة وبصيرة وفهم لأصول العمل الاجتماعي . وهي في اجتهادها هذا تتعرض للخطأ والصواب ، كما تتعرض لتفاوت النقد واختلاف الآراء ، فإذا بها تستظل بمبدأ واحد ، وترفع راية منهج واحد في الإصلاح ، ومع ذلك تتنازع أمرها بينها ، وتتفرق بها سبل الحركة وزوايا النظر إلى الأولويات .

ترتيب الأولويات

والحركات الاصلاحية التي تسعى إلى بناء النهضة على أساس إسلامي ليست مستثناة من هذه الظاهرة ، ولا هي معفاة من مخاطرها ومحاذيرها ، بل لعل مشكلتها في ترتيب أولويات العمل أن تكون أشد وأكبر ، ذلك أن ترتيب الأولويات في إطار عمل إسلامي تتنازعه اعتبارات مختلفة ، وتتوزعه معايير عديدة، فهو ليس قائما على تقدير الأهم والمهم من حيث المصلحة الاجتماعية العامة فحسب ، وإنما يتداخل في تحديده عنصران متميزان :

أولهما : ترتيب القيم في إطار التصور الاعتقادي الشامل الذي يقوم عليه الاسلام ، وهو ترتيب قد يتفق وقد لا يتفق مع الترتيب القائم على رعاية المصلحة الاجتماعية كما يقررها الناس .



رمضان ١٤٠٧ هـ - مايو (آيار) ١٩٨٧
العربي
مساجد لها تاريخ
الشاشا
والأنغوش
المنفى..
والحياة!

SANYO سانيو



إحصل فورا
على المحطات وبدون ضبط مسبق

العنصر الثاني : ملاحظة درجة الثبوت « وقطعية » المصدر الذي يستند إليه الحكم محل البحث ، فما ثبت بدليل قطعي يكون أوفر نصيبا من الطلب والالحاح في برامج الاصلاح ، بينما تتراخى في الترتيب أمور أخرى إذا لم يحمل دليل ثبوتها درجة اليقين التى تحملها نصوص أخرى ربما كانت تعالج أمورا أقل أهمية ، أو أقل اتصالا بالمصلحة الاجتماعية الظاهرة .

ولا نحب بهذا الحديث أن نزيد مسألة ترتيب الأولويات تعقيدا وصعوبة أمام العاملين تحت لواء حركة النهضة الاسلامية ، وإنما لابد أن نذكرهم ، ونسلم معهم كذلك بأن عليهم في سعيهم لترتيب أولويات العمل أن يلاحظوا حقيقتين كبيرتين

الأولى أنهم لا يستطيعون أن يغفلوا الواقع الاجتماعي الذي يعملون في إطاره ، وأن يضعوا لحركتهم أولويات خاصة بها ، منعزلة تماما عن حاجات الناس في الأزمنة المختلفة والأمكنة المختلفة ، مستندين في هذا المنهج إلى أن الاسلام حاكم لا محكوم ، وأن على الناس أن يعيدوا ترتيب حياتهم على أساس « الأولويات » الاسلامية ، كما يحددها لهم أولئك المصلحون والدعاة ، (ذلك أن رعاية المصلحة أصل إسلامى ثابت ، والسياسة الشرعية كما يقول ابن قيم الجوزية قسم من الشريعة ، أي جزء من أجزائها ، وليس قسيما لها ، ولا بديلا عنها ، وهي - كما يعرضها ابن عقيل - فعل ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح ، وأبعد عن الفساد .) .

الثانية : أنهم لا يستطيعون - مع ذلك - ترك الأمر كله « للواقع الاجتماعي » ، يحدد لهم أولويات عملهم على أساس المنفعة الاجتماعية وحدها ، ذلك أن كل ترتيب لأولويات المنافع الاجتماعية لابد أن يحمل في ثناياه رؤية معينة ، تعكس قيما محددة ، والاستسلام الكامل للواقع الاجتماعي يعني التخلي عن الدور الأساسي في توجيه المجتمع .

كذلك لا تستطيع الحركات الاسلامية أن تتخلى عن ممارسة اجتهاد متجدد ، لتحديد أولويات عملها ، في ضوء الواقع الذي يتجدد ويتغير كثير من عناصره ، ولهذا يغدو التواصل مع المجتمع ، وفهم قوانين حركته ، والتفاعل المستمر مع قواه المختلفة شرطا ضروريا لممارسة الاجتهاد في ترتيب الأولويات ، بغيره يتعرض العمل الاسلامي لمخاطر الحركة ضد تيار التاريخ ، ولاحتمالات الخطأ الفادح في رصد مشاكل المجتمع ، وتحديد المصالح الحقيقية لأفراده وفئاته مجتمعين ومتفرقين

مداخل متعددة

وفي ضوء التسليم بهذه الحقائق ، وفي ضوء استقراء الواقع الاجتماعي والسياسي للعرب والمسلمين نستطيع أن نقدم اجتهادا جديدا لأولويات العمل الاسلامي المعاصر ، مقررين أن على رأس هذه الأولويات أمورا ثلاثة ، كل ما عداها يأتي بعدها في سلم الأولويات

الأولوية الأولى المشاركة مع القوى السياسية والاجتماعية الأخرى في دفع أخطار التبعية السياسية والاقتصادية عن العرب والمسلمين

ووضع هذا الأمر في المرتبة الأولى من سلم الأولويات يرجع إلى أسباب عديدة ، منها أنه لا قيمة - اليوم - لجهد يبذل في إصلاح المسار الداخلي للمجتمع إذا كان كيانه كله يتعرض للخضوع والتبعية لقوى دولية كبرى ، وهو نوع من التبعية جديد في صورته ، فريد في حجمه ، مخيف مفزع في آثاره ونتائجه ، ولا يجوز - بحال - قياسه على صور الاستعمار القديم أو الجديد حيث كانت الدول المستعمرة (بفتح الميم) تحتفظ بكيانها الداخلي في أكثر الأحيان ، وتظل تنتظر لحظة تاريخية مواتية ، يتخلص فيها الشعب من مستعمريه ، ويستأنف مسيرته من جديد

أما التبعية الجديدة فإن مداخلها متعددة ، أولها

الضعف العسكري للدول العربية والاسلامية، واتجاه كثير منها إلى طلب الحماية من الدول الكبرى في وجه أخطار أقلها حقيقي ، وأكثرها مصطنع وموهوم ، وثانيها الاعتماد ـ شبه الكامل ـ على عدد محدود من الدول الكبرى في تزويد الشعوب العربية والمسلمة بالجانب الأكبر من غذائها وكسائها ودوائها ، وهو اعتماد متصاعد ، يحمل في ثناياه أسباب استمراره ، واستقراره كصورة ثابتة للعلاقات بين الدول الدائنة والدول المدينة ، وهي صورة من شأنها وضع استقلال الدول المدينة ـ بجوانبه المختلفة ـ تحت رحمة الدول الدائنة ، ومن شأنه ـ كذلك ـ تصاعد حجم التبعية مع زيادة حجم المديونية ، وانتقالها من ميدان إلى ميدان ، ومعنى هذا أن الدول الدائنة المتبوعة سوف يكون لها ـ بالضرورة ـ قول ورأي في أخطر الشئون الداخلية للدول التابعة وأدقها ، ومن هنا يغدو مصير حركات النهضة والانبعاث ، وتحديد المصادر الأساسية لتلك النهضة داخلا بدوره في دائرة نفوذ الدولة المتبوعة ، متأثرا برغبتها ، وأهداف سياستها ـ ولهذا تغدو مشاركة الحركة الاسلامية لقوى المجتمع الأخرى في دفع أخطار تلك التبعية جديرة بموقع الصدارة بين أولويات العمل الاسلامي ، وهي مشاركة من شأنها ـ فوق ذلك ـ أن تبنى جسورا عديدة مع تلك القوى ، وأن تفتح أمام الحركة الاسلامية أبوابا للمشاركة في سائر ميادين العمل الاجتماعي ، غير منعزلة ولا مقطوعة عن التيار الرئيسي لحركة المجتمع .

تشخيص أزمة الانسان المعاصر

الاولوية الثانية : لفت الأنظار إلى ما يحمله الاسلام لانسان هذا العصر من وسائل فعالة ومجدية في علاج الآثار الجانبية المسيئة للثورة العلمية والتقنية : وتلك ـ في الحقيقة ـ مهمة شديدة الطموح ، بالغة الصعوبة ، كما أنها مقيدة بشروط عديدة ، وإلا كان الحديث عنها أحلاما في اليقظة ، وإسرافا في الخيال والتمني .

والمدخل لفهم هذه الأولوية مدخل ثلاثي :

أ : فهو يقتضي أولا تحريك الوعي لحقيقة « العالمية » في ظواهر هذا العصر ، ذلك أن دوائر الولاء والانتماء الوطني والاقليمي والقومي لم تعد قادرة على فرض نفسها على أشد الظواهر المعاصرة خطورة وتأثيرا على الحياة المادية والمعنوية للناس ، فلقد قضي الأمر ، وتحول العالم إلى « قرية واحدة صغيرة» ، نتيجة للثورات العلمية والتقنية ، خصوصا في مجال الحركة والانتقال ، ومجال تبادل المعلومات والاتصال . إن أخطر الأوبئة الجديدة لم تعد تعرف حدود الأوطان والقوميات ، كما أن أخطار التلوث بالاشعاعات الذرية وبالكائنات الدقيقة العضوية لم تعد ـ هي أيضا ـ تحترم حقائق التاريخ أو الجغرافيا ، بل إن المشروعات الاقتصادية الكبرى قد صارت ـ هي أيضا ـ متعددة الجنسيات ، مخترقة لحدود القوميات ، حتى الارهاب والعنف المنظم وضعت في أيدي أصحابه وسائل تدبير وتدمير حولته ـ أيضا ـ إلى ظاهرة عالمية . ومن هنا يحتاج « المسلم المعاصر » إلى أن يعترف بهذه « العالمية » الجديدة ، وألا يقيم بين نفسه وبين العالم نفس العلاقة المعقدة التي أقامها بينه وبين الغرب أزمانا طويلة ، تردد خلالها بين الرفض الكامل والقبول غير المشروط ، فاقدا ـ في الحالتين ـ قدرته على النظر الموضوعي ، والانتقاء الواعي الذي لا تتدخل فيه الهواجس والمخاوف ، كما لا تتدخل فيه مشاعر نقص الثقة والاحساس بالضعف .

ب : وهو يقتضي بعد ذلك تشخيص أزمة الانسان المعاصر ، وهو تشخيص لم يعد المسلمون وغيرهم يختلفون فيه كثيرا ، وخلاصته أن إطلاق قوى العقل ونشاطها الهائل في ميادين السيطرة على المادة وتسخيرها لمنفعة الانسان قد صنع حضارة « شيئية » ، بدلا من « الحضارة الانسانية » ، فأصبح الانسان المعاصر يجد أنه ـ أو هكذا يظن ـ في حيازة

ألوان وأعداء لا آخر لها من الأشياء ، وتراجعت - تدريجيا - حرارة علاقته بالآخرين من الناس ، وترتب على ذلك انتشار سعار المادية والأنانية ، وانتشار ألوان المنافسات الوحشية على حيازة الثروة ، وزادت معها العلاقات الانسانية فتورا وبرودة وضعفا ، وعلى سطح هذه الحضارة « الشيئية » طفحت الجريمة واستشرى العنف الفردي والجماعي ، وأصبحت الانسانية ذات يوم لتكتشف أنها قد استغرقها الموضوع على حساب الذات ، وتراجع عن ساحتها الأنس الحقيقي الذي يستمده الانسان الفرد من علاقته الحميمة مع سائر الناس .

ج : ولا يمكن أن يكون للمسلمين إسهام حقيقي مبدع وفعال في علاج هذه الآثار الجانبية المدمرة إلا إذا جددوا فهمهم للاسلام ، وتجاوزت أبصارهم وبصائرهم حدود التفسيرات التي فرضتها ظروف لم تكن تحمل ما يحمله هذا العصر من تحديات هائلة ، تعترض مسيرة الانسان من وراء كل الحدود - (حدود اختلاف الألسنة والألوان والمعتقدات) .

أبعاد الفهم

والفهم الذي نتحدث عنه تتجلى فيه الخصائص التالية :

١ - أنه فهم إنساني ، يرتفع بالعقل والوجدان - معا - فوق حواجز اللون واللسان والانتماء القومي ، ويرى في البشرية أمة واحدة ، يخاطبها الوحي ، وتحتاج في مسيرتها إلى هداية الحق .

٢ - أنه فهم يتحرر من الالتصاق بالماضي وحده - ويتوجه إلى الحاضر والمستقبل ، ويرى عظمة الاسلام الحقيقية في انعتاقه من نسبية الزمن ، وفي تجدد وتعدد الصيغ الاصلاحية التي يقدمها لمواجهة عالم متحرك دائم التجدد والتغير .

٣ - أنه فهم مدرك لوظيفة الانسان على هذه الأرض ، وهي وظيفة تبدأ بالبناء والتعمير ، وتتوج بالهداية وإشاعة الحق والعدل ، فلا مكان - بعد اليوم - في معسكر المسلمين للعاجزين والهاربين من الحياة - ولا مكان فيه كذلك للذين استعبدتهم زينة الحياة ، وشغلتهم عوارض الطريق عن دورهم الرائد الذي اصطفاهم له الله خلفاء في أرضه ، وحملةلأمانته ، ودعاة إلى الخير وإلى الرحمة التي جاء بها رسله ، والتي أنزلها في كتبه .

٤ - أنه فهم مستوعب لحقائق التأثير والتأثر في دنيا الناس يعرف أن الناس لا تأخذ بالحكمة ولا تقبل بالنصيحة من الضعفاء والعاجزين ، وأن المسلمين - لذلك - لا يستطيعون أن يكونوا هداة لغيرهم ، إلا إذا صلح أمرهم بينهم ، ولذلك فإن التعجيل « بالنهضة الداخلية » للمسلمين هو تعجيل - في الوقت ذاته - بأداء المسلمين لدورهم المنتظر في رد البشرية إلى التوازن الذي ضاع بين مطالب « المادة » في الانسان ومطالب الروح فيه ، وبين دواعي الاثرة والأنانية وتوكيد الذات ، ودواعي الايثار والعطاء والعفو وتقديم الفضل للآخرين

نماذج التمزق

الأولوية الثالثة : جمع شمل المسلمين ، وتصفية المعارك الداخلية بين روافد التيار الاسلامي .

ونحن هنا لا نخلط بين التمزق الذي نخشى عواقبه وبين التعدد في الآراء والأخطار الذي هو سنة من سنن الله في خلقه ، والتمزق الذي نريد « للعمل الاسلامي » أن يتخطاه تمزق مزدوج :

أ : فهو تمزق على مستوى الأقطار والدول والأنظمة .

ب : وتمزق على مستوى روافد التيار الاسلامي التي تلتقي على ساحة الاصلاح ، ولا تستطيع - مع ذلك - أن توحد صفوفها، أو أن تجتمع على مواقف ، أو أن تضم جهدا مبذولا إلى جهد ، ووجه الخطر في التمزق الذي تغشانا - نحن المسلمين سحابته السوداء القاتمة أنه تجاوز دائرة الاجتهاد والنظر ، واقتحم مجال العمل ، ووضع العاملين للاسلام في هذا العصر على طرق متقاطعة متنافرة ، يهدر بعضهم

جهد بعض ، ويحول - لو استطاع - دون نجاحها ، وأنه - فوق ذلك - يتم في غياب منهج معقول للاختلاف ، يحفظ به الود ، وتصان به مشاعر الانتماء المتبادل ، وينسق به الجهد المبذول قل أو كثر .

إن استمرار هذا التمزق على مستوى الحركات الاسلامية لا يغلق الباب في وجه كل أمل مشروع في مستقبل المسلمين فحسب،وإنما هو يضع الآخرين في حيرة لا آخر لها إزاء التيار الاسلامي بكل روافده ، إذ كيف يتأتى لأحد أن يعرف الحقيقة وسط هذا المهرجان الصاخب الذي يتبادل فيه الجميع الاتهامات ، ويصر فيه كل أحد على أنه وحده يحمل الحقيقة كاملة ، وأن الصورة التي يعرضها هي وحدها الصورة الصحيحة للاسلام ؟

شروط النهضة

ويخرجنا من هذا الضياع أمران :

١ - أن يستوعب الجيل المعاصر من المسلمين حجم الأخطار القادمة ، فإنها طوفان لا عاصم معه من أمر الله « إلا من رحم » ، وأن يستوعبوا - كذلك - حقيقة استحالة استقلال قطر مسلم واحد بدفع هذه الاخطار عن نفسه وعن سائر المسلمين .

٢ - ان يعلم الجيل كله أن اختلاف الرأي سنة من سنن الله في الناس ، وأن المسلمين الأوائل الذين بعث فيهم رسول الله (ص) قد اختلفوا فيما بينهم ، وقد اختلف الصحابة واختلف التابعون واختلف من جاء بعدهم ، وأن القضية اليوم ليست ألا نختلف ، وإنما هي أن نتعاون على الخير حتى حين نختلف .

على أن هذا التعاون يطرح سؤالا بالغ الأهمية ، ولابد له من جواب ، وهو هل تستطيع روافد التيار الاسلامي المتعددة والمختلفة فيما بينها أن ترتفع فوق حزازات ما بينها من خلاف ، وأن تتجاوز ذلك كله ، استشعارا لحجم الأخطار القادمة أم أن الأمر يحتاج إلى تسويات وتصفيات ، ترتفع فوق عبارات المجاملة ، والتستر على المشاكل في مواجهة الآخرين ؟

ذلك سؤال تصعب الاجابة عنه ، ولكننا نقول لروافد الحركة الاسلامية إن التاريخ لن يتوقف حتى تسوى خلافاتها،وان الجماهير التي أقبلت على روافد تلك الحركة لصبرها حدود ولسعة صدرها آخر وأن التعاون بينها ما يزال ممكنا وميسورا إذا ميزت في مظاهر خلافاتها بين الأمور العارضة التي تحتمل الاتفاق والاختلاف ، والأمور الأساسية التي لا يجوز الخلاف حولها ، ولو فعلت ذلك لقربت مسافة الخلف بينها ، ولفتحت للتعاون أبوابا، هي عينها أسباب القوة وأسباب النهضة .

ولقائل بعد ذلك كله أن يقول :

وأين - في سلم الأولويات - قضية تربية الجيل المسلم ، وقضية القيم الغائبة من حياة المسلمين المعاصرين كقيم العدل والحرية واحترام العقل؟ وجوابنا أن ذلك كله داخل في أولويات العمل في الجبهة الداخلية للحركات الاسلامية ،ولكن هذه الجبهة الداخلية تقف اليوم كلها على مفترق طرق ، وعلى شفا حرف ، والأولويات التي تحدثنا عنها هي أولويات تفرضها « العالمية » الجديدة ، كما تفرضها ضرورات خروج الحركات الاسلامية من عزلتها ، واغترابها عن العالم من حولها، وهو الخروج الذي يحمل في طياته بوارق الأمل للحركات الاسلامية ، وللمسليمن ، وللدنيا كلها . □

---

* المؤمن : لا يضيع في الكون . . وانما يضيع الكون في المؤمن .

(محمد اقبال)



بقلم : الدكتور : شاكر مصطفى

قل أي نبوءة مستقبلية واسكت ، اذن تنهمر حلقة الأصدقاء جميعها حولك بالنبوءات وأحاديث النبوءات . المستقبل بما يحمل من مجهول ، مثير ، محير ، يمتلكنا ، ما من انسان لا يفكر فيه . لا يتوق لمعرفته ولو في دجل العرافين وثرثرة قارئة الفنجان . . .

على الرغم من أن « الرحم بالغيب » تحاور على علم الله ، فالناس يحاولونه ، وهم يعلمون عبث المحاولة ، وقديما كان الناس لا يأبهون للغد الدنيوي العاجل الغد الأخروي الآجل هو الأهم الدنيوي قبل الموت ، غيب مجهول مفتوح لارادة الله يطرح فيه جميع الاحتمالات على الأرض أما الأخروي بعد الموت ، فمعلوم كله انه يوم الحساب والناس يعرفون انه يتفق كل الاتفاق مع أعمالهم في الدنيا ، فالعدل الالهي لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

الآية في العصر الحاضر صارت معكوسة ، أضحى العالم « يخطط » ، يضع السيناريوهات للمستقبل الدنيوي العاجل نحن نضعه بأيدينا لبنة لبنة ، كما كنا دوما نضع من قبل دون أن ندري وبشكل فوصوي غير نظيم ـ وأما المستقبل الأخروي فهو المتروك الآن لله يدبر أمره كيف يشاء

المنظوران في الحالين مختلفان يستندان الى أيديولوجيتين متناقضتين

أيديولوجية السكون والسلبية والهرب الى الماضي ، ودوران التاريخ في حلقة يرتبط احرها بأولها ، والتحذير بترك الأمور لله « لا تفكر ، الله يدبر » و

دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال

وأيديولوجية الحركة والايجابية والاقدام على المستقبل ، وسير التاريخ في خط مستقيم يتقدم باستمرار.والعمل على تغيير الشرط الانساني بواسطة الانسان نفسه

وما التناقض هو الذي يهمنا هنا ، ولكن التواكل لم يعد يطعم خبزا وترك الأمور تجري في أعنتها غالبا ما ينتهي بالكوارث التي لا تعدم من يراها قادمة ويحسب حسابها بالفكر المنطقي وبالورق

والقلم ! . . . والناس اليوم ، ولو ظلوا على الانصراف لراحة البال وترك التفكير ، يتقبلون أيديولوجية التخطيط في مختلف نواحي الحياة . هذه الصيحة العالمية التي ترن في كل مكان كأجراس العيد ، ترتبط بالمنظور الآخر الى المستقبل ، منظور « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » ! فالايمان يزداد يوما بعد يوم بأن المستقبل أكثر شأنا من الحاضر (الذي لا وجود له في الواقع) ، ومن الماضي الطويل الذي يجره الانسان وراءه ليرى فيه كالمرآة مدى ابتعاده عن أيام الكهف الأولى وعن الوحش الكامن فيه . فهو يتجه لهذا وذاك أكثر شأنا وأخطر من أن يترك سدى . . . وان التخطيط لما سوف يأتي سمة من سمات الفكر العلمي الحديث وشرط من شروط الحياة الحديثة . . . .

أن نكون أو لا نكون

على اننا نمضي خطوات أخرى فنقول ان علم المستقبل أضحى مذهبا فكريا كاملا له مدارسه وعلماؤه ومهندسوه ومؤتمراته وكتبه وخططاته . وخطوة أخرى فنقول ان الوطن العربي على شفا انقلاب بنيوي جذري ، وخطوة ثالثة فنقول ان قضية التخطيط المستقبلي أضحت مسألة بقاء بكل معنى البقاء . « ان نكون أو لا نكون » هو الرهان العربي المقبل المتعلق بالتخطيط . ما يسمونه بالتحديات للوطن العربي ، بتنظيمها ، بتحديد قوتها ومدى خطرها ، بتوضيح أولياتها ، باعداده لمواجهتها هنا مجاله الأوسع . أعرف ان الوطن العربي اليوم ينزف اقتصاديا . لا يخدعنا البترول ودخله . اننا منه أشبه بوارث يبيع قطعا من الأراضي التي ورث لينفق . الانتاج الحقيقي « الزراعي والصناعي » ، يتضاءل . ونحن نستورد ٧٥٪ ـ ٨٠٪ من موادنا الغذائية في انتظار أن نصل لاستيراد ٩٠ أو ٩٥٪ منها عن قريب . وللخلاص لابد من فهم معطيات النظام الاقتصادي العالمي المقبل المبني على التقنية الجديدة وانشاء مجموعة اقتصادية عربية « ديناميكية » فعالة متجاوبة معه . . .

وأعرف اننا على التبعية السياسية . كل أعمالنا ردود فعل . وكل نظمنا تنظر ، قبل أي خطوة ، فيما اذا كانت الخطوة ترضي هذه الجهة أو تلك . وكلنا سجناء أفلاك تدور حول هذه الشمس السوداء أو تلك الحمراء . ودون الخلاص من هذه التبعية أهوال . . . من بينها التعاون العربي الفعال والسيطرة على انتاج السلاح والاستناد الى قاعدة اقتصادية متينة . . . .

وأعرف الى هذا وذاك اننا على الأمية الحضارية في مجال العلم والتقنية . لم تشرب جموعنا المباديء الأولى في هذا ولا تلك . ثورة العلم التي وصلت الى هندسة « الجينات » الوراثية بين ما وصلت ، وثورة التقنية التي أوصلت الانسان الى القمر والأفلاك ، والثورة في مجال المواد الجديدة ، وثورة « الالكترونيات » الدقيقة بما تبعها من ثورة المعلومات وثورة الاتصال ، كل هذه الثورات ماتزال تجري في كوكب آخر نحن غرباء عنه حتى الرثاء . . . القادة لا ينظرون الى تشجيع العلم والتقنية على انهما قوام كل أمة في الغد ، ولكن على انهما « ديكور » للدولة والا فلماذا لا نجد للبحث العلمي في بلادنا ما يزيد على ٠٣ ، ٪ من الدخل القومي ونجد له ٣٪ ـ ٤٪ من الدخل أي عشرة أضعاف الى ١٢ ضعفا في أي أمة أخرى ؟ ولماذا ننفق ٥ ,٥٪ ـ ٦٪ من دخلنا القومي على التسلح أي أكثر من ١٦ ـ ١٨ مرة مما ننفق على العلم ؟ .

وأعرف أخيرا ـ الى هذا ـ ان التنمية الشاملة انما تبدأ بالتخطيط للخلاص . وان هذا التخطيط يبدأ من الذات وينتهي بالذات .

لكني أريد أن أقف فقط عند جذر هذه المتحولات كلها . عند المنبع وأقصد التخلف الثقافي . والتخطيط للخلاص من هذا التخلف . ها هنا في اعتقادي مربط العنز ومن هنا نبدأ . . . .

ردم الهوة المتزايدة في السعة والعمق انما يبدأ بتغيير المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر . عبثا

نصطنع « العلم » ان لم نؤمن مسبقا انه الطريق . وان المعرفة هي القوة كما يقول باكون . وعبثا نحاول الديمقراطية ومانزال نتنظر « الدكتاتور العادل » ، فلا يمكن اصطياد عصفور واحد وعلى العينين عصابة - كما يقول ماو تسي تونغ . وعبثا نصرخ لاصلاح الاقتصاد ومايزال ثلاثة أرباع غذائنا اليومي مستوردا ، فإن الناس لا يتخلصون من البؤس بمجرد الهتاف للثورة - على حد قول ميرلو بونتي .

ولن ألح كثيرا في الوقوف عند عقبة العلم والتقنية انها الأساس في ثقافة الغد . والحديث عن العلم ومكانه الخطر في هذه الثقافة ، وعن التقنية ودورها في النقلة الحضارية ، دفع لأبواب مفتحة على مصاريعها .

ان ما نشهده اليوم من آلاء التراكم العالمي الهائل . يضعنا بالرغم منا على أبواب عصر مختلف . لقد تغيرت صورة الكون بين لانهايتيه الصغرى والكبرى . وانقلب التوازن العلمي والتقنى القديم كمّا ونوعا وسرعة وبخاصة في « الالكترونيات » الدقيقة وتطبيقاتها ، وفي المضادات الحيوية وفي هندسة المكونات الوراثية وفي تكييف الحياة العقلية بالعقاقير، وفي أبحاث الذرة وتطبيقاتها، وفي أبحاث الفضاء وتقنية الصواريخ ومركبات الفضاء وفي « الأتمتة » الذاتية، وفي أبحاث الاتصال، وفيما يسمى بثورة المعلومات . وامتد هذا الانقلاب كله الى ما وراء العلوم البحتة « والبيولوجية » والتطبيقية ليمس العلوم الاجتماعية والانسانية والاقتصادية . . . كل ذلك في مدى زمنى لا يزيد على نصف قرن ! ولو افترضنا ان الانسان موجود منذ خمسين ألف سنة ، وقسمنا هذه الفترة الى أعمار متصلة كل منها خمسون سنة لكان كل هذا الذي تم من الثورة انما تم في العمر رقم ١٠٠٠ !! أغريب بعد هذا أن نفكر بالمستقبل ونخطط له ؟

واذا كان الفكر المستقبلي علميا بالضرورة . فان هذه المقولة تعني الكثير . انها تعني :

أولا :

ان من يملك العلم في المستقبل أي يملك المعلومات وتقنية استخدامها يملك العالم . . . .

ثانيا :

ان اقامة العلم كقوة حية نشطة في المجتمع هي جزء من مشكلة التحول من الأمية الحضارية الى التنمية الشاملة وذلك لا يكون بنقل العلم ولكن بنقل المنهج والطريقة .

ثالثا :

ان تغير الثقافة العربية نوعيا ، شرط ضروري لقيام الحركة العلمية على قاعدة متينة واسعة من الفكر والفهم والاستيعاب للعصر .

رابعا :

ان هذا التغير لا يكون الا بثورة ثقافية ، أي بربط الثقافة العربية مع العصر عن طريق العلم والتقنية . ان العلم ليس معرفة ولكنه أسلوب في الفكر ينقله من تجريد الطبيعة الى تجريبها ومن سكونية الوجود الى حركية الوجود ومن الغيبية الى السببية .

خامسا :

ان عملية كسب العالم ونقل التقنية لا تكفي . لأن هذين النشاطين ليسا ثابتين ولا كمّيين .

انّهما في حركة دائمة متطورة التطور السريع الرهيب من جهة، ويحتاجان الى توفر مجتمع علمي مواز يستطيع المتابعة لهما والمشاركة فيهما والاسهام في الابتكار من جهة أخرى .

سادسا :

ان نفقات كسب العلم ونقل التقنية ، والثورة الثقافية لمساندتها ، تتجاوز القدرات المادية لأي دولة عربية ، وان المستقبل للتكتلات البشرية الواسعة . . . وان تغيير المسار الفكري العربي يفرض هنا التكتل المادي والبشري بغرض التوحد والا ظللنا على ترك مزاريبنا تصب في الأقنية الغربية وظللنا على الشرب من تلك الأقنية .

مقابل هذه التحديات المصيرية نلاحظ ان الهوة بين ثقافتنا التى نحيا وبين الثقافة العالمية تتسع بازدياد رهيب قدر اتساع الهوة الاقتصادية بين الشمال والجنوب الكتاب الاحصائي لليونسكو سنة ١٩٨٥ يكشف المؤشرات الخطرة ففي البلدان النامية ـ وليست البلاد العربية بأحسنها ـ هناك ١٢٥ باحثا علميا لكل مليون نسمة ، في حين تقدم البلاد الصناعية المتقدمة ثلاثة الاف وان نصيب البلدان النامية من عدد الباحثين العلميين لا يجاوز كثيرا ١٠٪ من المجموع ، وان ما تنفقه على البحوث والتنمية لا يشكل الا ٦٪ من اجمالي ما ينفق عليها على المستوى العالمي أي انه لا يجاوز ١٢,٥ مليار دولار من أصل ٢٠٨ مليارات دولار !

في حين تنفق الدول النامية على « أحقادها » الصغيرة التي تخلقها لها الدول الكبرى وتلهيها بها ١٥٠ مليار دولار ثمنا للأسلحة القديمة ولافراغ مخازن هذه الدول منها لاستقبال أسلحة أحدث

ان اقتصاد الغد ، ومؤشراته ظاهرة في اقتصاد اليوم وسوف يقوم كثقافة الغد سواء بسواء على التقنية الحديثة التي تتطلب انتاجا كبيرا وأسواقا كبيرة اقتصاد الخمسينيات انتهى والتحدي لم يعد قضية علمية ـ ثقافية فقط ولا قضية سياسية ولكنه مسألة « بقاء »

حاجات الغد

من هنا صار التفكير في المستقبل العربي ككل يفرض نفسه فرضا واذا لم نشأ ان ندخل في التخطيط الشامل اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وفضلنا ان نتركه لأهله واختصاصييه ، فان ذلك لا يمنعنا من التفكير في الوسائل وفي الأسس الأولى للتحرك المخططون لا يمكن أن ينطلقوا من فراغ ولابد من التخطيط لوسائل الوصول بقدر التخطيط لأهداف الوصول كما لابد من النظر في الأسباب والأهداف على ضوء التغيرات المستقبلية المتلاحقة وحاجات الغد فهل ترانا نستطيع اقتراح بعض الخطوط ؟ قد يكون بعضها معادا نضعه لاكمال الصورة أما بعضها الآخر فمشتق من رؤية للغد مرعبة وهل يجدي الرعب وحده انا أمام أعمال جبارة أولية من ملامحها

١) سد منابع الأمية ليس بالمعنى الالفبائي ولكن بالمعنى الحضاري أيضا أمية الوطن العربي تضعه في أسفل السلم انه يكاد يكون آخر مناطق العالم تحررا منها ، رغم كل الجهود التي تبذل ، ورغم التزايد المادي في الانفاق والتزايد الانتاجي في الأعداد المتعلمة تصل الأمية في الوطن العربي الى ٥٤,٦٪ في حين انها في مجموع القارة الافريقية لا تجاوز ٥٣٪ ، وهي في أسيا وأمريكا اللاتينية أكثر انحصارا بكثير ، فهل نأمل في تقدم الى الغد ، وقيود الأمة كتل من الرصاص في الأرجل ، والمحيط هو المحيط ؟

٢) اتخاذ جميع السبل لتكثيف الثروة البشرية العلمية وربطها لا بالأرض فقط ، ولكن بالثروة المادية للأرض وبالمشاكل الاقليمية المتوطنة لابد من اتساع القاعدة العلمية التقنية وبمختلف الدرجات قبل انتظار النبوغ في بعض ميادينها ثروتنا البشرية مهدورة وما يتفتح منها هو العصافير المهاجرة

٣) دعم خبرات الترجمة وتقنية الترجمة بلى ! انها لم تعد عملا يقوم به كل من عرف القفز بين لغة وأخرى لقد صارت علما وقواعد وفروعا وأنواعا وصار لكل علم لغة ، ولكل ترجمة (من فورية وأدبية وشعرية وطبية وفيزيائية وسياسية) خصوصها وتقنيتها ، والعاملون في الترجمة سيكونون جزءا متمما لعلماء المستقبل انك لا تستطيع الاعتماد على اللغة الأجنبية وحدها لا يتفاعل الفكر معك بعمق ووضوح الا في لغتك لغتك أنت الترجمة هذا « العلم المهمل » يجب أن تدفع به جامعاتنا الى المقدمة بقوة ، تنظيما وتقنية واختصاصا انه الجسر الوحيد الى الابداع

٤) الاتجاه الى تقنية المعلومات لقد وصلت ثورة المعلومات الحد الذي لابد معه من التعامل المباشر مع

تقنياتها المتقدمة . وبلادنا تصنف ضمن البلاد الجائعة معلوماتيا . لم يعد الكتاب كافيا ولا المكتبة . « المعلومة » أضحت رأسمال الغد . وطرائق الحصول على المعلومات أضحت سبيل العلم الأول . نظم المعلومات هي العلم المساند لكل العلوم في المستقبل ، والعلم الذي يسد الفجوات القائمة بين العلوم . تقنية المعلومات تقيم الحوار والتواصل بين مختلف قطاعات العلوم في انسيابية كاملة وبلغات أرقى وأيسر . ومعالجة أقدر وأسرع ، وذاكرة أضخم وأذكى ، واتصال أوسع وأغنى . . . كل ذلك من أجل محاكاة بعض خصائص الذهن الانساني . وعمل بنوك المعلومات ، انها تدرس خواص المعلومات ومتغيراتها والعوامل التي تحكم تدفقها ووسائل تجهيزها للافادة القصوى منها ، كما تشمل انتاج المعلومات وبثها وتجميعها ومعالجتها التحليلية التركيبية وتنظيمها واختزانها واسترجاعها وتفسيرها ثم بثها من جديد . انه علم لا يتصل بمختلف العلوم من طبيعية « وبيولوجية » وانسانية واجتماعية فحسب ، ولكنه يقوم أيضا على الرياضيات والمنطق وعلم اللغة وعلم النفس وتقنية الحاسبات « الالكترونية » وبحوث العمليات وفنون الطباعة والاتصالات و . . . أخيرا علم المكتبات والادارة ـ العالم كله يتحول من المجتمع الصناعي الى المجتمع المعلوماتي،أفلا يستحق هذا كله الاعداد له ؟

٥) الاتجاه الى تقنية الاتصال والاعلام . فثلاثة أرباع ثقافة الغد سوف تأتينا عن طريق وسائل الاتصال . ولابد من السيطرة على عمليات الاتصال والاعلام لتكوين القاعدة الثقافية التحتية الضرورية ، ولمساندة العملية العلمية ، والرسالة الاعلامية هي النقطة المركزية في عملية الاعلام . ودورها في التنمية الثقافية انما يحدده مقدار ما تحمل من المضمون الثقافي المستقبلي . والسيطرة على وسائل الاتصال من الأقمار الصناعية والشبكات الفضائية الى أنظمة البث الاذاعي والتلفزيوني « والكايلوفيزيوني » وما سوف يستحدث منها بالاضافة الى الوسائل التقليدية من صحيفة وكتاب ووكالات أنباء ومسارح وقاعات موسيقا ومحاضرة ومطابع . . . كل ذلك يقتضي وجود الأجهزة البشرية التقنية بجوارها ووجود الانتاج الجذاب الآسر الذى يبعد منافسة وسائل الاتصال الأخرى ، ويوقف تدفقها الوحيد الطرف حتى الآن . . . بدون هذه الأجهزة وذلك الانتاج تكون الثورة الثقافية النوعية التى نرجو عبثا في عبث . ما نبنيه في سنة يهدمه السيل في لحظات ! . . . و

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

إنها تدور بالفعل !

لقد طال الحديث وما ذكرنا الا بعض الخطوات الأولية الضرورية للبدء بأي تخطيط للغد . ولكنها ملامح نقتطفها على الطريق . ثورة العلم والتقنية وضعتنا برغمنا أمام التحدي الجذري . الأرض كلها تنقلب تحت أرجلنا وتدور ونحن لا نشعر . هل تشعر بدوران الأرض ؟ ولكنها تدور بالفعل ، وتدور معها قوى العلم الدوران الرهيب . ولا سبيل الا ادخال الرأس في هذا الدوران لنستطيع اجتياز عتبة القرن الواحد والعشرين ـ وهي جد قريبة ـ دون أن يصيبنا الدوار العاصف ونسقط على الهوامش البعيدة الانسانية .

ليس من عودة الى عقلية التواكل القديم ولا الى الاعتماد على التدخل الالهي للانقاذ . فقد جعل الله لكل شيء سببا . وقال : « وقل اعملوا . . » ، كما قال : « فاذا عزمت فتوكل على الله » ، وقال : « نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » . ولم يقل أبدا تواكلوا وأنا الكفيل بكم . ردم الهوة هو الخيار الوحيد ، وان يكن الخيار الصعب . ولكن هل من سبيل غيره ؟

هل من سبيل ؟ □

الإختيار



يا رفيقاً وَقَفَ العُمْرُ على بابك يوماً
لم يفارقْ ،
وقف العمرُ على بابك مصلوباً
يُعانِقُ
أمَلاً يَخْبو وَيَصْحُو ،
والحقائقُ
خنجرٌ يُدمِي فؤادي ،
يَبْدَ أني أحرقُ العُمْرَ على بابك ،
مرحى يا حرائقُ .

* * * * *

يا رفيقاً زَارَ أيامي على غيرِ اختِيَار ،
فانتشت أيّاميَ الكَسْلَى ،
وَغابَ الليلُ من يومي ،
وصار الكونُ موصولَ النهار ،

شعر : الدكتورة كافية رمضان

غرّدتْ أطيارُ أفكاري بشدوٍ عبقريٍّ ،
لَمْ يَكُنْ شَدْوِيَ قبلَ الحبّ
غيرَ الهمِّ ، والشكوىَ وطولِ الانتظار .

* * * * *

جاءني طيفُك يدعوني ، فلبّيت النداء ،
وانْتشى زهرُ الرّوابي ،
وانحنى نجمُ السماءِ ،
قبّل الطيفَ الذي يدعو حبيباً للقاءِ

* * * * *

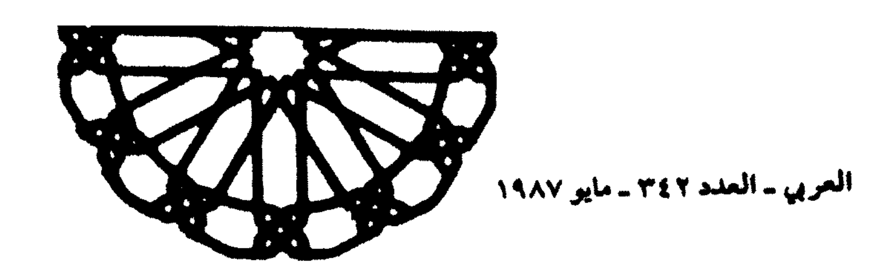
لم يَكُنْ عُمْرِيَ قَبْلَك
غيرَ أيامٍ سقيمة ،
يركبُ الهمُّ حصانَ الوهمِ في أرضِي العقيمة ،
لم أكُنْ غيرَ نباتٍ عَوْسَجيٍّ ،
أصْفرَ الأوراقِ ، يَذْوِي
للثّرَى ، يشكو همومَه ،
جاءني حبُّك أمطاراً رحيمة ،
أحْيَتِ الأرْضَ ، فصار العوسجُ اليابسُ زهراً ،
كيف غيَّرْتَ رسومَه !؟

* * * * *

ها أنا أعبرُ أيامي وعمري ، أحملُ الحبَّ الوليدَ ،
أمتطي زهرَ الروابي الخُضْرِ ، والحظَّ السعيدِ ،
وَيَمُرُّ اليومُ إثْرَ اليومِ ، عيداً إثْرَ عيدِ ،
ويمرُّ العامُ بعدَ الأعامِ
جذلاناً يغني الحبَّ موصولَ النشيدِ

* * * * *

يا رفيقاً زار أيامي على غير انتظارٌ
غيّر الرؤية والرؤيا وصار الاختيار



العربي ـ العدد ٣٤٢ ـ مايو ١٩٨٧

الصحوة الإسلامية

بين الجسور والعقبات

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

عندما كنت أجمع نقاط هذا المقال ، وأتصور خطوطه العامة ، وضعت القلم ، وتخيلت موقعي مركز دائرة ، وأفكار المقال وخطوطه منتشرة على سطحها ومحيطها . . .

وأقصد هنا الموقع المادي أو الجغرافي . .

١ ـ رحلة المكان

كان من قدري أن أعيش في التقاء مجموعة من خطوط التماسّ :

نافذة مسكني تطل على خليج الكويت في رأس السالمية . وأمامي الميناء البحرى إلى جزيرة فيلكا . وخط الأفق الشرقي لا يكاد يخلو من سفينة مقبلة على الخليج أو صادرة عنه . وفي الليل ـ اذا كان الجو صافيا ـ تبدو أنوار الجزيرة زهورا مضيئة أو نجوما باسمة جاءت تزور الارض .

والى الغرب قبلة الصلاة والارض المقدسة . وما زال أهل الكويت يميزون في المدينة القديمة بين الشرق والقبلة .

هذا خط التماسّ الاول بين البر والبحر .

يأتي بعد هذا خط التماسّ الثاني بين القطاعين العربي والآسيوي من العالم الاسلامي ، وتشتد قوة هذا الخط إذا ضممنا اليه الروابط الافريقية ، وهي قديمة مع الخليج برا وبحرا . .

وعندما أراد خيالي أن يسبح شرقا في العالم الاسلامي الآسيوي ، استوقفه أخدود من الدم وحرائق أشعلتها الحرب العراقية الايرانية . وكيف يستطع الخيال الجريح ، كسير الجناح أن يطير ؟

ومن مسكني ليلا ـ وأحيانا نهارا ـ تصل الى سمعي رعود القذائف . . ومع كل قذيفة روح تزهق ، أو بنيان يتحطم ، أو سفينة تصاب ، أو غصون خضراء تتكسر ، وأحقاد تتزايد .

والكل مسلمون . لهم نبي واحد . وقبلة

واحدة . وقرآن واحد .

فلنتابع الرحلة شرقا لنرى إخوة في أفغانستان ، عاشوا قرونا يتنفسون الحرية . هم أبناء جبال كأنها في ارتفاعها وشموخها صورة كبرياء الأرض ، وتنحدر من ثلوجها النقية أنهار تحمل في تدافعها وهدوئها الخصب والنماء ، ترعاها سواعد قوية وقلوب نقية .

رأيت هذه الوجوه الشماء من قريب في بشاور (نوفمبر ١٩٨٦) . غير بعيد من حدود بلادها . عزيزة في هجرتها مع تصميم على العودة . واستمعنا الى بطولات حرب وصمود . وشاهدنا شبابا من الكويت ومن أقطار العالم الاسلامي ، وبعض المؤمنين بكرامة الانسان في الغرب ، وهم يبذلون الجهد الطبي والاجتماعي والاقتصادي لعون اللاجئين حتى ترتد موجة الهجرة عودة ، يخلو بها ويصفو وجه أفغانستان لأبنائها .

ولك أن تتابع الرحلة شرقا لترى تأثير هذه الحروب على القلق السكاني في الأقطار المجاورة . . . ثم ترى النشاط التبشيري المنتظم في الأطراف الشرقية للعالم الاسلامي ، ونحن عنه ساهون . حتى الكلمات أصابها التشويه : تخريب العقائد أصبح تبشيرا ، كما سموا الاحتلال ونهب الثروات من قبل « استعمارا » ؟

وفيما بين الموقع الذي أحدثك منه ، والأطراف الشرقية لعالمنا الاسلامي ، قامت حروب الطوائف والعقائد والعنصريات ، كأنها « مرض الايدز » السياسي والاقتصادي . . طاعون جديد لم نستطع حتى الآن أن نتخذ له مصلا واقيا .

فلنترك الشرق الى حين ، ونتجه غربا في عالمنا العربي . . وسنقف عند النواة التي تفجرت منها أكثر من حرب .

سنقف عند القدس الشريف والمسجد الأقصى وفلسطين . ولك أن تربط بها أكثر ما حدث في جميع الأقطار العربية حولها دون استثناء ، من حروب مباشرة في ميادين القتال مع اسرائيل ، الى حروب داخلية عربية عربية ، هي عند اسرائيل أحد الآمال المنشودة : أن يقتل العربي العربي ، وأن تتحول بعض الخلايا الطبية في الجسم العربي الى خلايا سرطانية جشعة تتغذى على الجسم الذي يؤويها .

ولو تابعت الرحلة غربا ستجد في كل قطر عربي مايشغله بنفسه أو مع جيرانه العرب أو الأفارقة المسلمين . .

ثم هناك عبر الصحراء هذه الحرب الصامتة : الجيش الغازي يتكون من حبات الرمل ، وفرسانه الرياح السافية ، وضحاياه الأرض الزراعية والمراعي ، ومن بعدها سكان الارض ، التي سادها الموت واتسعت بها مملكة الخراب .

هذه الحرب ممتدة في العالم الاسلامي الافريقي على جبهة تبدأ من مشارف البحر الاحمر حتى المحيط الاطلسي . .

أليست هذه الحرب أولى أن نخوضها من حرب الأشقاء والجيران . . أو ما يطلق عليه بعض المحللين الغربيين « حرب الأغنياء الذين يشترون الموت بالمال . . »

والآن : هل كنت أمينا مع القارىء عندما وضعت كلمة « الصحوة الاسلامية » في عنوان المقال ، ثم رأى نفسه يسير معي في أرض الدم والدمع ؟ . .

نعم : هذا بعض الحق . وكان الحديث عن العقبات . فماذا عن الجسور والمعابر ؟ فلنتركها الى حين . ولنحاول أن نقوم معا برحلة أخرى عبر الزمان ، وقد كانت رحلتنا الأولى عبر المكان . وبهذا تتكامل الصورة ، ويبدو موقع الصحوة الاسلامية زمانا ومكانا ، ننظر منه إلى مشارف المستقبل .

٢ ـ رحلة الزمان

لقد لقي الاسلام في مساره صنوفا من التحديات ، وتجلت حيوية أجياله في قدرتها على مقابلة هذه التحديات ، فتجعل من عقباتها معابر إلى

آفاق أوسع ، ولنمر عليها مسرعين :

أولا : كان التحدي هو « الدعوة » . أن يصل الاسلام الى الآذان والعقول والقلوب . وأن يتحمل المسلمون مسئولية ذلك . ونـالهم من الأذى البدني والاجتماعي والاقتصادي والفكري الكثير ، وهاجروا الى الحبشة ، وحوصروا في شعب بني هاشم .. ولكنهم استطاعوا تكوين « القاعدة البشرية » التي تستطيع حمل هذه الأمانة .

ثانيا : كان عليهم تكوين « قاعدة أرضية » . من أجل ذلك جاءت الهجرة الى المدينة ، وتكونت دولة الاسلام الأولى ، حيث الأرض والبشر والتنظيم في وحدة إسلامية جامعة . وكان على هذه القاعدة أن تنمو داخليا ، وأن تكون ذاتها خارجيا . وكأن مجالات التحدى اتسعت .

ومرت حياة المدينة في مرحلتين أساسيتين : أولاهما قبول التحدي من مشركي العرب ومن فيهم من اليهود في خط من الحصون يمتد من المدينة الى تيماء مرورا بوادي القرى وخيبر وفدك .

والثانية : قبول التحدي من دولتي الفرس والروم . وبعض هذا التحدي مازال مستمرا حتى الآن .

ثالثا : مرحلة الكوفة : وقد استغرقتها الحروب الداخلية بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان ، وبدت فيها بعض الثمار المرة لفتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسالت فيها دماء ما زالت رطبة حتى الآن .. دماء نبعت منها دماء جديدة ، وثارات ولدت ثارات .. ورغم هذه الصراعات في عهد الخليفة الراشد الرابع ، فقد أرسل جيشا فتح السند (٣٩ هـ/ ٦٦٠ م) وأبرز عناية الخليفة بهذا الوجه من آفاق الفتح الاسلامي

رابعا : كان التحدي في عهد بني أمية أكثر اتساعا ، ورغم هذا حاولت دمشق أن تمسك بالمبادرة في يدها . وتمثلت التحديات في آفاق ثلاثة رئيسية :

(١) الصراعات الداخلية بين القوى الاسلامية

(٢) تنظيم وتحديث الدولة وضبط التوازن بين الأصالة الاسلامية والعربية وبين الحضارات التي لقيها الاسلام ، وبخاصة ما كان في الدولة الرومية

(٣) حماية الدولة الاسلامية برا وبحرا ومد حدودها . ومن أجل هذا خاضت حروبا امتدت شرقا الى الاطراف الغربية للصين ، وشمالا حتى القسطنطينية ، وغربا حتى المحيط الاطلسي ، وعبرت جبل طارق حتى أدركت السهول الجنوبية في فرنسا ، هذا مع المحافظة على نواة عربية إسلامية تحمل المسئولية العليا والقيادات متعاونة مع الشعوب التي قبلت الاسلام دينا .

خامسا : صورة التحدي في العهد العباسي أصابها تعديل جديد ، برز فيه الوجه الحضاري ، وحوار الحضارات حوارا كان عقلانيا أحيانا ، عنيفا داميا أحيانا أخرى . وشهد العالم الاسلامي تمزق وحدته السياسية ، وبرزت خطورة سيطرة العناصر التركية المجلوبة على الجيش ، وسيطرة أسر عربية وغير عربية على أجزاء من الدولة ، وأصبح مضمون الخلافة رمزا أكثر منه حقيقة واقعة ، وانعكس هذا استغلالا للمنتجين الحقيقيين في الزراعة والصناعة والتجارة ، وثورات وتطلعات الى السلطة في أقطار الدولة ، مما مهد الطريق أمام زوال الخلافة العباسية عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م على يد التتار .

سادسا : ومع بروز مراكز بديلة لبغداد في قيادة أجزاء من العالم الاسلامي، إلا أن أكبر التحديات في هذه المرحلة كان عسكريا . وأبرز ما فيه الخطران : التتاري والصليبي . وقد استطاعت المراكز البديلة صد الهجمات والاحتفاظ بالوجود الاسلامي وإن تعددت فيها القيادات ، ولو صحب التعدد تعاون لاستطاع أن يثمر للاسلام خيرا ، ولكن الصراع الذي حدث بينها امتص الكثير من طاقة الاسلام .

سابعا : ولعل أخطر ما حدث هو سبق دول غرب أوروبا إلى كشف العالم الجديد ، والطواف حول

افريقيا وحول العالم . وبهذا أمكن تطويق العالم الاسلامي والضغط عليه واختراقه وتمزيقه في قطاعاته الأسيوية والافريقية والعربية . وأصبح التحدي الكبير هو كيف تحافظ الدول الاسلامية على استقلالها . وأكثرها عجز عن ذلك .

ثامنا : وجاءت تباشير الصحوة الاسلامية مع القرن العشرين على مستوى وطني . ولكل قطر شأن يغنيه ، واستطاع بعضها أن يستعيد استقلاله ، وقويت الموجة بعد الحرب العالمية الأولى ، وعلت بعد الحرب العالمية الثانية ، وإن استطاع الاستعمار أن يغرس خنجرا غائرا في جسم العالم الاسلامي ، بدأ بوطن قومي لليهود ، أفرخ قيام اسرائيل كقاعدة استيطانية توسعية ، تتلقى المدد الدائم - البشري والمادي والمعنوي - من عدد من الدول الكبرى ، وتمثل تهديدا دائما للعالمين العربي والاسلامي ، ولها تعاونها المنتظم مع قاعدة مناظرة في جنوب افريقيا .

تاسعا : ومع ثورة الاتصال المعاصرة ، وتوافر موارد اقتصادية في بعض أجزاء العالم الاسلامي كالنفط ، ومزيد من الاحساس بالأصالة من ناحية ، والرغبة في التكتل الواعي من جهة اخرى ، وقوة الاحساس بالأخطار المحدقة بالعالم الاسلامي ، ظهرت الحاجة الى تنظيم تجمع جديد . تبلور في إنشاء « منظمة المؤتمر الاسلامي » بعد المحاولة الآثمة لحريق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩ .

ولم نكن وحدنا في هذا الاتجاه التجمعي - العرب ، الأفارقة ، كتلة عدم الانحياز - مجموعات نرجو أن تتعاون دون تداخل أو تعارض . .

والآن ، وبعد رحلتي الزمان والمكان ، ما صورة التحدي المعاصر ؟

٣ - التحدي المعاصر

لك أن تقول انه « التحدي الشامل »

وإذا رجعنا - كمثال قريب - الى مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الخامس الذي شهدته الكويت في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ جمادى الاولى ١٤٠٧هـ - لرأينا صورة هذا الشمول الذي يضم الآفاق السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتربوية . . ثم هو ينطلق من نقطة مركزية هي المسجد الأقصى والقدس الشريف وفلسطين ، لتتداح دوائره حتى تضم العالم الاسلامي كله والجاليات الاسلامية في مهاجرها الجديدة . . وهي مقررات تعنى بالبشر ، كما تعنى بالأرض التي يعيشون عليها ، وتربط بين الأصالة والنظرة المستقبلية ، وتنظر الى التراث ككيان له نموه وحيويته المتجددة .

وهنا يطرأ سؤال :

ما العلاقة بين حجم القدرات وحجم الآمال ؟

وكيف نقيم الجسور بين الواقع والأمل فوق أخاديد الطريق ، ورغم العقبات ؟

إن رصد الآمال بعض الطريق . ونحن في حاجة الى ما يمكن أن نسميه « الامل والعمل » ، أو « الكلمة والعمل » . . الكلمة الحية القادرة على أن تكون عملا ، مصداقا لقوله الله تعالى :

« وقل اعملوا » . . وإذا انقطعت الكلمة عن أصولها أصابها اليتم . وإذا انقطعت عن العمل أصابها العقم . وإذا ظلت تتردد من لقاء الى لقاء عاشت في طفولة لا تبلغ رشدا ، ولا تعطي ثمرا .

ولو نظرنا الى التحديات في تعاقبها الزماني وامتدادها المكاني ، رأينا أن لكل منها « خصوصية » ، تتفرد فيها بصفات ، وتتشابه مع غيرها في أخرى . فنقل التجربة - أي تجربة - بحرفيتها وإسقاط العوامل الزمانية والمكانية غير وارد .

وتصوير العصور أو الاقطار الذهبية في الحضارة الاسلامية « كنماذج تحتذى جملة وتفصيلا غير وارد . فالزمان في تغير ، يحدث بطيئا أحيانا وسريع أحيانا . ولو تشابه الزمان والمكان فكيف ندرك قوله تعالى « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف

ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » (الروم ٢٢) ، وقوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد ١١) والحياة حوار بين عوامل الاستمرار والتغير ، بل إن الاستمرار هو تغير بطيء ، والتغير استمرار قصير الأمد

ودراسة الأحداث للعبرة والذكرى والله يقول « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » يوسف ١١١)

ولكل مشكلة دراستها الخاصة التي تفيد من التجارب السابقة والعلم الحديث ، والعوامل الطبيعية والبشرية لموقع المشكلة زمانا ومكانا وتكوينا

٤ ـ الطريق

ويفرض هذا على العالم الاسلامي المعاصر « تشكيل عقلية اسلامية » قادرة على الاحاطة بهذا كله وهو عمليا فوق طاقة فرد أو جماعة محدودة

بين هؤلاء جميعا قدر مشترك من الايمان بالله والاخاء وحب العلم ونكران الذات والصبر ، ولكل مجموعة دوح فريق تتعاون به ، وللكل تنظيم إسلامي ، يضع الخريطة العامة التي تتوزع بها المسئوليات ، عابرة الحدود السياسية والعصبيات الضيقة ، والتوترات الاقليمية

هذه العقلية تحتاج في تشكيلها إلى رعاية دائمة فهي لا تبدأ من فراغ ولا تعيش فيه وتشكيلها حوار متصل يستهدف مزيدا من الوعي بمشكلات العصر ومسئولياتنا في عالمنا الاسلامي ، كحضارة متفاعلة مع المسيرة العالمية

ونود أن تصبح هذه العقلية تيارا قويا قادرا على امتصاص كثير من الطاقات التي تبددها الصراعات الضيقة والطائفية والاهتمامات الجزئية الانعزالية ، لنتوجه جميعا إلى مقابلة التحدي الحضاري المفروض على العالم الاسلامي ، ذلك التحدي الذي رأينا امتداده المكاني وتغيراته الزمانية وتشابكاته الموضوعية

يضاف إلى هذا أننا اذا كنا نتجه إيجابيا نحو هذا الهدف ، فهناك من يحاول صرفنا عنه ، وتبديد طاقاتنا في مسارب جانبية وهذا يفرض علينا مسئولية مضافة ، وهي مقاومة العقبات التي يضعها الآخرون في طريقنا فكريا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا

وكنموذج لهذا الصراع والهجوم المنظم على الاسلام والعروبة في العالم الجديد ، أشير الى كتاب « بول فندلي من يجرؤ على الكلام اللوبي الصهيوني وسياسات أمريكا الداخلية والخارجية »وقد صدرت طبعته الاولى الانجليزية والعربية عام ١٩٨٥

وبول فندلي ظل اثنين وعشرين عاما عضوا في الكونجرس الامريكي من ولاية ألينوي وعندما اتصل بالعرب مباشرة ، وأخذ يعلن رأيه الصريح في وجوب أن تستمع الولايات المتحدة إلى كل الأطراف بتوازن ، حاربه اللوبي الصهيوني حتى تمكن من أن يحول بينه وبين إعادة الانتخاب عام ١٩٨٢ وتوفر فندلي على هذا الكتاب الذي يسد ثغرة واسعة في المكتبة الامريكية والعربية

فالطريق طويل والعمل فيه محتاج الى تنسيق على الصعيد الاسلامي العالمي ومبدؤه الانسان المسلم في قطاعاته الاربعة العربي والافريقي والآسيوي وحالات المهاجر الجديدة وفي اهتماماته المتكاملة

وأولى الهيئات بشئون تنظيمه ومتابعته هي منظمة المؤتمر الاسلامي

والأمل كبير في أن تقوم الكويت في هذه الدورة الخامسة لرئاسة المؤتمر ، بدور رائد نحو هذا الهدف المنشود □



بقلم الدكتور سمير رضوان

أكثر الميكروبات التي تعمر الأرض مسالم وديع ، بل إن الحياة بصورتها التي عهدناها على كوكبنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بأنشطة هذه الميكروبات . ترى ما الذي يطرأ على هذه الصورة لو أننا عقمنا كوكب الأرض تعقيما كاملا ؟ الرد على هذا السؤال هو محور هذا المقال .

في منتصف السبعينيات أصدرت احدى دور النشر بلندن كتابا في الثقافة العلمية، ترجمة عنوانه « حلفاء غير مرئيين » . ولقد قصد المؤلف الميكروبات على كوكب الأرض بهذا العنوان . ومازلت أذكر أن محتوى الكتاب قد راقني على الرغم من أن تحفظات أساسية على عنوانه المذكور قد ظلت تلح على خاطري منذ قرأته أول مرة ، فقد كنت ـ ومازلت ـ أرى أن وصف ميكروبات الارض بأنها مجرد حلفاء للانسان فيه قدر كبير من تسطيح قيمة هذه الأحياء وشأنها في الحياة عامة ، فقصارى أمر الحليف أنه يشد من أزر حليفه ساعة الضيق ، وربما عاونه في الدفاع عن حياته إذا تعرضت للخطر ، ثم إن التحالف ينجم عنه في الواقع منافع متبادلة بين الحليفين ، أما علاقة الميكروبات بالانسان فتختلف عن ذلك كثيرا ، فهي ليست مجرد صورة من صور التحالف .

بل واقع الأمر أن حياة الانسان وغيره من الأحياء الراقية ليست ممكنة أصلا لولا الميكروبات ، أما حياة الميكروبات فمستمرة حتى لو بادت الأحياء الراقية جميعها . وهذا ما أهدف إلى إيضاحه على الصفحات القليلة التالية .

الميكروبات أحياء وديعة

أود في البداية أن أدعو القارىء إلى نبذ الاعتقاد الشائع الذي مفاده أن الميكروبات ليست سوى تلك الأحياء الضارة التي يثير اسمها الذعر في النفوس ، لارتباطه بكثير من الأمراض والأوبئة ، إذ ليست هذه في الحقيقة إلا نسبة يسيرة للغاية من هذه الأحياء ، أما مجمل الميكروبات من بكتريا وفطريات وطحالب فكائنات مسالمة وديعة ، دقيقة التركيب ، سريعة القدرة على التكاثر ، شديدة النشاط ، تقطن جميع البيئات المحيطة بنا من تربة ومياه وهواء وأغذية ، وكثيرا ما تقترب منا اقترابا لصيقا دون أن نشعر بها ، ودون أن نملك لها دفعا ، فتتعايش معنا في وئام وسلام ، ملتصقة بجلودنا ، أو متخللة أجوافنا كأجهزتنا الهضمية بأعداد لا تحصى ولا تعد . ولقد استنبط العلماء طرقا لعزل هذه الأحياء ، وفصلها في صور نقية ، بغية دراستها والتعرف عليها ، واستأنسوا كثيرا منها وروضوه بعد أن باح لهم بأسراره ، وسخروه من أجل فائدة الانسان ، تماما كما استأنس أجدادنا الأقدمون الحيوانات ، والنباتات البرية ، وانتقلوا خلال ذلك من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة والاستقرار . وتشير الاتجاهات البحثية الجديدة إلى أن إنسان المستقبل سوف يزداد اعتماده على الميكروبات في إنتاج غذائه ودوائه وكسائه ،وفي الحصول على الطاقة اللازمة لبعض صناعاته .

نادرا ما يتذكر الانسان أنه أحدث ظاهرة حياتية على الأرض ، بمعنى أنه أحدث الأحياء على الاطلاق . ونظرا لأن الله قد سخر له شتى الأحياء الأخرى فإنه كثيرا ما يعتبر نفسه الأصل على كوكب الأرض ، وما عداه من أحياء جاءت ضيوفا عليه . والثابت لدى العلماء أن البكتريا - على وجه اليقين - كانت هي أولى الأحياء التي ظهرت على كوكب الأرض ، وهي التي عمرتها حينها لم تكن أحياء أخرى سواها قد خلقت ، كما أن هناك من الأسباب القوية ما يدفع العلماء إلى الاعتقاد بأن جميع أحياء الأرض قد تطورت عن البكتريا ، على أن الثابت ثبوت اليقين هو أن البكتريا هي أصل المادة العضوية التي تتشكل منها أجسام أحياء الأرض بما فيها الانسان ، كما أنها هي مصدر الأكسجين الذي تتنفسه هذه الأحياء .



لم يحتفظ جثمان لينين بقوامه كل هذه السنين (منذ سنة ١٩٢٤) الا لأنه معقم تماما ومعزول عن ميكروبات الجو

الميكروبات أصل المادة العضوية

لكي نقرب هذا الموضوع من ذهن القارىء لابد لنا أن نوغل - معا - في الماضي السحيق حقبة مقدارها أربعة آلاف وخمسمائة مليون سنة ، وهي مقدار العمر الذي حدده العلماء لكوكب الأرض ، ولم يقدر العلماء هذا العمر جزافا ، إنما حسبوه بمقاييس علمية ، على درجة كبيرة من الدقة ، لا يسمح المجال هنا بالتعرض لها .

كانت الأرض في ذلك الحين كرة ملتهبة ، وكانت

بالطبع خالية تماما من المواد العضوية ، وهي المواد التي تتكون منها أجسام الأحياء ، وأهمها البروتينات والسكاكر والدهون ، ومع درجات الحرارة المرتفعة التي كان عليها كوكب الأرض في البداية،لا يتصور وجود هذه المواد التي نعلم أنها تحترق بالحرارة وتتحلل . إذن لم تكن الأرض مكونة إلا من مواد غير عضوية ، وهنا يلح علينا سؤال منطقي ، وهو متى نشأت المادة العضوية التي تتكون منها أجسام الأحياء وكيف ؟

لقد ظلت الأرض ـ بعد نشأتها ـ خالية تماما من المادة العضوية حقبة من الزمن ، يقدرها العلماء ـ بناء على حسابات دقيقة ـ بحوالي بليون ونصف بليون سنة ، ومن الخطأ استبعاد هذه الحقبة الزمنية من عمر الحياة على الأرض ، لأن تغيرات طبيعية وكيميائية لا تحصى قد حدثت خلال هذه الحقبة ، ممهدة لنشأة المادة العضوية ، ومن ثم نشأة الأحياء ، وتتضمن أهم التغيرات الطبيعية التي تمت في هذه الحقبة برودة القشرة الخارجية للكرة الأرضية وتصلبها ، ثم تكثف بخار الماء وتجمعه في تقعرات نشأت عن تقلص حجم الكرة ، مكونا البحار والمحيطات القديمة ، وكان هذا التغير الأساسي في جو الأرض وتركيبها خطوة أساسية ممهدة لنشأة المادة العضوية ، ونشأة الخلايا الحية التي نعلم اليوم ـ بالتأكيد ـ أنها قد ظهرت لأول مرة في المياه التي كانت على درجة معقولة من البرودة ، تسمح ببقاء المادة العضوية ثابتة ، وإن كان جوف الأرض مايزال ملتهبا ، وتذكرنا البراكين بحممها المستمرة بذلك بين الحين والحين . ولقد احتدم الجدل زمنا بين العلماء حول مصدر المادة العضوية على الأرض ، فهناك من كان يرى أن مصدر هذه المادة ـ في الأصل ـ الفضاء ، وهذا قول يسهل استنباط مواطن الخطأ فيه ، إذ من المعلوم اليوم أن النيازك التي تصلنا من الكواكب الأخرى لابد أن تخترق طبقة الهواء محتكة به ، فيتولد عن ذلك قدر من الحرارة لا يمكن لأية مادة عضوية أن تبقى ثابتة معه .

إذن لابد من أن المادة العضوية التي تشكلت منها الأحياء الأولى قد نشأت على سطح الأرض من المواد المتوافرة في ذلك الزمن القديم . واختلف العلماء ـ أيضا ـ حول المادة العضوية الاولى هل تكونت أولا ثم تشكلت منها خلايا الأحياء الاولى ، أم أن الأحياء الاولى قد نشأت أولا ، ثم من تحللها بعد موتها تراكمت المادة العضوية . ولا يستلزم الأمر إلا قليلا من التفكير لكي يتوصل المرء إلى أن الافتراض الأول هو الأكثر قبولا ، إذ يستوجب قبول الافتراض الثاني أن نفسر من أين جاءت المادة العضوية التي تشكلت منها الخلايا الأولى ، والمقبول لدى أصحاب الاختصاص الآن هو أن التغيرات الطبيعية والكيميائية (والضوء كيميائية) التي قد حدثت في جو الأرض ـ أثناء الحقبة الاولى من عمرها التي امتدت بليونا ونصف بليون سنة ـ قد أدت الى تحول بعض المواد غير العضوية المتوافرة بكثرة إلى مواد عضوية معينة ، تدخل في تركيب الخلايا الحية ، كما يعتقد العلماء أن هذه المواد العضوية قد تراكمت في مياه المحيطات ـ بالذات ـ على مدى ملايين من السنين ، حيث لم تكن هناك بعد أحياء تتغذى بها ، وقد بلغت وفرتها حدا جعل علماء اليوم يطلقون على مياه البحار القديمة ـ بما فيها من مواد عضوية ـ اسم « الحساء العضوي » . وليس الأمر ـ كما قد يتبادر إلى الأذهان ـ مجرد تخمينات ، بل هي أفكار موضوعية ، مؤيدة بالتجربة العلمية التي لا يتسع المجال هنا للتعرض لها تفصيلا ، على أنه من المفيد أن نذكر أن العلماء ـ في تجاربهم هذه ـ قد حاولوا تقليد هذه الفترة من تاريخ الأرض ، من الناحيتين الكيميائية والطبيعية ، فجمعوا مواد غير عضوية ـ لاشك أنها كانت موجودة في جو الأرض القديم ـ ثم وضعوها تحت ظروف شبيهة بالظروف القديمة ، منها الحرارة والاشعاع والكهرباء وغيرها من مصادر الطاقة العالية ، ولما حللوا الناتج كيميائيا ثبت لديهم احتواؤه على اخلاط من مواد عضوية ، تدخل في

تركيب الخلية الحية ، كالأحماض الأمينية والسكاكر والدهون وغيرها ، ثم لابد من أن الخلايا الحية الأولى قد نشأت من مكونات هذا « الحساء العضوي » ، ولا يمكن لمثل هذه الخلايا إلا أن تكون مشابهة في صفاتها لبعض أنواع البكتريا التي تعيش على سطح الأرض اليوم ، ثم لابد أن هذه البكتريا قد عاشت تتغذى على المادة العضوية المذكورة ، وظلت تتكاثر فيها بنشاط حتى استهلكتها أو أوشكت . وربما يسأل سائل : وهل كان لهذه الأحياء قدرة على تحمل الظروف البيئية القاسية في ذلك الوقت كالحرارة العالية ونقص الاكسجين وغير ذلك ؟

نعم ، إن أحفادها تعيش بيننا اليوم ، وهناك من البكتريا مجموعة تفضل درجات الحرارة التي تقترب من درجة غليان الماء ، ومنها ما يتحمل الاشعاع الذي يقتل سواها ، ومنها أيضا ما يعيش بمعزل عن الأكسجين . ثم إن هذه الأحياء لابد أنها كانت تحتمي من الاشعاعات الشديدة الخطورة بالمعيشة في طبقات عميقة نسبيا من مياه المحيطات ، ويقدر المتخصصون ـ بناء على حسابات على درجة مرضية من الدقة ـ أن مثل هذه البكتريا الأولى قد ظهرت منذ حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة ، ولما نضب المحتوى العضوي للحساء حولها اضطرت إلى التطور في أنشطتها ، كي تستطيع أن تصنع بنفسها غذاءها العضوي من المواد غير العضوية المتوافرة بكثرة ، وذلك من خلال ما يعرف بعملية التمثيل الضوئي ، وعمليات أخرى مشابهة مازالت تقوم بها إلى اليوم أحفاد بكتيرية لم تتطور كثيرا منذ ذلك التاريخ .

ونوجز ما ذكرنا فنقول إن المادة العضوية التي تشكلت منها الأحياء الأولى لابد أنها قد نشأت من خلال تفاعلات كيميائية محضة ، ولكن هذه المادة سرعان ما استهلكت كغذاء لهذه الأحياء التي اضطرت للتطور منتجة المادة العضوية بنفسها من المواد غير العضوية ، وهذه المادة العضوية الجديدة هي التي تغذت بها كائنات أخرى لاحقة ، وشكلت منها أجسامها ، وتطورت ، حتى أصبحت أشكالها على ما نراه اليوم حولنا .

الميكروبات أصل الاكسجين

ظل جو الأرض ـ من قبل ظهور الحياة وإلى ما بعد حوالي ألف مليون سنة من ظهور أوائل البكتريا ـ خاليا من الاكسجين ، وغني عن القول أن جميع أنواع البكتريا التي تطور بعضها عن بعض خلال هذه الحقبة كانت لا هوائية في تنفسها ، ومازال هناك ـ كما ذكرنا ـ أحفاد لهذه البكتريا إلى اليوم ، باقية بلا تطور يذكر في هذه الصفة . وقد حدد علماء الأحياء خطى التطور بدرجات متفاوتة من الدقة ، ورغم اختلافهم فيما بينهم في كثير من التفاصيل إلا أنهم متفقون تماما على قفزات تطورية محددة لا يجادلون فيها أبدا ، ونشأة الاكسجين في الجو هي إحدى هذه القفزات التطورية المتفق عليها ، إذ أن نشأة الاكسجين في الجو مرتبطة بظهور أنواع من البكتريا ، تعرف بالبكتريا الخضراء المزرقة التي تطورت عن البكتريا الأولى ، وكانت أولى الأحياء على الاطلاق التي أنتجت غاز الاكسجين كناتج ثانوي عن عملية التمثيل الضوئي . ومن المثير حقا أن أنواعا من هذه البكتريا التي بقيت على حالها منذ زمن بعيد تستطيع أن تنتج الاكسجين ، رغم أنها لا هوائية ، مما يجعلنا نتصور أن أسلاف مثل هذه الأنواع هي التي أنتجت أول أكسجين في جو الأرض ، وأن تجمع الاكسجين في الجو هو الذي قلب ميزان الحياة على الأرض تماما ، ومهد لتطورها بأسلوب أدى إلى ما آلت إليه اليوم ، فلولا البكتريا الخضراء المزرقة لما تكون اكسجين ، ولظل جو الأرض لا هوائيا، ولسلك التطور وجهة أخرى ، ولنشأت كائنات أخرى لاهوائية راقية ، لا تتفق في صفاتها مع كائنات اليوم .

ولا تقتصر أهمية الاكسجين من الناحية التطورية على ما ذكرنا ، بل إن دوره أعمق من ذلك بكثير ،

فمن المعروف أن هذا الغاز إذا عولج بطاقة عالية تحول إلى غاز الأوزون الذي يتميز بقدرة فائقة على امتصاص الاشعاعات الكونية ، وقد تجمعت مع الزمن طبقة من الأوزون الذي نتج من تعرض اكسجين الجو للاشعاع ـ هذه الطبقة موجودة الآن على ارتفاع يصل في متوسطه الى ٢٥ كيلو مترا عن سطح البحر ـ تغلف جو الأرض بإحكام ، مكونة سياجا يحمينا من إشعاعات الكون القاتلة التي تنهال على كوكب الأرض بصفة مستمرة وتراود المعنيين بسلامة البيئة مخاوف شتى من أن تحدث الملوثات الغازية فجوات في طبقة الأوزون هذه ، مما قد يعرض الحياة على الأرض للخطر ، وهي مخاوف لها ما يبررها بالتأكيد ، كما أن عوامل التجارب النووية ، ودوي الطائرات التي تخترق حاجز الصوت ، وصواريخ الفضاء ، ربما تكون لها نفس الآثار على هذه الطبقة نستخلص من هذه الفقرة نتيجة جديدة ، مفادها أن الميكروبات هي التي كانت المسبب الأول في تكوين الاوكسجين الجوي ، ولولاها لما تكون غاز الأوزون بكميات تشكل الطبقة التي تحمي الحياة الآن ، ولظلت الأشعة الكونية تضرب سطح الارض بلا هوادة ، مهلكة الحياة ، وكأننا في حرب نووية دائمة

ماذا لو عقمنا كوكب الأرض؟

رأينا أن الميكروبات هي أصل الحياة على كوكبنا ، وهي التي مهدت لتطورها ، حتى صارت إلى ما هي عليه الآن . فهل يا ترى انتهت أهميتها عند هذا الحد ؟ وهل يمكن للحياة الكائنة على الأرض اليوم أن تستمر بلا ميكروبات ؟ ولكي نرد بإجابة موضوعية عن هذين السؤالين دعنا ننظر في شأن الحياة على الأرض لو أننا عقمناها ، ويحسن أن نجيب أولا عن سؤال يأتي بالتداعي ، وهو : هل بامكاننا حقا أن نعقم الأرض ؟ ودون الخوض في التفاصيل هذا مستحيل ، لأن جميع المعالجات سوف تفضي أولا إلى



هكذا سوف تصبح تربتنا الزراعية ـ جدباء فقيرة . . لو أننا قتلنا الميكروبات في الأرض

هلاك الأحياء الأخرى ، قبل أن تصاب الميكروبات بسوء ، ومع ذلك فما لا نستطيع إدراكه بالتجربة العلمية نستطيع محاولة إدراكه بالاستنباط العلمي ، وإليك بعض ما يمكن أن ينجم عن تعقيم كوكب الأرض ، وهو ليس محض خيال ، بل واقع علمي منطقي .

عندما يموت الانسان ويوارى جثمانه في الثرى ترتفع روحه إلى بارئها ، أما جسده « فيفنى » ، وواقع الأمر أنه يصبح غذاء لميكروبات التربة ، فتهضم مكوناته وتحللها ، كما نهضم ـ نحن ـ اللحم ونحلله ، وتعيد المادة العضوية في الجسد إلى سيرتها الأولى ، أي إلى مادة غير عضوية ، وما ينطبق على الانسان ينطبق على شتى الأحياء ، وعملية التحلل هذه حلقة أساسية في دورات العناصر الطبيعية على كوكب الأرض ، فكميات العناصر في النهاية ثابتة لا تتغير ، لكنها تظهر في صور مختلفة . ولنأخذ أحد أهم هذه العناصر وهو الكربون الذي يمثل عاملا مشتركا في جميع المواد العضوية ، فعندما تحلل الميكروبات المادة العضوية في أجسادنا يتحول الكربون إلى غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتصاعد

إلى الجو ، ولاكتمال الدورة تقوم النباتات الخضراء بتحويل هذا الغاز مرة أخرى إلى الصورة العضوية خلال « التمثيل الضوئي » ، موفرة بذلك غذاء لأجيال جديدة من البشر ، فالكربون الذي في أجسادنا - نحن - كان في أجساد من سبقونا ، وسوف يظهر في أجساد من يأتون بعدنا ، ويتضح من ذلك أن تعقيم الأرض معناه تجميد دورات العناصر عند مرحلة المادة العضوية الكائنة في الأجساد الحية الميتة ،

وعاجلا أو آجلا سوف تتجمد كل المادة العضوية على هذه الصورة ، وعندئذ لن تجد الأجيال مادة عضوية تبني منها أجسادها ، . وإذا أبى القارىء إلا أن نبرهن له على ذلك بالتجربة العلمية فليقم بزيارة الكرملن في موسكو ، وليشاهد جثة لينين مثلا ، فكأنه مات الآن ، وقد احتفظت الجثة بقوامها كل هذه السنين لأنهم عقموها ، وحفظوها داخل صندوق كامل الاحكام معقم ، ولولا ذلك لحللت الميكروبات هذا الجسد كما تحلل غيره من أجساد خلق الله .

سوف نغرق في مخلفاتنا

سوف يستغرق الأمر بعض الوقت بالطبع ثم تتوقف عجلة الحياة تماما ، وفي أثناء ذلك لن تتوقف الآثار السلبية لتعقيم كوكب الأرض ، ومن ذلك أن جميع مخلفات الانسان والحيوان والنبات سوف تتراكم منذ اللحظة الاولى ، يوما بعد يوم ، حتى تصبح تلالا ضخمة ، وسوف تشمل هذه المخلفات إفرازات الانسان الطبيعية ، كالبراز والبول ، إضافة الى المخلفات الناتجة عن أنشطتنا اليومية ، وعن الصناعة ، وستزيد المخلفات عن ملايين الأطنان يوميا لمدينة متوسطة الحجم ، وسوف تتراكم المخلفات الغازية الناتجة عن احتراق وقود السيارات والطائرات ، وكذلك الغازات المصاحبة للنفط التي تتغذى بها أنواع كثيرة من البكتريا .

لن يجد الجيل الأخير من البشر ما يقتات عليه ، وسوف يموت الناس جوعا ، فاللحوم التي يأكلها الانسان ليست سوى إنتاج مباشر للميكروبات في أجواف الحيوانات المجترة ، أما التربة فستصبح جدباء ، لا حياة فيها ، لأن ميكروبات التربة هي المسئولة - مسئولية مباشرة - عن خصوبة التربة ، فهي التي تحول شتى العناصر إلى صور متاحة كغذاء لنباتات المحاصيل ، وسوف يعاني الانسان من نقص شديد في كثير من الفيتامينات ، فقد أصبح من المعروف أن بكتريا معينة - تقطن جهاز الانسان البشري - هي التي تفرز فيتامينات ، وتوفر حاجة الانسان من هذه المواد ، وما هذه إلا بعض الأمثلة لما قد يحدث على كوكب الأرض إذا عقمناه .

خلاصة القول أن الحياة برمتها على سطح كوكبنا ما كان لها أن تنشأ - أصلا - لولا الميكروبات ، ولو أننا استطعنا أن نلغي وجود الميكروبات من الأرض - ولن نستطيع - فنحن سنحولها - ببساطة - إلى كوكب ميت تماما .

فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول بأن الميكروبات خلفاء غير مرئيين للانسان ؟ كلا ، وأحسب أن القارىء قد أصبح يتفق معي على أن ما يمكن أن يقال في شأن هذه الأحياء هو شيء من قبيل العنوان بهذه المقالة .

لي كلمة أخيرة تتعلق بموضوع هذه المقالة ، فكثيرا ما يضيق الانسان السوي بوجود الشرور على الأرض ، ويتساءل المؤمن مستغفرا : أما كان من الأجود أن يخلق الله الحياة بلا شرور ؟ ولعل القارىء قد تبين مما كتبناه أن مثل هذه النظرة قاصرة جدا في الواقع ، بل هي وليدة خطأ عام ، ينزلق إليه الانسان كلما حكم على جزئية بمعزل تام عن الأمر ككل ، فالذي يضيق صدره بميكروبات الكوليرا والسل وغيرها لاشك أنه يصبح أكثر قبولا لوجودها على كوكب الأرض حينما يدرك أن رفض الميكروبات بمجملها له أوخم النتائج ، فسبحان الذي خلق الخير والشر ، كلا لا يتجزأ ، وقدر لكل دوره في الدنيا . □

الردع وتوازن القوى

دروس حرب السويس

بقلم : أمين هويدي

« تظل حرب السويس واحدة من الحروب التي تعد مادة جيدة للدراسة والتحليل . فقد تشابكت في الحرب وحولها كل قوى العصر ، إقليمية ودولية ، ومازالت هذه الحرب إلى يومنا هذا نموذجا لدراسة استخدام القوة الساخنة والباردة (ديناميكيا) ساخنا و (استاتيكيا) باردا .

لم تبدأ حرب السويس يوم ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ ، لكنها بدأت قبل ذلك بأشهر طويلة ، وقد تدرجت البدايات حتى وصلت إلى نقطة الصدام الساخنة يوم بدء العمليات العسكرية ، وبينما أخذ الصراع الاقليمي يشتد وترتفع درجة حرارته بين مصر وأطراف المثلث التآمري - « اسرائيل »وبريطانيا وفرنسا - وفق توزيع الأدوار الذي تم بين المتآمرين،كان هناك مستوى آخر لادارة الأزمة ، يقوم به اللاعبون الكبار ، وإذا كانت صورة المواجهة العسكرية هي ما يمكن أن نسميه « الاستخدام (الديناميكي) المتحرك للقوة » فإن إدارة الأزمة من قبل اللاعبين الكبار (السوفيت والأمريكان) كان من نوع الاستخدام البارد (الاستاتيكي) للقوة ، ويقصد به استخدام القوة في حالة الثبات .

ويعد الانذار السوفيتي الذي وجهه بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي يوم ٦ نوفمبر عام ١٩٥٦ درسا (كلاسيكيا) تقليديا لاستخدام القوة في حالة الثبات .

لهجات مختلفة

كان الانذار عبارة عن أربع رسائل موجهة إلى كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا و « إسرائيل » ، وكانت بتوقيع بولجانين رئيس الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت .

وكان الانذار بلهجات مختلفة ، فبينما كانت اللهجة حاسمة تشجع على أخذ موقف مشترك إلى ايزنهاور أصبحت لهجة حاسمة فيها تهديد باستخدام الصواريخ لكل من أنطوني إيدن ، وجي موليه ، لكنها حملت الازدراء والتحقير لبن جوريون .

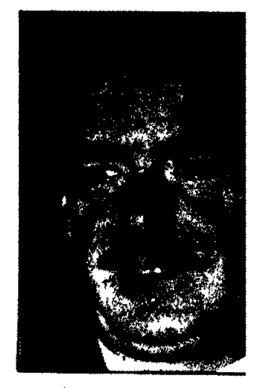
وقد دار حوار كبير - ومازال - عن حقيقة رد الفعل الذي أحدثه هذا الانذار . لكنني سأكتفي بنقل رد

الفعل على لسان كل من المرسل إليهم .

يقول داويت ايزنهاور في كتابه « النضال من أجل السلام » ما نصه : « لقد كتب إلي بولجانين مقترحا إرسال قوة مشتركة لبلدينا إلى مصر ، لوضع حد للقتال ، إذ أنه مالم تتوقف الحرب الجارية فإن الموقف يمكن أن يتطور إلى حرب ثالثة » ، « وقد عقدت اجتماعا لاصدار بيان على رسالة بولجانين ، وقلت للمجتمعين إن البيان يجب أن يشمل تحذيرا واضحا وهو أن أعضاء الأمم المتحدة - ومن ضمنهم الولايات المتحدة - سوف يعارضون أي محاولة لافشال خطة الأمم المتحدة لفرض إيقاف إطلاق النيران بالقوة ، ثم قلت للمجتمعين إن السوفييت وهم يرون فشلهم في دول الكتلة الشرقية قد يقدمون على أي مجازفة شرسة ، كما فعل هتلر في أيامه الأخيرة ، فليس هناك أخطر من (دكتاتورية) تجد نفسها في مثل هذه الظروف » ، ثم يستطرد في موضع آخر من كلامه فيقول : « اجتمعت بهيئة الأركان المشتركة ، وقدمت اقتراحات عديدة بخصوص حالات الاستعداد التي يجب علينا اتخاذها ، ووافقت على بعضها ، وأمرت باستدعاء الجنود من إجازتهم كعلامة للروس على استعدادنا لمواجهة التهديد ، واتصلت بإيدن هاتفيا ، وقلت له إن من الحكمة أن يتمشى مع قرارات الأمم المتحدة الآن دون شروط ، لأن هذا سيحرم السوفييت من أي فرصة لخلق المتاعب ، ووافق ايدن قائلا إنه لو أمكنه الاحتفاظ بمركزه كرئيس للوزراء حتى الصباح فإنه سيتصل بي » .

وقال كريستيان بينو ، وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت ، عن تهديد بولجانين ما نصه : « أرسل بولجانين أربع رسائل ، الأولى موجهة إلى ايزنهاور ، وثلاث رسائل موجهة إلى كل من جي موليه ، وايدن ، وبن جوريون . يمكن تلخيص الرسالة التي تلقيناها في أنه سيكون للحرب التي تشنها فرنسا وانجلترا - مستخدمتين في ذلك « اسرائيل » - عواقب وخيمة على السلام العالمي ، وأجد من واجبي - كما يقول بولجانين - أن أبلغكم أن الحكومة السوفيتية عاقدة العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين ، وإعادة السلام إلى منطقة الشرق الأوسط ، وتنتهي الرسالة بدعوتنا إلى التعقل وضبط النفس ، أما الرسالة الموجهة إلى إيدن فأكثر عنفا ، إذ كانت تحمل تهديدا مباشرا باستخدام الصواريخ السوفيتية ضد بريطانيا ، ومن المؤكد أن هذه الرسالة أثرت على إيدن ، لكنها لم تفعل التأثير الحاسم الذي يدفعه إلى إيقاف القتال ، فالعامل الحاسم كان - بلا جدال - تهديد ايزنهاور بضرب الجنيه الاسترليني ، وكانت قد بدأت بالفعل مضاربة ضد العملة البريطانية في وول ستريت ، ووراء هذه المضاربة البنك المركزي الأمريكي ، ولو استمرت تلك المضاربة لأدت إلى كارثة محققة للاقتصاد البريطاني .

كانت الولايات المتحدة بمساندة شركات البترول الكبرى تشن هجوما على بريطانيا في مجال يعتبر نقطة قوة لأمريكا ، ونقطة ضعف لبريطانيا ، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة وإن كانت لم تبلغ عبر القنوات الرسمية بنوايا فرنسا وبريطانيا و « اسرائيل » إلا أنها كانت تعلم أننا سنقوم بالهجوم عن طريق بعض الاتصالات ، كذلك فقد أفسح الأسطول السادس الأمريكي المجال في البحر المتوسط لقوات الانزال الفرنسية والبريطانية ، وأؤكد أن ايزنهاور ضغط على حلفائه حتى يتجنبوا المواجهة مع السوفييت ، ولا نعلم - بالضبط - ماذا دار من حديث عبر الهاتف بين ايزنهاور وإيدن ، لكن رئيس الوزراء البريطاني كان يبدو منكسرا تماما ، وقد ناقشته طويلا - فيما بعد - في هذا الموضوع ، فأكد لي أن تهديد ايزنهاور للجنيه الاسترليني كان العامل الحاسم في قرار وقف القتال ، والانسحاب الذي تم بعد ذلك » . لكن لم يذكر (بينو) شيئا عن الحافز الذي دفع ايزنهاور إلى شن الحرب الاقتصادية على بريطانيا .



انتوى ايدن



حى موليه

س حوريون



أيزنهاور

قوى الاقتصاد أيضا

يقول إيدن في مذكراته : « الضغوط استمرت علينا طوال يوم ٥ نوفمبر لوقف النيران وقبول وجود للأمم المتحدة ، لكننا لم نوافق ، إذ ما فائدة وجود القائد ممثلا في الأمم المتحدة ودون جنود ؟ وفي الليل وصلتنا رسالة بولجانين التي أذاعها قبل أن نتسلمها ، والتي أعلن فيها أن الحرب على مصر يمكن أن تتطور إلى حرب عالمية ثالثة ، وهدد بأن موسكو ستلجأ إلى القوة . ثم بدأ تدهور الاسترليني في الأسواق العالمية بسرعة تنذر بتعريض مركزنا الاقتصادي كله لكارثة شديدة ، وقد هبط فعلا احتياطنا من الذهب والدولارات ما مقداره ٢٧٩ مليون دولار ، وهذا يمثل ١٥٪ من الاحتياط » . ثم يقول : « وحينما اجتمعنا في السادس من نوفمبر لم نتأثر بأي من هذه الاعتبارات في اتخاذ قرارنا ، مادام القتال قد توقف بين المتحاربين ، ولذلك فقد انتفى مبرر التدخل » .

ومما لا شك فيه ـ وكما يظهر مما كتب إيدن ـ أن ذكر الحقيقة كان عبئا كبيرا عليه فتجاهلها أما عن رد الفعل عند « اسرائيل » فأنقل من كتاب « حياتي » لجولدا مائير ما نصه : « لقد حققنا أغراضنا من الحرب ، لكن خسرت بريطانيا الحرب ، وكذلك فرنسا . . كان مصدر الضغط الرئيسي هو الانذار السوفيتي الذي لم يكتف بمشاهدة الهزيمة المصرية ولا بتسميم الجو بتدخله في المجر ، لكنه أخذ يصيح معلنا أن هناك تآمرا على مصر ، وهدد بالتدخل ، وبذلك أصبح ظاهرا أن العالم كله أصبح ضدنا » ، ثم ننقل عن موشيه دايان قوله : « في مساء ٥ نوفمبر أصدر رئيس الوزراء بولجانين تهديده للدول الثلاث . وفي رسالته إلى « اسرائيل » ندد بالعدوان الاسرائيلي ، والأعمال الامبريالية ضد مصر ، وطلب منا إيقاف العمليات الحربية في الحال ، والانسحاب من الأراضي المصرية ، وقال إن الحكومة الاسرائيلية وهي تتصرف بإجرام وبلا مسئولية تلعب بمستقبل السلام ، بل بمستقبل شعبها ، وهذا سينعكس على مستقبل استمرار « اسرائيل » كدولة ، وإن الحكومة السوفيتية تتخذ في هذه اللحظة إجراءات لمنع استمرار العدوان ، ولايقاف الحرب ، ثم ختم رسالته باستدعائه للسفير السوفيتي ، وبطلبه من « اسرائيل » أن تفهم الرسالة جيدا وتقدرها . وحينما رأيت بن جوريون أدركت أنه على الرغم من إعطائه أهمية كبرى للموقف السوفيتي وعدم تجاهله لمغزاه العميق لم يتصرف تصرفات تنم عن ارتعاش المفاصل ، ولم يسيطر عليه الخوف ، بل كانت الرسالة دافعا له إلى المقاومة ، لكن الأمر الذي أغضبه هو الفوارق بين لهجات الرسائل ، وأن عبارات الرسالة التي وصلت إلينا تنم عن الاحتقار والازدراء .

ومن دراسة قام بها « مايكل بريشر » أحد كبار أساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة نورد ما

جاء بعنوان « عملية صنع القرار في السياسة الخارجية « الاسرائيلية » : « سألت عددا من أبرز شخصيات « اسرائيل » ، ومن المتصلين بعملية صنع القرار السياسي فيها عن السبب الذي دعا بن جوربون إلى اتخاذ قرار بقبول الانسحاب من الأراضي المصرية ، وكانت ردودهم ـ كما سجلها في الصفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من دراسته ـ على النحو الآتي :ـ

جولدا مائير : إنني مقتنعة بأنه تصرف كرد فعل للتهديد السوفيتي .

شمعون بيريز : تسألني عن السبب في هذا القرار ؟! إنه التهديد السوفيتي .

ابا ايبان : الأنباء الخطيرة التي جاءت مساء ٧ نوفمبر وطوال يوم ٨ نوفمبر عن استعدادات سوفيتية لاستخدام القوة .

بن جوريون : لم يكن يهمني ما قاله بولجانين ، أو ما يحتمل أن يفعله ، بل كان اهتمامي كله بموقف الامريكيين ، فقد كنت أعلم شدة وطء وسائل ضغطهم علينا ، مما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب » .

لكن رد بن جوريون هذا جاء مناقضا لخطابه الحماسي في الكنيست الذي أعلن فيه ضم سيناء وقطاع غزة إلى « اسرائيل » ، فبعد ٣٦ ساعة وصله الانذار السوفيتي ، فألغى كل ما صرح به ، ووافق على الانسحاب .

صور متعددة للقوة

ليس في نيتنا مناقشة كل هذه الأقوال بل سنجعل حديثنا عن القوة ، فالقوات متشابكة بعضها ببعض على المستوى الاقليمي ، وباستخدام القوات المسلحة ، لكن على المستوى العالمي كانت وسائل القوة الأخرى تتحرك وتتفاعل :

● فالوسيلة السياسية تتحرك في اتصالات ثنائية وجماعية ، وفي مناقشات في المنظمات الدولية ، وفي مجلس الأمن على وجه الخصوص .

● وسائل حربية بالتهديد باستخدام القوة ، واتخاذ الاجراءات الفعالة التي تساند التهديد ، حتى تكسبه المصداقية ، وهو ما نعبر عنه بالردع .

● وسائل اقتصادية ، كمحاولات الولايات المتحدة لضرب الاسترليني ، وكلها وسائل يستخدمها الكبار في التأثير على مجريات الأمور ، حينما يتقاتل الصغار ، لأن المواجهة المباشرة بين القوى الكبرى مستحيلة في ظل ميزان الرعب النووي .

الحصاد

الاستراتيجية العظمى للدولة هي استغلال كافة إمكانياتها السياسية والاقتصادية والحربية ، لتحقيق أهدافها ، وعلى هذا الأساس يمكن تقييم نتائج هذا الصراع الذي دار فترة شهور متتالية ، استخدمت فيها كل وسائل الصراع،كان الغرض النهائي الذي اتفقت عليه دول العدوان هو إعادة السيطرة على قناة السويس ، عن طريق إسقاط حكم عبدالناصر ، وإعادة توازن القوى إلى إطاره السابق ، إلا أن هذا الغرض لم يتحقق ، فقد خلصت القناة لمصر ، وانسحبت « اسرائيل » من سيناء وقطاع غزة ، وبقي نظام عبدالناصر ، بل ازداد شعبية في الوطن العربي ، في الوقت الذي سقط فيه انتوني إيدن ، واعتزل منصبه في ٢٠/ ١١/ ١٩٥٦ ، كما سقطت وزارة جي موليه في ٢١/ ٥/ ١٩٥٧ ، وكان ذلك تمهيدا لسقوط الجمهورية الرابعة ، وتولي ديجول الحكم ، ومعنى ذلك انتصار كامل لمصر . وعلاوة على ذلك فقد تم الآتي :

١ ـ في ١/ ١/ ٥٧ صدر القرار الجمهوري بقانون رقم ١/ ١٩٥٧ بانقضاء اتفاق ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ في يوم ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو تاريخ العدوان البريطاني على القناة ، وبذلك ألغيت المعاهدة التي عقدت مع مصر ، وصادرت مصر كل محتويات القاعدة ، معدات ومخازن ومنشآت .

٢ ـ صادرت مصر أموال رعايا بريطانيا وفرنسا وممتلكاتهم ، وفرضت الحراسة عليها ، وتم تمصير المؤسسات التجارية والمالية والبنوك

٣ ـ ارتفع شأن مصر في العالم ، إذ أعطت مثلا لكافة الدول الصغيرة على أن إرادتها الذاتية كفيلة باستعادة حقوقها .

٤ ـ تم بناء السد العالي .

٥ ـ تم كسر احتكار السلاح ، وبدأ سباق التسلح في المنطقة الذي استمر حتى الآن ، وقد انتهى الصراع بتحولات خطيرة في موازين القوى ، على الصعيدين العالمي والاقليمي .

فعلى الصعيد العالمي دار الصراع الاقليمي منذ أزمة السويس على أساس ثنائية الأقطاب ، وليس على أساس القطب الواحد ، إذ كان الاتفاق الثلاثي عام ١٩٥٠ قد حدد إطار توازن القوى في المنطقة ، إلا أن كسر احتكار السلاح عام ١٩٥٥ كسر هذا الاتفاق ، وفتح الباب على مصراعيه لازدواجية سوق السلاح ، وبدأ الاتحاد السوفيتي يتواجد في المنطقة عن طريق تبادل المصالح بينه وبين بعض الدول في مجالات متعددة ، وأصبح الاستقطاب أهم وسائل إدارة الأزمات الاقليمية ، كما كانت أزمة السويس سببا في تغير طبيعة العلاقات داخل التكتل العربي ، إذ حلت الولايات المتحدة بصفة نهائية محل بريطانيا وفرنسا ، محاولة سد الفراغ ، يقول دوايت ايزنهاور في الصفحة ١١٥ من كتابه « النضال من أجل السلام » : كان هناك سبب آخر لدعوة الملك سعود لزيارة واشنطن في ٣٠ يناير ١٩٥٧ ، ففي ذلك الوقت ـ وبعد تجربة السويس ـ لم يكن عبدالناصر يحاول تعديل موقفه للعمل مع الكرملين فحسب ، لكنه كان يتطلع إلى زعامة العالم العربي الذي يمثل في حقيقته اتحادا إسلاميا ، كان يأمل في توحيده ، لتحقيق مطامعه الأخرى . وللقضاء على هذه النوايا أردنا استكشاف إمكانية بناء الملك سعود للقضاء على زعامة عبدالناصر ، وكان اختيار الملك اختيارا معقولا للقيام بهذا الدور ، فهو ضد الشيوعية ، ويتمتع بمركز خاص بين الدول الاسلامية ، ولذلك لم تكن دعوتي للملك مجرد تكريم له ، لكنها كانت لغرض هام آخر ، صممت على تحقيقه » .

هذا عن إحدى محاولات الولايات المتحدة للدخول إلى المنطقة ، عن طريق فكرة الحلف الاسلامي ، بزعامة الملك سعود ، وقد سبق ذلك محاولة أخرى ، هي محاولاتها لفرض مشروع ايزنهاور ، فقد تقدم الرئيس ايزنهاور في ٥/ ١/ ١٩٥٧ إلى الكونجرس بمشروعه الذي عرف بعد ذلك بمشروع ايزنهاور ، وقد كانت ظروف وملابسات هذا المشروع سببا جعله موضع رفض وارتياب في المنطقة ، فقد أذيع هذا المشروع بعد فشل العدوان الثلاثي مباشرة ، وقبل إزالة آثاره ، وقد افترض المشروع أن المنطقة تعاني من الخطر الشيوعي ، في حين أن العدوان كان مجسدا في « اسرائيل » والمعسكر الغربي ، ورمزه العدوان الثلاثي ، كما افترض أن الفراغ الناجم عن سقوط بريطانيا وفرنسا لا يملؤه إلا النفوذ الأمريكي ، متجاهلا أن الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبثق من داخلها

تسببت أحداث القناة في إيجاد جفوة في العلاقات الفرنسية الأمريكية ، وكانت أحد الأسباب الرئيسية التي دعت الجنرال ديجول إلى ترك البنية العسكرية لحلف الأطلنطي ـ فيما بعد ـ وبالتحديد في بداية عام ١٩٥٩ ، كما استخدم ديجول ذلك حجة سياسية حاسمة في ذلك الوقت ، لم يجهر بها علنا ، لكنه استخدمها في الحوار الذي دار آنذاك حول هذه القضية ، فقد قال ـ المصدر هنا كتب ، ومصادر عديدة ، وأقوال كريستيان بينو كذلك :ـ إنه إذا انفجرت الحرب في أوروبا فلا يمكن الاعتماد على التدخل الأمريكي لصالحنا ، والدليل على ذلك أن تدخلهم في أزمة السويس كان تدخلا مضادا لنا ، ومن ثم اتخذ قراره الشهير ببناء القوة النووية

الفرنسية المستقلة ، أو ما سمي قوة الردع الفرنسية المستقلة .

لكن أهم النتائج التي تخلفت عن إدارة أزمة السويس بالنسبة للصراع الاقليمي بين العرب و « اسرائيل » كان زرع أسباب حرب ١٩٦٧ ، إذ ظل توازن القوى هو العامل الحاسم في تحقيق الاستقرار ، ولم يكن هذا التوازن قائما على الصعيد العالمي ، فالوجود السوفيتي في قلب المنطقة ، وهي مصر ، لم يكن أمرا مرضيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، وسياستها الكوكبية ، وكان لابد من القضاء على هذا الوجود ، أو تحجيمه على أي تقدير ، ولم يكن التوازن مرضيا من ناحية الصراع الاقليمي ، إذ تزايدت قوة مصر بحصولها على السلاح السوفيتي ، ودخلت دول أخرى مثل سوريا والعراق ـ مشترية ـ سوق السلاح الشرقي ، وكان هذا أمرا لا يمكن السكوت عنه ، ثم كان هناك خلل في التوازن بين نظم الثورة ونظم الثروة ، الأمر الذي كان يقلق بال الادارة الأمريكية .

وكما ذكرنا من قبل فإن افتعال الأزمة الاقليمية أمر جائز في عملية الصراع ، لاصلاح توازنات النظام العالمي الاقليمي ، وكان افتعال الأزمة بين سوريا و « اسرائيل » وتصاعد الأصوات بطريقة صاروخية ، وتغذية أسباب الأزمة وتعميقها ، وعدم استغلال الامكانيات المتاحة لحلها سلميا ، كل ذلك كان بغرض التمهيد لعدوان ١٩٦٧ ، لاعادة إصلاح موازين القوى في المنطقة .

القوة في العلاقات الدولية

لعلنا رأينا وضع القوة العسكرية في العلاقات الدولية على المستوى العالمي والمستوى الاقليمي ، ورأينا كيف أنها أصبحت ـ كما كانت من قبل ـ وكما سوف تكون في المستقبل ـ وسيلة لتغيير الأمر الواقع ، أو الأمر الراهن ، وهذا أمر خطير ، لكنه ـ للأسف الشديد ـ أمر واقع ، في ظل التطور الخطير للأسلحة ، أو ما يمكن أن يعبر عنه بوحش التقنية .

فالقوة بما لديها من صفة تدميرية قادرة على السيطرة ، وهي قوة القهر ، وقد أصبحت القوة العسكرية في النظام الدولي تمثل علاقة مستقرة بين الدول ، وتسمح لحكومة ما بأن تجبر حكومة أخرى على التصرف بطريقة ما ، لم تكن لتلجأ إليها لو تركت وشأنها ، والقوة يمكن أن تؤدي أغراضها وهي في حالة السكون إذا عرف الجانب الأخر مقدارها ومدى تأثيرها عليه لو استخدمت ، وهو ما يعرف بالردع ، كما يمكن أن تؤدي أغراضها وهي في حالة الحركة ، أي ما يعبر عنه بالقتال ، ويفشل الردع إذا بدأ القتال .

وكما رأينا فإن القوات المعتدية حاولت الضغط بالتهديد باستخدام القوة لردع مصر عن الاستمرار في سياستها ، ولما فشل الردع كان القتال ، ورأينا أيضا كيف أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ كل بطريقته الخاصة ـ نجحا في ردع العدوان ، فأوقف القتال . أي حينما يفشل الردع تبدأ الحرب . وحينما ينجح الردع يستبعد العدوان ، وهذه القاعدة هي التي تجعل الحفاظ على السلام أغلى من نفقات الحرب ، وتجعل من خلل التوازن في منطقة ما حافزا على قيام الأقوى بالعدوان ، وتحفز نوازعه العدوانية على محاولة كسب الأراضي ، واختراق الحدود .

فالاستقرار العالمي أو الاقليمي لا يمكن أن يتم تحت تهديد نووي ، أو بردع تقليدي ، أو بضم الأراضي ، وطرد السكان ، لأن مثل هذا الاستقرار استقرار رديء ، حتى لو أدى إلى اتفاق سياسي ، أو معاهدة تنظيم للعلاقات ، وهو اتفاق رديء لأنه أسس على توازن قوى الموقعين عليه ، لكن الاستقرار الحقيقي هو الذي يؤسس على توازن المصالح بين أطراف النزاع ، فالنظام الاقليمي العالمي الذي لا يقوم على أساس توازن المصالح هو نظام مؤقت ينتهي إلى صراع دائم في اللحظة التي تتغير فيها موازين القوى . □



الفصام

جنون فرد .. أم جنون مجتمع ؟

بقلم : الدكتور حلمي نجم*

لا يزال الفصام أحد الأمراض المستعصية على التشخيص النهائي ، رغم المحاولات العديدة لفك مغاليقه واقتحام أبوابه ، وللدكتور ر . د . لانك آراء جريئة ومبدعة في هذا المجال ، مما جعلها مادة لا ينتهي الجدل فيها .

في هذا المقال عرض لأبرز آراء الدكتور « لانك » حول هذا المرض الذي لم يكتشف بعد .

تعتبر أعمال « ر . د . لانك » ثورة في الطب النفساني ، فقد ظهر هذا الطبيب في أوائل الستينيات ، داعيا لا لاعادة النظر بأصول هذا العلم ، بل لدحضها من الأساس ، وأنشأ لنفسه مدرسة سميت فيما بعد بالمدرسة « المضادة للأطباء النفسانيين» ولعل كتابه الأول « فصام النفس » من الكتب الفريدة التي أحدثت ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يمحوه الزمن . .

ولد « لانك » في « غوسكو » في عام ١٩٢٧ ، وتخرج فى جامعتها عام ١٩٥١ ، واشتغل بعد تخرجه طبيبا نفسانيا في الجيش بين عامي ٥١ ـ ١٩٥٣ ، ثم طبيبا نفسانيا في مستشفى غلاسكو الملكي ، وفي قسم الطب النفسي في جامعتها حتى عام ١٩٥٦ .

وهو يعمل الآن طبيبا ومحللا نفسيا في « أدنبرة » ولايزال عاكفا على تحسين نظريته في مرض الفصام ، والعلائق المضطربة في العائلة .

---

* اختصاصي الأمراض العصبية والنفسية في مستشفى رويال ـ ليفربول في المملكة المتحدة .

مرض الفصام . . اضمحلال الشخصية :

ولعل من المفيد هنا أن نتعرض ولو بشكل مختصر الى مرض الفصام ، والرأي النفسي التقليدي بهذا المرض ، كي يكون القاريء الكريم على بينة منه عندما يقرأ رأي « لانك » فيه .

لقد عرف القدماء أمراضا ذهانية وصفوها في كتبهم ، وهي تشبه الى حد بعيد ماهو متعارف عليه اليوم بمرض الفصام (الشيزوفرينيا) لكنهم لم يطلقوا عليها هذا الاسم ، وكان « كريبلي » هو أول من وصف هذا المرض بدقة ، وأطلق عليه اسم مرض الخرف المبكر ، ولخص أعراضه بالهلاوس وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي ، واضطراب الأفكار ، وفقدان البصيرة في السلوك وفي المحيط ، والأوهام ، وجمود العاطفة ، وأول من أطلق مصطلح مرض الفصام على هذا المرض هو « بلويلو » عام ١٩١١ ، لاعتقاده بأن الاضطراب الأساسي في هذا المرض هو انقسام أو انشطار العمليات العقلية عند هؤلاء المرضى .

ومرض الفصام في معظم حالاته مرض مزمن ، يبدأ بانعزال المريض تدريجيا وتقوقعه على نفسه ، واهماله مظهره وسلوكه الاجتماعي . . وتبدأ شخصيته بالاضمحلال والتلاشي من خلال فقدان الحواجز بين الذات والموضوع . حيث تذوب الأنا في المحيط ، وتبدأ الهلاوس والأوهام ، فيتوهم المريض أنه لاشيء (الأوهام العدمية) أو يتوهم أنه عظيم (أوهام العظمة) ويفتقد قابليته على معايشة المجتمع والمحيط تدريجيا ، ويعيش في عالمه الحلمي الخاص . . . فيتيه فكريا وجسديا . .

ولعل من المعضلات الكبرى التي تواجه الطب النفسي هي عدم استطاعة الفحص الطبي الدقيق ، وجميع الأجهزة العلمية المتطورة اكتشاف خلل عضوي رئيسي في هذا المرض ، ورغم اكتشاف بعض الاضطرابات الكيماوية في أجسام وأدمغة هؤلاء المرضى ، الا أن الدليل على أنها هي السبب في مرضهم يسير جدا . . ولهذا تبقى علامات الاستفهام منتصبة تتراقص ساخرة من كل من يدعي أنه اكتشف السبب . . ولهذا يظل الرأي المقبول علميا الآن هو أن مرض الفصام ماهو الا نتيجة لاجتماع أسباب متعددة عضوية ونفسية واجتماعية في مريض واحد .

انفصام النفس . . ابحار في المجهول :

كان كتاب فصام النفس هو أول كتاب « للانك » ظهر في الستينيات ، يقول لنا الكاتب في مقدمته أن هدفه الأساسي من هذا الكتاب هو جعل عملية الجنون مفهومة . كما يقول بالحرف الواحد انه لم يحاول أن يضع نظرية شاملة لما يدعى بمرض الفصام (الشيزوفرينيا) ، كما لم يحاول أن يكشف عن المناحي البنيوية والعضوية من مرض الفصام ، ولم يحاول أن يصف علاقته بمرضاه الذين ذكرهم في كتابه ، أو يحاول شرح طرقه في علاجهم

ويكشف الكاتب عن دينه للفلسفة الوجودية وتراثها ، ولايأتي هذا الدين كعلاقة بين كاتب غارق في الفلسفة الى حد الانغلاق وقاريء جاهل فلسفيا ، اذ أنه لا يستخدم مصطلحات فلسفية معقدة الا لماما ، بل يلجأ الى استخدام مصطلحات مبسطة مثل (الانغماس والتحجر) وهذا مايميزه عن الكتاب الآخرين ، ويجعله أقرب الى ذهن الانسان العادي .

ان المريض مضطرب كليا في معرفته لطبيعة تجربته التي يمر بها (وجوديا) ، كما أنه مشغول البال بحفظ نفسه أكثر منه اشتغالا باسعادها أو ارضائها ، ويبدو أن ظروف الحياة العادية تعدل بشكل مستمر معدل استقراره النفسي المنخفض نسبيا ، وبهذا لا يستطيع الاستمرار مع نفسه المضطربة الا بعد فقدانه الشعور الطبيعي بوحدة النفس ، وهذا لا يكون الا بانفصامها ، انها تنفصم الى النفس المتجسدة

الذهان الداخلي :

ويستعمل « لانك » مصطلحي الجنون والذهان بصورة متكررة ، وبشكل لا يختلف كثيرا عن استعمال الأطباء النفسيين للتعبير عن افتقاد الارتباط مع العالم الخارجي ، وفقدان المنطق لدى المريض ، لكنه يوضح عدم الاختلاف بين السلوك الذهاني والسلوك الفصامي ، بوصفه الذهان الداخلي فيقول « قد تكون بداية مرض الفصام في بعض الأحيان درامية ومفاجئة ، وأعراضها ساطعة الوضوح ، بشكل لا يفسح المجال للتشكيك بالتشخيص ، ومع هذا لا توجد البداية النوعية المفاجئة في سلوك المريض في معظم الحالات ، ويحدث التغيير تدريجيا على مدى سنوات بحيث لا يمكن الجزم عند نقطة معينة ببداية الأعراض الفصامية » وتعتبر هذه الاشارة اشارة رئيسية قدمها « لانك » على شيوع الذهان الداخلي الذي يختبيء طويلا عن العالم الخارجي ، وأن النوع الحاد من السلوك المضطرب ماهو الا ظاهرة مضللة للمراقب الذي يبدأ عندما يتخذ المريض قرارا بالكف عن السلوك الطبيعي في العالم الخارجي ، ولهذا يبدو الانتقال من السلوك الفصامي الى السلوك الذهاني الواضح أقل عنفا عندما يصفه « لانك » مقارنة بوصفه من قبل الاطباء النفسيين الآخرين ، وذلك لفرضيته الأساسية من أن هناك ظلا من المفهومية لهذه العملية ، حتى عندما تكون معلقة تبقى في نظره محجوبة الرؤية بغلاف « سميك » شفاف

ويمضي « لانك » في وصفه عملية تطور مرض الفصام فيقول « طالما نسمع بتسلسل (الجيد الرديء المجنون) حيث ينشأ الطفل معتمدا على أمه عندما لا تسمح له بالاستقلال في تجربته الحياتية عنها ، وتعتبره طفلا مثاليا لمطاوعته لها ، وغالبا مايتمرد هذا الطفل في مرحلة المراهقة عليها ، وبهذا يسلك سلوكا غير جيد من وجهة نظرها ، ومن ثمة يعتبر رديئا ،



والنفس المنعتقة ، وبهذا يصبح شاعرا بجسده كجسم معمور مع مجموعة أجسام بعيدة عنه معمورة في هذا العالم ، لكنه يستطيع مراقبته بنفسه الداخلية التي تصبح نواة « النفس الوهمية » التي تعيش في المحيط الخارجي ، والتي يمكن تمييزها بواسطة النفس الحقيقية المنعزلة عن هذا العالم ، وبهذا تصبح النفس الحقيقية كثيرة الوعي والنقد ، بينما تتكون النفس الوهمية من عدة أجزاء غير مخلصة ومطيعة لرغبات الأشخاص المحيطين بالمريض

وتعريف « لانك » للعقل مشهور جدا اذ يقول « يقاس الجنون أو العقل بدرجة التشابه أو الاختلاف بين شخصين ، عندما يكون أحدهما عاقلا من وجهة نظر المجتمع والرأي العام » ، ويبدو هذا صحيحا للمرضى وأصدقائهم الذين يرغبون بازالة العار والانتقاص الذي لحقهم ، بعد اعتبارهم مرضى نفسيين ، فحق الطبيب في تقرير العقل من الجنون حق غير مكتسب وراثيا من خلال دوره الذي يلعبه وشهاداته العلمية ، وانما هو حق مكتسب منح له باتفاق متبادل بعقليته المتميزة

ولايوجد علاج ناجع له في معظم الأحيان ، لأن أسباب هذا السلوك باقية ، فهو رد فعل للعلائق غير الصحية في العائلة يتضاعف بثورة الوالدين عليه . . ويأتي تشخيص الطبيب لمرض الفصام في الابن كتفريج لكربة الوالدين ، واعفاء لهذا الشخص من مستلزمات السلوك الاجتماعي المقبول ، ولايفهم الوالدان حتى بعد توضيح الطبيب لهما من أن ابنهما موجود مستقل عن ذواتهم ، سلوكه هذا تعبير عن هذا الوجود المستقل (حيث انهما اما ان يكونا جاهلين أو مشدوهين في هذا العالم) .

ويقدم لنا « لانك » تعليلا مقنعا للأصوات التى يهلوس بها هؤلاء المرضى ، على أنها آتية من نفوسهم التي انشطرت « حيث تضمحل النفس في مرض الفصام المزمن الى عدة بؤر ، يكون لكل منها حس أنوي مستقل ، وتدرك البؤر الاخرى كذوات مختلفة أو خارجة عنها ، وبهذا تدرك الفكرة الآتية من « النفس الأخرى » على أنها آتية من العالم الخارجي طالما أنها تدرك بالنفس المدركة على أنها ليست نتاجا لتخيلها أو جزءاً منها ، وبهذا تكون النفس الأخرى هي مصدر الهلوسة ، وبهذا يجعل « لانك » من السلوك المتكلف(والكريكتورى)في بعض الأحيان مفهوما ، وتصبح المصطلحات الغريبة واللغات الجديدة تعليقات مختفية لافكار منطقية في نفس مريض الفصام ، ويضرب لنا مثال الشابة التي تقول « انها جرس يقرع » وتعني بذلك « ان نفسها ممتلكة (بفتح اللام) وهو تعبير مفعم بالمعاني والمنطق بالنسبة لها فقط .

لقد جاهد « لانك » وعلى مدى مائتي صفحة في شرح وتوضيح أعراض مرض الفصام ، وجعلها مفهومة ومنطقية للقارىء العادي والطبيب النفسي ، وكان يصرخ محتجا في أماكن كثيرة من الكتاب ، مناصرا أولئك الضحايا الذين غبنوا حقهم في الحياة السعيدة ، فعاشوا معذبين رغم امتلاكهم مقومات الحياة النفسية السعيدة ، بل ربما كانوا أفضل من الناس الطبيعيين . . . انه يقول « لقد اختار المجتمع والعائلة بالخصوص هؤلاء الأشخاص ككبش فداء بعد وصفهم بالجنون ، تبريرا لاخفاقها في بلورة علائق عائلية طبيعية .

تأثيرات « لانك » :

كانت بداية « لانك » بكتاب « انفصام النفس » بداية حسنة ، حيث سلط الضوء على كتب ومساهمات « لانك » اللاحقة التي تمثلت « بالعقل والجنون والعائلة » و « سياسة الخبرة » وكتب أخرى ، لقد تغيرت الأفكار على مدى السنين ، وأصبحت اكثر تطرفا (راديكالية) وعاطفية ،كما أن مسحة روحية وصوفية بدأت تتضح في كتاباته التي تلت والتي انتقدت بشدة ،فقد استنكر البعض حتى في خارج وسط علماء النفس نزعته لتمجيد مرض الفصام في كتبه الأخرى « ليس الجنون اضطرابا بالضرورة ، بل قد يكون اختراقا وسبراً للأغوار ، انه حرية وتجدد ، كما انه استعباد وموت وجودي » . وفي تعبير آخر « هل نستطيع أن لا نرى ان هذا الابحار هو مالا يجب أن نعالج منه ، وانه طريقة طبيعية لعلاج حالتنا المستغيثة من الغربة والتي تدعي بالسلوك الطبيعي ؟ ! » .

ترى هل استطاع الكاتب أن يفي بغرضه ، وان يقنع الآخرين بامكانية فهم مرض الفصام ؟ لقد تابع الأطباء النفسانيون آراءهم في الستينيات ودرّسوا تلاميذهم على أن مرض الفصام مرض ذاتي خال من أية أسباب نفسية أو عوامل بيئية ، وقد بدا للكثير في مرات عديدة أن الجنون ماهو الا عدم استطاعة الفرد الاستمرار بالحياة ، وأصر سليتر وروث في كتابهما الرائد « طب نفسي سريري » حتى في طبعته الأخيرة عام ١٩٨١ على عجز العوامل البيئية في احداث مايدعى بمرض الفصام ، بينما تحفظ الكثير من المؤلفين مثل (موراى ، هل ، ثورلي) في كتابهم « طب

نفسي للدراسات العليا » عندما ذكروا « لانك » دون تعليق .

وقد تعرض « كلير » في كتابه « طب نفسي محترم » الى « لانك » عدة مرات مؤكدا كرهه لطريقة تشخيص المرضى بشكل تقليدي ، مذكرا « لانك » بوجوب تحديد وتعريف الحالة قبل الخوض بتحليل معانيها وأسبابها ، مشيرا الى أن أطباء النفس قد ذكروا تأثير العوائل على المرضى قبل « لانك » ولكن لاكما فعل هو ، لقد كان « كلير » صائبا رغم أن انتقاداته بقيت عائمة خالية من فقرة تلخيصية لآراء « لانك » ، بينما أهمل بعض المؤلفين « لانك » كليا ، ولم يذكروا ولو عبارة واحدة عنه ، الا أن أثره بدا واضحا في معظم الكتب المقررة ، مما يدل على أنه غيَّر بشكل أو بآخر نظرة الأطباء النفسيين الى مرض الفصام

وقد ذكر بعض المؤلفين آراءه دون الاشارة اليه مثل « مايرسم » حيث قال : « قد نتفق عموما على أن أعراض مرض الفصام ليست خالية من معنى ، وأن مرض الفصام ماهو الا شكل من أشكال رد الفعل لأولئك المعوقين نفسيا وجسديا » ويؤكد « هندرسين » « وكلاسبي » في كتابيهما في طبعته الأخيرة على أن أعراض مرض الفصام ماهي الا نتيجة لتفاعل شخصية المريض مع المجتمع والحياة ، ولكنهما يختتمان فصلهما قائلين « ان الفصام مرض أو مجموعة من الأمراض تكون مسبباتها عوامل عضوية متوارثة » .

ويتعرض كتاب « الرفيق للدراسات النفسية » الحديث نسبيا في طبعته الأولى ١٩٧٠ من تأليف « ايلي ، فورست ، أفليك » للانك وينتقده لاستخدامه مصطلح « الابحار الروحي » ، كما يؤكد على أنه لم ينصف الأباء عندما اتهمهم واعتبرهم أساس المرض ، كما ناقش كل من « كارستير » و « كندي » أعمال « لانك » واستنتجا ان أهم ماقدمه « لانك » هو دفاعه عن مرضى الفصام ، واحترامه لهم ، ومعاملته لهم نداً لند ، لقد طلَّق « لانك » النزعة التقليدية التي تستصغر من شأن هؤلاء المرضى أو تنعتهم بالعار ، ويبقى السؤال هو اصرار « لانك » على عدم اعتبار مرضى الفصام مرضى ، بل اعتبرهم بطريقة أو بأخرى أرفع مستوى من الناس الطبيعيين ، لأنهم لم يستطيعوا أن يصلوا الى نتيجة مع مايسمى بالسلوك الطبيعي ، اذ أنهم لم يرتضوه ، وتبقى هذه القضية معلقة قد تساعد مرضى الفصام ، أو من يحاول أن يمد لهم يد العون في اكتشاف فهم أوضح لهذه الحالة .

بحث (فون/ ليف) :

لقد استحثت أعمال « لانك » العاملين في معهد الدراسات النفسية في جامعة لندن ، فأجريت بحوث على هؤلاء المرضى وعوائلهم ، وتمخضت نتائج بحث (ليف ، فون) عن أن هذه العوائل تمتاز بما يطلق عليه المستوى العالي من الانتقادات العاطفية .

ولم يقتصر تأثير « لانك » على نظرة أطباء النفس الى مرضى الفصام ، بل امتد التأثير الى الطرق العلاجية ، حيث استخدمت أفكاره في بعض الملاجيء والجمعيات ، وضم عدد من مرضى الفصام الى مايسمى بالمجتمعات العلاجية ، كما استخدمت نتائج بحيث (فون ، ليف) لايجاد طريقة علاجية تقلل من الانتقادات العائلية لهؤلاء المرضى ، من هنا يتضح تأثير « لانك » في الطب النفسي ، ونظرته الى مرضى الفصام وعلاجه ، ورغم أن هذا التأثير بدأ تدريجياً ،الا أنه أخذ يتسع مع السنوات وآن الأوان له كي يؤتي ثماره ، ورغم أن « لانك » أنحى باللائمة على الوالدين والعائلة مما جعله يبدو غير عادل في بعض الأحيان الا أن مساهمته عظيمة في الطب النفسي ، اذا أخذنا جانبا واحدا من تأثيراتها المتعددة ، ألا وهو اثارة الأطباء النفسانيين كي يتفحصوا ممارساتهم وآراءهم التي توارثوها على مدى طويل واعتبروها كمسلمات . □



مستودع الأفكار

بقلم : فتحي رضـــوان

كنت أتحدث مع السيد الصادق المهدي في الخرطوم ذات مساء فقال اننا في حاجة الى « ثِنك تانك » Think Tank أي مستودع للأفكار ، ندعو له عدداً من كبار المفكرين عندنا ، الذين تخصص كل منهم بشكل واضح في جانب من حياتنا الفكرية ، بعضهم علماء طبيعة ، وكيمياء ورياضة ، وبعضهم أساتذة تاريخ لا يؤرخون فحسب ، بل يفلسفون تاريخنا ، ويستنبطون معانيه ويستخرجون دلالاته ، والبعض الآخر أساتذة قانون لا يشرعون ولا يعلقون على ما يصدر من تشريعات في بلاد العرب أو في بلاد المسلمين ، بل وينقبون على دوافع تشريعاتنا بعيدة وقريبة ، وما يعتريها من قصور في البناء أو عجز في التعبير ، أو نقص في مواجهة المشكلات . وأخيراً منهم علماء اللغة الذين لا يقنعون بإقرار قواعد اللغة ونحوها وصرفها ، وهي القواعد الجارية والمعمول بها فعلا ، بل إحداث ثورة فيها لا تخرج اللغة عن خصائصها القومية ولا صفاتها الموروثة ، بل تطور وتعدل فيما اطمأننا إليه بحجة أنه من أصل اللغة ، وهو في واقع الأمر تحجر وجمود

وراقتني الفكرة ، وأدرتها في رأسي أياما وقلت في نفسي اننا لو سلمنا بهذه الدعوة ، وعملنا على إنجاحها في شجاعة وتجرد صادق مكلف ومضن ، وحب أن تسترعينا الظاهرة الغريبة ، وهي ما درجت عليه بعض صحفنا من أن تخص بعض الذين يكتبون لها بصفة المفكر .

وقد سمعت كاتبا كبيرا يعلق على هذه العادة في اعتقاد هذا الكاتب أن الذين يكتبون في صحفنا صنفان ، صنف يكتب ولا يفكر ، أو يكتب قبل أن يفكر ، وهناك آخرون يفكرون ، والأوائل يكتبون كلاماً جيداً منسقاً منمقاً مؤثراً بارعاً ، ولكنه لا يقول

شيئا جديداً ، أو لا يقول شيئا على الاطلاق ، إنما هو هذا الكلام الدارج الذي يشبه ما يتجاذب أطرافه المثقفون عندما يجتمع بعضهم ببعض فيثرثرون ثرثرة ترد فيها أسماء الكتاب والمؤرخين والقراء ، أو بعض ماكتبوا ، دون أن يرد في الحديث معنى ذو أهمية ، أو رأي ذو خطر ، أو اقتراح ذو قيمة . . هو كلام أساتذة نابهين يعلو على التوافه ، ولكنه لا يسمو إلى كبار الحقائق فلا يهز فكراً ، ولا يحرك خاطراً . ولا يدعو الى نقاش يتعمق في مسألة ما . وما يزال يدور حولها ، ويغوص في أعماقها حتى يخرج بجديد . هؤلاء المفكرون في كل اتجاه وفرع يجب :

أولاً : أن يفرغوا للبحث والتفكير والانتاج الذهني . . المتصل . .

ثانياً . . يجب أن تضمهم هيئة أو نظام يجعل عمل أحدهم مكملاً ومتصلا بعمل الباقين .

ثالثاً . . يجب أن تزود هذه الهيئة بثلاثة أجهزة حسنة الاعداد تقوم (أ) بالاحصاء ، (ب) بالترجمة ، (جـ) بالتنسيق والتبويب .

وهذه الهيئة يجب أن تكون محلية أولا ، وقومية ثانيا .

محلية أي تقوم في كل قطر من أقطار الوطن العربي ، وتعمل في ظل نظام ، وتشتغل أولا بظروف وعيوب ونقائص مجتمعه الفكري ثم بحثها بصفة عامة .

وقومية ، يجتمع أعضاؤها المحليون أو مندوبون عنهم في مؤتمر كل ثلاث سنوات أو أكثر أو أقل ، يتناقشون في كل دورة لانعقاده في فكرة واحدة مؤثرة ومهمة في المجتمع العربي .

ولكن قبل أن نستكمل الحديث في هيئة « ثنك تانك » أي مستودع الأفكار ، وكيف يتكون ، ثم كيف يعمل ، وكيف يستفاد منه على مدى الأعوام ، يجب أولا وقبل كل شيء أن نلقي نظرة على بدايات حياتنا الفكرية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر ثم بدايات القرن العشرين وحتى اليوم .

حقيقة اليقظة

لاشك في أن القرنين:الثامن عشر وقبله السابع عشر كانا يمثلان عصر التناقض والاضطراب ، والفتوة والتحرك . كانا باختصار فترة ما قبل النهضة ومقدماتها .

في القرنين السابع عشر والثامن عشر ضعفت الحواجز بين المنطقة العربية والعالم الخارجي ، ولكنها لم تسقط تماما من جهة ، ولم يكن سقوطها مبشراً باليقظة التامة ، بل كان نذيراً بالغزو الاستعماري الذي أخذ شكل الفتح العسكري والسياسي والهيمنة الفكرية والروحية .

استيقظ العرب على طرقات الغزاة القائمين على الأبواب ، واقتحامهم للثغور وتسللهم الى الحكومات ، وإغراء العرب بالتغيير والتجديد ، مع تخويفهم منه ورفضهم له وتعثرهم في الأخذ به والبعد عنه .

كانت يقظة أشبه ما تكون بيقظة من كان يعاني كابوسا مروعا زاهقا للأنفاس ، فلما استيقظ بقي الكابوس يطارده ، وبقيت رؤاه وأشباحه تروح وتغدو أمامه ، فما يدري أهي حقيقة يلمسها باليد ويراها بالعين ويسمعها بالأذن ، أم هي تهيؤات وتصورات يعدو وراءها فتختفي ، ويسكن في مكانه فتركبه ، وتشد جسمه ووجهه ذات اليمين وذات اليسار .

ولا نطيل الحديث في وصف هذه المحنة . . محنة القرنين الممهدين لليقظة ، وندلف الى القرن التاسع عشر ، فإذا النهار قد استفاضت سحبه ، واذا الغيوم انقشعت والأشباح اختفت ، وحقائق الحياة الصادقة كالأسياخ المحماة ، تكوى العين والجبهة ، وتؤكد للعربي انه فقد استقلاله وبات أسيرا تابعاً . . ثقافته تحللت ، وإرادته تفككت وطاقاته تبعثرت وطريقه الى النهوض والوثبة طويل مليء بالعقبات .

واذا تركنا الجوانب المتعددة لحياتنا في هذه الفترة ، وقصرنا القول على الجانب الثقافي ، رأينا أن أول ما طالعنا من أسباب النهضة والتحرر (الصحافة) . فقد صدرت في مصر صحف أنشأها وأشرف عليها اللبنانيون الذين تعلموا في الكليات المسيحية في سوريا ولبنان ، وهاجر هؤلاء الذين قرأوا الكتب الحديثة بالفرنسية في الأغلب الأعم وبعض الانجليزية ، فشغلت الصحافة القراء العرب ، وألهمتهم وأوحت اليهم بأفكار جديدة سمع بها العالم حديثا ولم يسمع بها العرب مطلقا ، كل المذاهب والمبادىء المثيرة عرضت نفسها على العرب بدءا من القومية ومروراً بالاشتراكية والعلمانية والديموقراطية ، وبداروين ومذهب النشوء وبقليل من فرويد وأقل مذاهبه التصوير الحديث . فماذا كانت النتيجة ؟

السطحية والجزئية

النتيجة إصابة الثقافة ولاسيما في مصر بمرضين خطرين :

أولهما . . السطحية ، وثانيهما الجزئية .

دعت الصحافة اليومية والمجلات الاسبوعية الكُتّاب الى الكتابة السريعة التي تتطلبها المطبعة ، وتقتضيها الصحيفة . فالدراسات الطويلة التي تستنفد من الكاتب الأيام والشهور لا تستطيقها الصحيفة والمجلة ، فأصبحت المقالات فصولا سريعة غاية السرعة ، تتلطف للقاريء ولا ترهقه ، فكانت السطحية ، ثم كانت تجزيء الكتاب الى أجزاء صغيرة تتناول فكرة محددة كل يوم ، وألف القاريء العربي الكتب التي تضم فصولا عديدة كل فصل يعطي القاريء لمحة قد تزيغ لها الأبصار وتَملّ منها الأفهام . فكانت أشهر الكتب في مصر : حصاد الهشيم ، قبض الريح ، صندوق الدنيا للمازني ، أوقات الفراغ ، وتراجم شرقية وغربية الهيكل ، وساعات بين الكتب ، ومطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، وفي الصيف وحديث الاربعاء لطه حسين . . فصول متفرقة أسماؤها تدل على بساطتها وقلة عمقها ، فمن ساعات بين الكتب الى أوقات الفراغ ، ومن حديث الصيف الى حصاد الهشيم ، وقبض الريح . ولا أحد ينكر أن هذه الكتب معارض تقدم للقاريء عشرات من الأفكار والصور والخواطر ، سريعة ومتلاصقة وخفيفة ولطيفة ، ولكنها لا تشبع رأياً ، ولا تعمق مذهبا ، ولا تطيل الوقوف أمام شخصية،وتكاد تتطابق بعضها مع بعض ، فكانت النتيجة أن بقي القاريء العربي واقفا على شاطيء الفكر يرى أمواجه ويسمع تلاطمها ، ويرى امتداد البحر ، ولكنه لا يهبط بقاربه الى الماء ولا يحمى من دوار البحر ، ولا يعالج من غثيانه . فكانت النتيجة الأكيدة أن الفكر العربي عاش النصف الأول من القرن العشرين يتناقش ويجادل فصائله بعضهم البعض ، ويختلفون أشد الاختلاف ، ويتصارعون كأعنف مايكون الصراع ، دون أن يحلوا مشكلة ، ولا أن يلتقوا على رأي ، ولا أن يهتدوا الى عقيدة . فالعقاد وطه . . والمازني . . وهيكل وعبدالرحمن شكري،لاهم من أهل اليمين ولا هم من أهل اليسار ، وكل مشكلة على حالها ، وكل مذهب كأي مذهب آخر يتحاوران ولا يغلب أحدهما الآخر .

والنتيجة الثانية . . التي هي ثمرة هذه السطحية والجزئية والاقتناع بها والاكتفاء بحلولها . . أن جميع البديهيات قلبت رأساً على عقب .

أيهما الصحيح ؟

مثلا ، بقينا في مصر لا نعرف هل كان الغزو الاجنبي والاستعمار الغربي هو سبب تخلفنا ، أم أن تخلفنا هو الذي استدعى هذا الغزو وذلك الاستعمار ؟ كما بقينا نعتقد أن عدم اتحادنا واتفاقنا هو سبب تدهورنا وضعفنا ، في حين أن العكس هو الحقيقي ، فنحن قد تدهورنا أولا . . ودب فينا

الضعف وبالتالي تفرقنا وتبعثرت وحدتنا ، فتاريخ الأمم يؤكـد أن الضعفاء لايتحـدون ، وأن أول ثمرات القوة هو الاتحاد وظننا أن فكرنا الديني تجمد لأننا لا نجتهد ، وفي واقع الأمر اننا كنا قد توقفنا عن الاجتهاد ، لأن صلاتنا بتراثنا الثقافي انقطعت تماماً ولم نعد نقوى على الاجتهـاد ، ولا نعرف سبله ، ولا ندفع ضرائبه ، وليست هذه الأمثلة قليلة لما انقلب في حياتنا من أمور فوضعنا الحصان وراء العربة ، أو وضعنا العربة أمام الحصان ،لا يهم ، وأضعنا وقتا طويلا في هل الفرخة أتت بالبيضة أو البيضة فقست مها الفرخة ؟ . واستمررنا في هذا الطراز من الجدل الى أن أصبحنا مثلما كان أهل بيزنطة يغزوهم المسلمون وهم يمسكون بتلابيب بعضهم بعضا لخلافهم حول هل الملائكة ذكور أم اناث . !!

المهم أننا في حاجة الى مستودع أفكار يحضره لنا علماء من أعلى طراز ، يحضرون الأفكار على أعلى درجة من الوضوح والنقاء والشمول نعم الوضوح والنقاء والشمول

لا يهمنا ما يصلون إليه من نتائج مهما كانت موانع الأخذ بها ، يعني سواء كانت موانع من العقيدة أو المذهب أو من التقليد والانحياز ، أو من دواعي الكسل أو إقصاء الخلاف مع الغير ولا سيما الأقوياء ، ولابد أن نضفي على هؤلاء حصانة فلا يفصلون ولا يعانون ولا يحقق معهم ولا يتطاول عليهم متطاول □

خطبة للنبي(صلعم)في فضل شهر رمضان

● روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في آخر جمعة من شعبان ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال « أيها الناس ، إنه قد أقبل إليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيامه أفضل الأيام ، ولياليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات ، وهو شهر قد دعيتم فيه إلى صيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب ، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة ، وقلوب طاهرة ، أن يوفقكم لصيامه ، وتلاوة كتابه ، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقروا كباركم ، وارحموا صغاركم ، وصلوا أرحامكم،واحفظوا ألسنتكم ، وغضوا عما لايحل النظر اليه أبصاركم ، وعما لايحل اليه الاستماع أسماعكم ، وتحننوا على أيتام الناس ، يتحنن على أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فإنها أفضل الساعات ، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده ، ويجيبهم إذا ناجوه ، ويلبيهم إذا نادوه ، ويستجيب لهم إذا دعوه

أيها الناس . إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ، ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين ، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين »

بقلم : محمود المراغي

في قاعات الجامعة

ماذا نتعلم ؟
سؤال يبدو ساذجا ، فالمعرفة قد أصبحت عنصراً أساسياً في عالمنا المعاصر ، ولكن إذا دخلنا في التفاصيل وتساءلنا قائلين ماذا نتعلم ؟ فإن الأمر يختلف باختلاف حاجة كل مجتمع ، ودرجة تطوره ، وفلسفته في التطور . لكن كل المجتمعات متفقة على أن قدرا أساسيا من التعلم قد أصبح ضروريا ، ولهذا دخلت فكرة الالزام بعض المراحل التعليمية ، لكن الأمر يختلف كلما تقدمت مراحل التعليم ، ففي الجامعات ، أو ما يسمى التعليم العالي يبدو التفاوت شديدا ، فالشرق غير الغرب ، والفقراء غير الأغنياء ، والدول الصناعية غير الدول الزراعية ، وبالتالي فإننا إذا طرحنا سؤالا نقول فيه من يذهب إلى التعليم العالي ؟ ولماذا ؟ وجدنا إجابات مختلفة أشد الاختلاف .

لقد حاولت منظمة اليونسكو أن تحدد عدد الذين يتلقون تعليما عاليا أو جامعيا في مختلف البلدان ونسبهم ، وذلك لمرحلة من العمر تتراوح بين عشرين وأربعة وعشرين عاما ، وفي عام محدد هو عام ١٩٨٣ . وبصرف النظر عن دقة اختيار هذه السن كمؤشر على أعداد طلاب التعليم العالي فإن الأرقام التي أذيعت والتي نشرها تقرير « التنمية في العالم » ذات دلالة كبيرة

فأهم الأرقام يدل على أن التفاوت صارخ بين الفقراء والأغنياء في أقل البلدان نموا ، ففي جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا تبلغ نسبة الشباب الذين يدخلون في مرحلة العمر المذكورة (١ /) ، بينما تبلغ النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية (٥٦ /) ، وبين النسبتين تقف مختلف البلدان والمجموعات الدولية

وعند القاع تقف المجموعة التي يسميها البنك الدولي ذات الاقتصاديات المنخفضة الدخل ، وهي ٣٦ بلدا ، يقل فيها متوسط دخل الفرد عن (٤٠٠) دولار أمريكي في العام ، وتبلغ نسبة التعليم العالي في هذه البلدان (٤٪) ، ثم تليها الدول ذات الدخل المرتفع المصدرة للنفط (١٠٪) ، فالدول ذات الدخل المتوسط التي يبلغ عددها (٦٠) بلداً ، وتبلغ فيها نسبة التعليم العالي (١٢٪) ، ويلي كل تلك الدول في الشرق والغرب الدول الصناعية الغربية (٣٧٪) ، ودول أوروبا الشرقية (٢٠٪)

المدينة لاتكفي

هذه الأرقام تطرح سؤالا : لماذا يكون التفاوت كبيرا على هذا النحو ، رغم أننا نعيش في عالم متواصل ، تنتقل فيه المعرفة في لحظات ، كما تنتقل

أنماط المعيشة والاستهلاك بشكل غير مسبوق ؟

يبدو أن مستوى الدخل ، أو النشاط الاقتصادي هو السبب الأول ، فتوفير فرص التعليم حتى لو توافرت الرغبة أمر مرهون بالامكانيات المادية ، فالجامعة والمعمل والكتاب والأستاذ أمور يتم اختزالها في النهاية برقم للانفاق ، يستطيع المجتمع أن يقدمه أو يعجز عن تقديمه ، ويستطيع الفرد ـ في بعض الحالات ـ أن يتحمله أولا يستطيع تحمله ، فالمستوى الاقتصادي عنصر حاسم ، سواء بالنسبة للانفاق على التعليم ، أو بالنسبة لقدرة الأفراد ، أو بالنسبة لحاجة سوق العمل ، فاحتياجات مجتمع صناعي متقدم تختلف عن احتياجات مجتمع زراعي أو رعوي .

وفي المجتمعات الفقيرة يتراجع كل ذلك : القدرة على الانفاق والرغبة في الانفاق ، فسوق العمل له طبيعته وقد يكون الخروج المبكر إلى العمل ، أو قد يكون اشتغال الأطفال هو المقابل والنقيض الذي نلحظه في المجتمعات الفقيرة . إذن العنصر الاقتصادي هو العنصر الحاسم ، لكن ليس كل شيء هو ، والدليل ما يحدث في أكثر من مكان في العالم .

الشرق والغرب ودول أخرى

في داخل دائرة الغرب يبدو التفاوت كبيرا ، فالنسبة في الولايات المتحدة الأمريكة ٥٦٪ ، وفي كندا ٤٢٪ ، لكنها في بريطانيا واليابان ٢٠٪ ، فالفلسفة هنا غير الفلسفة هناك ، ودرجة الاعتداد على التقدم التقني مختلفة عندما نعبر المحيط من أمريكا الشمالية إلى أوروبا ، ونفس الشيء إذا اتجهنا أكثر فأكثر إلى الشرق ، حيث تسجل بلدان أوروبا الشرقية الثمانية نسبة متواضعة هي (٢٠٪) فقط .

وهنا ـ في حالة أوروبا الشرقية ـ نلحظ أمرين .

الأولى هو التفاوت الكبير مع الغرب ، حتى تكاد نسبة المترددين على التعليم العالي أن تكون نصف من يترددون عليه في الدول الغربية .

تراجع النسبة بالقياس لتاريخ سابق أبرزته الاحصاءات وهو عام ١٩٦٥ . لقد كانت النسبة في هذه البلدان (٢٦٪) ، فأصبحت (٢٠٪) فقط ، وكانت النسبة في كبرى هذه البلدان وهو الاتحاد السوفيتي (٣٠٪) ، فأصبحت (٢١٪) .

وقد يفسر التطور التقني الفرق في الحاجة لخريجي التعليم العالي في كل من الدول الصناعية الشرقية والغربية . ولكن تراجع النسبة عما كانت عليه في الستينيات يحتاج إلى تفسير آخر ، الأرجح أنه تقارب الدخول ، فعندما يزداد التقارب ، وعندما يحصل العامل الفني على راتب يفوق راتب المهندس ، أو يتساوى معه ، أو يقترب من ذلك ، فإنه لا يوجد حافز كبير لتعليم عال، يستغرق عدداً كبيراً من السنوات ، وقد نضيف تفسيرا ثالثا وهو أن الدول الاشتراكية خاضعة لخطة شاملة ، تقدم من الخريجين بقدر الحاجة ، بينما يختلف الأمر في الدول الغربية وقد تكون هناك البطالة التي تعلو نسبتها وتنخفض

على أي حال ليس التعليم في الشرق والغرب وحده هو الذي يلفت النظر ، فهناك دول متوسطة الدخل ارتفع فيها التعليم العالي حتى بلغ (٣٥٪) ، ممن هم في السن المذكورة ، كما حدث في اكوادور ، وفي كل من السعودية والهند ، فقد بلغت النسبة (٩٪) ، وفي ليبيا بلغت (١١٪) ، وفي الكويت بلغت (١٤٪) وهي أعلى نسبة في دول نفطية ، وقد شهدت الدول النفطية قفزة كبيرة ، فبينما كانت النسبة (١٪) عام ١٩٦٥ م تضاعفت عشر مرات عام ١٩٨٣ م ، ولكن بقيت رغم إمكانياتها المالية وراء النسب التي سجلتها الدول الصناعية . وهنا نعود لقضية سوق العمل ، وقضية أخرى هي قضية المرأة ، وهل تتعلم حتى النهاية ، أم تلازم المنزل ؟ وهل تعمل أم لا تعمل ؟ وبينما تلعب الحاجة الاقتصادية دور الحافز لتعليم المرأة في المجتمعات الفقيرة فإن الوفرة قد تلعب دورا عكسيا ، تدعمه التقاليد الموروثة . □

مواقف انسانيّة



«ولكم في القصاص حياة»

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد

هناك من الناس من تأخذهم رأفة بالمجرمين ، فيطالبون بإلغاء عقوبة الاعدام ، لما تنطوي عليه من قسوة ، لكن ماذا عن الضحايا الذين قتلوا غدرا ؟ وماذا عن المجتمع الذي يتربص به المجرمون فيفسدون عليه هدوءه ، ويهددون وحدته وتماسكه ؟ .

لا أعرف كيف يختار الأدباء مواضيع رواياتهم ،ولا الطريقة التي يحركون بها أبطالها ، ليصلوا إلى الهدف الذي رموا إلى تحقيقه ، ونشره بين الناس

لكنني أقدر تقديرا أنهم فريقان ، فريق تسترعي انتباهه واقعة من وقائع الحياة ، بطرافتها ، أو غرابتها ، فيعمل فيها فكره ، ويتدبر ما تتركه في نفسه من انطباعات ، تبدأ جوالة في أرجائها ، غامضة في مدلولها ، إلى أن تلقحها العاطفة ، ويرويها الخيال برحيق الابداع ، فتأخذ بالتكون الرخو ، ثم التماسك ، حتى تتخذ لوجودها شكلا من هيكل أدبي ، يعجبه ويرضى عنه ، وبعد ذلك يستقطر نسائم الالهام ، ليصوغ موضوعه شعرا أو نثرا ، ويدفعه إلى القراء متعة أو عظة ، لكن المتعة

الكبرى من نصيبه هو ، لأنه قد مارس ذاته ، وأمتع عاطفة الابداع في نفسه .

وفريق ينطلق من قناعة اقتنع بها ، من منطلق غير واقعي ، فتصبح له عقيدة وشرعة ، يلتزم بها ، ويبشر بها في الناس ، أسطورة أو فلسفة « مسبقة الصنع » ، ومن رجال هذا الفريق ونسائه المصلحون ، والثوار ، ومرضى الفكرة الثابتة .

وأشعر أن الأولين يتأدبون للأدب ، إشباعا لعاطفتهم ، وإمتاعا للقاريء ، وإبهاجا لنفسه ، في حين أن الآخرين ملتزمون بفكرة ، احتلت كل فراغ في قلوبهم ، فاتخذوها عقيدة ، ومنهاجا .

وحين تكون القناعة التي ينطلق منها الكاتب الملتزم خاطئة فإن هيكل الصرح الذي يبنيه يصبح مشيدا على أسس فاسدة ، لا يلبث أن ينهار حين يعرض على عقل بصير ، ومنطق سليم ، أو حين يصطدم بالأحداث ، فيتبدد أيدي سبأ .

كاتبان ملتزمان

وفي ذهني من هؤلاء الملتزمين اثنان من الكبار ، هما ابن طفيل الأندلسي ، وفيكتور هوغو الفرنسي ، فكل واحد منهما جانبه الصواب في أطروحته ، لأنه تنكب عن رؤية الثوابت ، وأغفل منطق الوقائع ، فالفيلسوف الاشراقي ابن طفيل الذي تفتحت عيناه للدنيا على جمال وادي آش ، في أكناف غرناطة المسلمة ، آمن ـ من أجل غاية سامية ـ بأن العقل المطلق قادر وحده على اكتشاف أسرار الطبيعة ، وحل معضلات المسائل الالهية ، وبخاصة وجود الله ، حتى ولو كان منقطعا عن البيئة والحياة الاجتماعية .

وأما الثاني فهو الشاعر فيكتور هوغو ، وشاعرية هوغو كانت ـ خلال القرن التاسع عشر ـ حديقة عبقر ، استنشق ريّحها العبق عشاق الفن السامي في وطنه ، وفي العالم المتحضر ، وأصبحت قصائده لواعِجَ وجْدٍ في قلوب الذين تشجيهم الكلمة المعطرة ، وتسحرهم القافية الشادية ، والايقاع المتوازن .

لكن هذه الشاعرية الفذة المترفة جمحت بصاحبها الخالد ، حين نقلها إلى موقع هي فيه غريبة ، فكانت له جوادا حرونا ، ما لبث أن قذف به في حلبة من حلبات الزيغ والضلالة .

الجريمة ودور المجتمع

عالج هوغو في « بؤسائه » قضية نصيب المجتمع من المسئولية عن الجريمة التي يرتكبها الفرد ، حين يقف هذا الفرد في مواجهة مجتمعه ، ودولته ، معتديا ، وظالما ، وانتهى به تفكيره إلى إلقاء المسئولية ـ بكل ثقلها ـ على المجتمع ، واعتبار الفرد الأثم ضحية بريئة ، ما كان في طوقه ولا قدرته إلا أن يسقط في الحمأة ، حتى لو لم يكن ينوي السقوط ، أو يريده ، لأنه لا يعدو أن يكون أكثر من أداة مادية ، تدفعها وتسيرها مجموعة منسقة من العوامل الاجتماعية ، تألبت عليه ، فقهرته ، ودفعته في الطريق الذي رسمته له .

اخترع مؤلف البؤساء شخصية « جان فالجان » الذي ترك له أخوه المتوفى أرملة وستة أطفال ، وتركة ثقيلة من الفقر والحرمان ، فوجد نفسه ملزما باعالتهم ، ورد غائلة الجوع عنهم ، فقام بواجبه حسب توفر العمل له ، لكنه أصبح ذات يوم بلا عمل يدر عليه أجرا ، فعجز عن تحمل رؤية الصغار جياعا ، فانتظر حتى أرخي الليل سدوله ، وتسلل إلى فرن البلدة ، وكسر واجهته ، وسرق رغيفا من الخبز لصغاره ، غير أن رجال الأمن المتربصين لأمثاله كانوا أسرع منه ، فألقوا القبض عليه ، وانتهى به التحقيق إلى محكمة الجنايات ، بتهمة ارتكابه سرقة جنائية موصوفة ، لاجتماع ظرفين من ظروف التشديد ، هما الليل والكسر . حكمت عليه المحكمة بالأشغال الشاقة خمس سنوات ، لكنه لم يكن قانعا بعدالة الحكم ، فتمرد عليه ، وحاول

الهرب من السجون عدة مرات ، وفي كل مرة كان يفشل ، فتزداد عقوبته تطبيقا لأحكام القانون ، حتى بلغ ما أمضاه في السجن ـ من أجل هذا الرغيف ـ تسعة عشر عاما ثم ابتسمت له الظروف ، فنجح في اجتياز القضبان ، واستقر في بلدة صغيرة نائية ، واتجر ، فأصاب مالا وفيرا ، وتصدق وأحسن ، حتى صار عمدة البلدة ، إليه يفزع أهلوها للفصل في خلافاتهم ، ومنه يستمدون الرأي في تصريف أمورهم . وتبنى طفلة يتيمة « كوزيت » ، فأحسن تربيتها ، وأصهرها ببيت كريم ، لكن القانون لم يتركه في توبته واستقامته ، وحياته الأسرية الهانئة ، فألقي القبض عليه حين اكتشفت حقيقته ، وأعيد إلى السجن لاستيفاء مدة العقوبة ، بعد أن أصبح شيخا متهدما ، إلا أنه نجا بنفسه ، ومات ميتة مؤلمة مؤثرة .

تجنيه على القضاء

أول ما يؤخذ على المؤلف تجنيه على التشريع الجنائي ، وعلى القضاء أيضا فكأنه لا يعرف أن « حالة الضرورة » مؤسسة راسخة في كل قلب ، وهي ليست في حاجة إلى أن تقنن ، وقديما قال المفكرون ، « ليس للضرورة قانون » ، وسرقة جان فالجان حالة صارخة من حالات الضرورة ، كما أنه لا يعقل أن يحكم قاض ـ في أي زمان أو أي مكان ـ بهذا الحكم القاسي الجائر على عاطل عن العمل سرق رغيفا ليسد به رمق جياعه ، ويضاف إلى ذلك أن المؤلف تجاهل مبدأ التقادم الجنائي حين أطلق رجال الشرطة في أعقابه ، للقبض عليه وسجنه .

الخيال يعين الأديب على معالجة مواضيع شعرية أو نثرية فنية ، لكنه لا يصلح لحل مشاكل إيمانية واجتماعية معقدة ، ومن هذا المنطلق أستطيع أن أنعت المطالبين بإلغاء عقوبة الاعدام ـ في أيامنا هذه ـ بالحالمين والشعراء ، لأنهم ينطلقون من منطلقات نظرية ، لا نجد لها سندا مقنعا على أرضية صلبة من الواقع

ومن عجب أن العمل على إلغاء هذه العقوبة في التشريع الوطني أصبح التزاما دوليا ، تمليه المادة السابعة من المعاهدة الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية[1] ، فقد نصت هذه المادة على أنه « لا يجوز التذرع بأي نص من نصوص هذه المادة لتأخير أو لمنع إلغاء عقوبة الاعدام ، من قبل دولة عضوة في هذه المعاهدة » ، كما أن (البروتوكول) السادس لاتفاق جنيف الخاص بحقوق الانسان قد أقر وجوب إلغاء هذه العقوبة في وقت السلم ، وقد أصبح نافذا منذ أول آذار (مارس) ١٩٨٥ م

نحن وعقوبة الاعدام

الأقطار العربية أعضاء في هيئة الأمم المتحدة ، وقد وقعت على المعاهدة المذكورة ، فالتزمت دوليا بأحكامها ، وكان عليها أن تتحفظ على هذه الفقرة ، طالما أنها لا تنوي التقيد بمضمونها ، وليس سرا أنها فقرة تصطدم بقاعدة شرعية إسلامية ، تتبنى مبدأ القصاص ، ومبدأ القصاص ـ علاوة على موقعه العقيدي ـ يلبي حاجات المجتمع لا ريب ، وينشر الطمأنينة في الناس ، ويحقق مبدأ من مبادىء العدالة المطلقة ، قد وقف إلى جانبه عدد من أساطين الفكر قديما وحديثا . ولست أذكر من القدماء إلا جان جاك روسو الذي نادى باجتثاث كل من يخل بالعقد الاجتماعي الذي أبرمه مع المجتمع « حين يكون عاصيا » وخائنا للوطن ، باعتباره عدوا عاما ، ومونتسكيو الذي يريد إبقاء عقوبة الاعدام ، وقصر تنفيذها على القتلة وحدهم ، (وهذا هو القصاص) ، لأنها دواء للمجتمع المريض » ، كما لا أذكر من المعاصرين إلا الفقيه العالمي غارو ،

---

(١) أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم ٢٢٠٠ م بتاريخ ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٦٦

والأستاذ دوفابر . تقوم نظرية الأول على الاحتفاظ بهذه العقوبة في القانون ، لكن لا تنفذ إلا في الجرائم الخطيرة ـ وليس هناك جريمة أخطر من قتل الأبرياء ـ وقد شبهها باقتناء السلاح ، يحتفظ به المرء خشية أن يحتاجه يوما ما . وهذا هو ما يفعله ـ عمليا ـ كثير من الدول ، فعقوبة الاعدام ماتزال نافذة في عدد من الولايات الأمريكية المتحدة ، لكنها لا يكثر استعمالها ، ويوجد الآن في سجون هذه الدولة نحو ١٦٠٠ شخص محكوم عليهم بالاعدام ، ويعيشون في « أروقة الموت » منذ سنين .

لهذا كان قرار دول السوق الأوروبية المشتركة بإلغاء هذه العقوبة في بداية هذا العام ، باعتبارها عقوبة قاسية ، منافية للطبيعة الانسانية ، تمثل انتهاكا لحق البقاء ، مجافيا للعدل وللمنطق .

وهذه العقوبة تمثل في جوهرها العدل المطلق ، وتنسجم خير انسجام مع الطبيعة الانسانية ، إذ ليس أحب إلى هذه الطبيعة من إذاقة القاتل ما أذاقه للبريء الذي أزهق روحه بغيا وعدوانا ، ثم إنها تحافظ ـ عمليا ـ على « حق البقاء » بإخافتها للذين تسول لهم أنفسهم ارتكاب الكبائر ، وتجتث عضوا فاسدا برهن على أنه لا يصلح للعيش في وسط المجتمع .

ولأن للوقائع العملية منطقا كمنطق الأرقام اخترت من أوراقي هذه الجريمة الفظيعة التي يحمل ملفها رقم ٦١ لعام ١٩٥٨ ، أعرضها عرضا لا يجرح المشاعر الحساسة ، ولا يخالف الأمانة العلمية ، لتكون نموذجا على ما يمكن لبعض المجرمين أن يرتكبوه من جرائم ، وقد تحتم عليّ أن أتخذ فيها موقفا ففعلت ، وإني به لقانع .

مثال من الواقع

في قرية وادعة كان يعيش رجل تقدمت به السن مع زوجة مريضة، وولد في مقتبل الصبا ، وكانت لهما ابنة ، تزوجها قريب في قرية ليست بعيدة كثيرا عن مسكنهم ، ولم تكن الأرض التي تتعيش منها هذه الأسرة معطاء ، لكثرة ما فيها من صخور سوداء ، تنبيء عن الطبيعة البركانية للمنطقة ، وتمنع استنبات الزرع فيها بوفرة . كان على هذه الأسرة أن تعيش على الكفاف ، لضآلة المورد ، وأن توفر لفتاها ما يصلح من شأنه بين رفقاء المدرسة والحي .

ذات صباح انطلق صوت الناعي ، ينعى الأم المريضة ، وواري الأهل والجيران الجثمان ، وانكفأ الوالد على نفسه يجتر أحزانه ، ويتدبر أمر بيته وخدمة ولده ، وكانت مهمته شاقة ، بسبب طبيعة العمل ، وضرورة رعاية الأرض .

وأدركت اخته ما يعانيه فنصحته بأن يختار له زوجة ، تحمل عنه عبء البيت ، فتردد ، ثم كلفها بالبحث عن امرأة ، تقبل بحالته ، ولم يطل بها البحث كثيرا ، فقد وفقت إلى فتاة يتيمة الأبوين ، تعيش في كنف قريبة ، تؤويها مقابل ما تقوم به من عمل في البيوت .

كان سبب اعتراض الأب على هذه الخطبية أنها دون العشرين من عمرها ، وأنه الآن في عمر يزيد عن عمر أبيها ، لكنه رضي مع ذلك على اعتبار أنها مقطوعة الجذور ، وقد يعجبها أن تصبح ربة بيت . وتزوجها ، وهي مرتاحة النفس ، وهو منقبض الصدر ، كأنه كان يستشف حجب الغيب ، فيرى أن هذا الزواج ليس فأل خير . ومرت الشهور الأولى ، وهي تحمل في أحشائها بذرة الشر المختمر . وأصبح ابنه الفتى كثير الغياب عن المدرسة ، وكان يتذرع كل يوم بذريعة ، حتى أخذت الألسنة تسلق الأسرة بتلميحات حينا ، وتصريحات حينا آخر ، وأخذ رذاذ الاشاعات ينفذ إلى آذان الأب ، فراح يرهف السمع ، ويفتح العين ، حتى تيقن أن بيته يعيش في مأساة حقيقية ، ثم افتعل شجارا مع ابنه ، انتهى بطرده إياه من البيت ، لكن عاطفة الأبوة عادت ، فتغلبت على كل الاعتبارات الاجتماعية حين عرف حالة الضياع التي يعيشها وحيده ، فاستعاده حسيرا كسيرا ، غير أن جذوة الشر عادت

فتأججت في شرايين الفتى وزوجه أبيه ، فاتخذا قرارا بيتاه وهو الخلاص من العقبة . ومن المحزن أن المناسبة لم تتأخر ، فقد وضعت البنت المتزوجة وليدها الأول ، وجاء الرسول بخبر الفرحة ، فأصبح لزاما على أفراد الأسرة أن يتوجهوا إليها ، ليزجوا إليها التهنئة .

كانت الشمس تدلف نحو الأفق ، حين توجه الثلاثة إلى القرية الأخرى، هربا من الحر الشديد ، وطمعا في نسمات عليلة من نسمات الأمسيات التي اعتادت أن تتبختر كل مساء في مثل هذا الفصل .

كان الشيخ يركب حماره ، وأمامه يسير ابنه ، وخلفه تتحرك الزوجة ، وكانت خطوات القافلة متثاقلة ، تتناغم مع قرع حوافر الحمار على الحجارة في طريق ترابي ، لتدخل إلى سكون الظلمة والوحشة شيئا من الحركة والصوت ، وبين حين وآخر كان النوم يرش على عيني الشيخ قطرات من الخدر ، فيسلم نفسه إلى أذرعة مورفيه (إله النوم في الميثولوجوجيا اليونانية) فيسقط رأسه عل صدره ثم لا يلبث أن يصحو ليعاود النوم مرة أخرى ، كأنه طفل لفّه الليل بثوبه ، فاستسلم إلى أحلامه .

أنس الولد إلى وحشة الهدوء ، وانقطاع السابلة ، فأخذ برسن الحمار ، وانحرف به عن الطريق ، ثم تركه على هواه ، وانتقى حجرا أملس صلدا ودانى والده ، وعن قرب ضرب به رأسه بكل ما في زنده من قوة ، فانطلقت من الأب صرخة مدوية ، وتهاوى مترنحا ، فدفعه الظالم وألقاه على الأرض ، وانهال على رأسه بحجر يضربه ، ولم تثنه استغاثات أبيه وهو يلفظ أنفاسه ، ثم حمل حجرا ضخما ، هشم به هذا الرأس الذي لم يعد في حاجة إلى ضربة أخرى ، لتنطلق روح هذا الوالد إلى الذي لا تغفل عينه ، تشكو إليه العقوق والغدر .

جر المجرمان الجثة إلى حفرة ، وهالا عليها التراب والحجارة ، واستأنفا سيرهما ، لاتمام واجب التهنئة ، فقدماها ، وزعما أن الوالد سوف يحضر بعد أيام حين يبلّ من مرض ألم به .

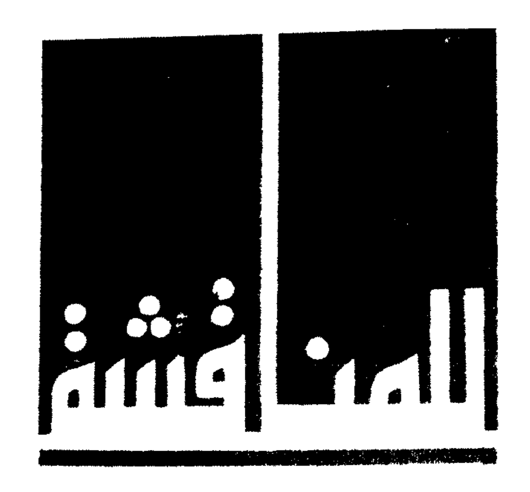
وعادا بعد الزيارة إلى البيت ظانين أنهما أنجزا الجريمة الكاملة ، وأشاعا أن الولد غادر إلى الحاضرة في سفر قد يطول ، لكن القدر كان أسرع من كيدهما ، إذ دلت الطيور الجارحة عين العدالة على موضع الجثة، وهتكت الأستار .

تبادل الأثمان التهم ، ثم أنهت التحقيقات والاعتراف وتقرير الطبيب الشرعي مهمة المحكمة ، وصدر حكمها بإعدام المجرم وحبس المجرمة مدى الحياة ، وبهذا الحكم المخفف على المرأة تكون المحكمة قد ظلت وفية لتقليد يكاد يكون عالميا ، وهو الاقلال من أحكام الاعدام على النساء ما أمكن ، غير أن هذه النظرة عرف تعاملي ، درجت عليه المجتمعات ، وليس حقا قانونيا أو مكتسبا ، فكثيرا ما سمعنا عن نساء ، من أرقى الأوساط الاجتماعية ومن أدناها طوّقت المشانق أعناقهن الجميلة .

كان المرسوم الجمهوري المتضمن تصديق الحكم أمامي ، أقرؤه ، وأعيد قراءته ، متفكرا مستعبرا ، ثم أقرأ تقرير مدير السجن عن تحسّن سلوك المجرم خلال فترة وجوده في السجن .

لكن الجريمة كانت من الفظاعة بدرجة سدت عليّ أبواب كل تفكير ، فأصدرت الأمر إلى النيابة العامة لتوقظه في صباح اليوم التالي ، مع أنفاس الفجر في زنزانته ، وتتلو عليه الحكم والتصديق ، وتسأله عما يوصي به ، ثم ليلف الجلاد حبلا من قنب على رقبته ، ويسحب الكرسي من تحت قدميه ، لينتفض عدة انتفاضات في الهواء ، ثم يهمد كل شيء ، ويخيم السكون جزاء وفاقا .

وسبحان العادل الذي قال : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » . □



بقلم : فهمي هويدي

استدعاء الفقه إلى قلب العصر

كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حول الاجتهاد في الشريعة الاسلامية ، يمثل محاولة متميزة لنقل الفقه الى قلب العصر ، على الصعيدين النظري والتطبيقي ، وفضلا عن ذلك ، فانه يتضمن أول نقد عَلَني من داخل الحركة الاسلامية لأخطر مقولات الاستاذ سيد قطب ، التي تنسب الى واقعنا المعاصر وصف « الجاهلية » . وهي المقولة التي شاعت بين أوساط شباب المشتغلين بالعمل الاسلامي ، حتى باتت تشكل احدى الركائز الفكرية لعديد من الفصائل الاسلامية النشطة في زماننا .

من هنا ـ ولأسباب أخرى سنمر بها ـ فان كتاب الشيخ القرضاوي يضيف الى رصيدنا الفكري الكثير مما يستحق منا أن نعرضه ونفصل فيه قدر الامكان .

ابتداء ينبهنا الشيخ القرضاوي الى أن الفقيه ليس من حفظ الفروع الفقهية ، وتمكن مما قاله السابقون أو نقله عنهم اللاحقون ، ولكنه « من أتقن مبادىء الفقه بحيث يقدر على استخراجه من القول الى الفعل » ، بمعنى أن العبرة في الفقيه ليست بما حفظه وحصله ، ولكنها بقدرته على استنباط الاحكام الشرعية ، وتمكنه مما يسمى بآلة الاجتهاد .

وفي شروط المجتهد ـ وفي مقدمتها العلم بالقرآن والسنة والعربية والأصول والاجماع ـ فانه يضيف شرطين ، أحدهما لم يكن محل اتفاق الأصوليين ، والثاني لم يقل به أحد من قبل .

أما الشرط الأول فهو العلم « بمقاصد الشريعة » ، وهو الذي نبه اليه الامام أبو اسحاق الشاطبي الغرناطي (المتوفى سنة ٧٩٠هـ) في كتابه الشهير الموافقات ، وكان أول من دعا اليه ، والشاطبي هو أفضل من صاغ مقاصد الشريعة ، ورتبها طبقا لأهميتها في مراتب ثلاث : « ضرورية » لاتستقيم حياة الناس بدونها ، مثل حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ـ و « حاجية » مما يلزم الناس لليسر والسعة ، واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة ـ و« تحسينية » مما تقتضيه المروءة ومكارم الأخلاق .

اهتم الامام الشاطبي بالمقاصد حتى جعلها سبب

الاجتهاد لامجرد شرط له ، اذ جعل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين : أولهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها ، وأنها مبنية على اعتبار المصالح بمراتبها الثلاث ـ والثاني هو التمكن من الاستنباط بناء على فهمه هذا .

ويعقب الشيخ القرضاوي على رأي الشاطبي ـ مؤيدا ومعززا ـ فيقول : لهذا كان العلم بمقاصد الشريعة في غاية الأهمية ، حتى لايغلط عليها الغالطون ، ويجروا وراء الأحكام الجزئية مهملين المقاصد الكلية ، فيخلطون ويخبطون

ويبرر الدكتور القرضاوي كون فقهاء اللأصول لم يشيروا الى هذا الشرط ، بقوله انهم ربما يكونون قد اكتفوا بما ذكروه من وجوب الرسوخ في معرفة القرآن والسنة ، مما يؤدي بدوره الى معرفة مقاصد الشريعة ، ثم انهم أشاروا الى أهمية معرفة القواعد الكلية للشريعة ، وان لم يفردوها بالذكر .

الشرط الثاني الذي أضافه الشيخ القرضاوي داعيا الى ضرورة توفره في المجتهد هو : معرفة الناس والحياة ، لأنه لا يجتهد في فراغ ، بل في وقائع تنزل بالأفراد والمجتمعات من حوله ، وهؤلاء تؤثر في أفكارهم وسلوكهم تيارات وعوامل مختلفة نفسية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، فلا بد للمجتهد أن يكون على حظ من المعرفة بأحوال عصره ، وظروف مجتمعه ، ومشكلاته وتياراته الفكرية والسياسية والدينية » .

لقد أشار الفقهاء في مواضع عدة إلى أهمية معرفة الناس لمن يتصدى لأمور الفتوى ، وقال ابن القيم إن المفتي أو الحاكم الذي يفتقد هذه المعرفة « كان ما يفسد أكثر مما يصلح » . ولكن الأصوليين لم يدرجوا هذا الشرط فيما ينبغي أن يتوفر في المجتهد ، وإذ يؤكد الشيخ القرضاوي على اعتبار ذلك الشرط ، فانه يقول بأنه مطلوب « ليكون الاجتهاد صحيحا واقعا في محله » . وهو يذهب الى ضرورة أن يكون المجتهد ـ أيضا ـ ملما بثقافة عصره ، حتى لايعيش منعزلا عن المجتمع الذي يعيش فيه ويجتهد له ـ ويصنف تحت هذا العنوان علوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ . . .

ونلاحظ هنا أنه يدعو أيضا الى احاطة الفقيه ببعض المعارف العلمية الأخرى ، مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، ويبدو أن الدكتور القرضاوي قد عدد تلك المعارف وفي ذهنه صورة الفرد أو المجتهد المطلق ، وهي صورة وان كانت مثلى ، الا أنها صارت متعذرة في زماننا ، أي في ظل تعدد المعارف والعلوم بالصورة التي يعجز بشر فرد عن الالمام بها فضلا عن استيعابها ، وقد أدرك ذلك الشيخ القرضاوي ، حيث دعا في موضع آخر من الكتاب الى أن يتم الاجتهاد من خلال فريق أو مجمع فقهي ، بعدما صار محققا أنه لم يعد بمقدور مجتهد فرد أن يتصدر للفتيا العلمية لهم ، مما يمكنهم من تحديد الحكم الشرعي في كل حالة ، خصوصا في الأمور الطبية والاقتصادية المعقدة ، التي لايطالب أهل الأصول بالاحاطة بها .

لذا ، فاننا اذ نشكر للدكتور القرضاوي ابرازه لأهمية معرفة الفقيه لأحوال الناس والحياة ، وللواقع الثقافي العام ، فاننا نحسب أنه ذهب بعيدا في دعوته الى ضرورة احاطة الفقيه بقدر من المعارف العلمية ، التي تمكنه من الافتاء في قضايا الاجهاض وقتل الجنين أو التحكم في جنسه (على حد تعبيره) ـ ونفضل أن يكون الاجتهاد الفقهي في تلك القضايا الدقيقة معتمدا على رأي أهل الاختصاص العلمي وبمشورة منهم .

يؤيدنا الدكتور القرضاوي بطريق غير مباشر ، عندما يعالج في موضع آخر من كتابه فكرة « تجزؤ الاجتهاد » ، بمعنى أن يتمكن الباحث من فرع معين : القانون أو الاقتصاد أو الطب . لكي يصبح قادرا على أن يجتهد فيه بحيث « يستطيع استاذ الاقتصاد المتمكن اذا درس ما يتعلق به في الفقه والمصادر الاسلامية أن يجتهد في هذا الباب

لايتعداه ، ومثل ذلك استاذ القانون الجنائي أو الدستوري أو غيرهما . . كل في اختصاصه » .

لكن اشترط لذلك شرطين : أن يكون الباحث مؤهلا للفهم والاستنباط ، وأن يدرس موضوعه أو مسألته دراسة متعمقة ، تمكنه من الاحاطة بجميع جوانبها ، حتى يستطيع أن يجتهد فيها .

ونفهم من السياق أنه يقصر هذا النوع من الاجتهاد ، الذي نحسب أن له شأنه في واقعنا المعاصر ، حيث باتت الحاجة ملحة الى التخصص الدقيق في مختلف فروع المعرفة .

وفي تناوله لمسألة الاجتهاد ، فان الدكتور القرضاوي يقف في قلب العصر ، عندما يحاول القاء ضوء كاشف على اثنين من المجالات التي حدث فيها تطور ضخم في العصر الحديث ، وهما مجالا الاقتصاد والطب .

عن الاقتصاد يقول ان كثيرا من معاملاته جديد مائة في المائة ، وبعضها شبيه بالقديم ، أو مركب من القديم والجديد ، وهناك من يذهب الى الرفض أو التشدّيد فيها من باب التحوط ، لكنه يتحفظ على هذا النهج ، مستندا الى قول الامام سفيان الثوري : « انما الفقه الرخصة مع الثقة ، أما التشديد فيحسنه كل أحد » !

هو أيضا يحذر من « فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، واباحة كل ما هو واقع ، بدعوى المصلحة حينا ، وبدعوى الضرورة حينا ، وبتخريجات واهية متكلفة حينا آخر » . . وفي نهاية الأمر ، فانه يدعو الى اخضاع هذه الأعمال والمؤسسات الجديدة للبحث الجاد ، من جانب أهل التخصص الفقهي لاستنباط الحكم اللائق بها في ضوء الأدلة الشرعية .

يضرب الشيخ القرضاوي مثلا بالنقود الورقية التي أصبحت عماد التعامل في هذا العصر ، ويتساءل : ألها حكم النقود المعدنية ، التي جاءت بها النصوص الشرعية من الذهب والفضة ، في كل شيء : في وجوب وحرمة الربا ، وقضاء الديون ـ وغيرها ؟

يضرب مثلا آخر بالعملات التي تتدهور قيمتها باستمرار ، وحكم من كان عليه دين قديم من هذه العملات ، ويريد أن يوفيه اليوم بعد هبوط القدرة الشرائية هبوطا غير عادي ؟ . . هل توفى القيمة ذاتها فيضار الدائن ، أم تزاد فتحل شبهة الربا ؟

في غير النقود ، هناك مسائل البنوك وشركات التأمين ، التي عقد في شأنها عديد من المؤتمرات ، وعالجها البعض في بحوث مختلفة ، وتم الاتفاق حول أشياء ، والاختلاف حول أشياء ، والتعليق حول بنود أخرى ، ومع ذلك فالتفاصيل بغير حصر ومجال الاجتهاد يحتاج الى مزيد من جهود الباحثين والمتخصصين .

المجال الثاني الذى يلفت الأنظار الى قدرة الاجتهاد فيه هو ميدان الطب الحديث ، ورغم أن قضايا هندسة الوراثة والأجنة وأطفال الأنابيب تطرح تحديات مثيرة أمام أهل الفقه والاجتهاد ، الا أنه ضرب مثلا بالأسئلة التي تثيرها عملية زراعة الأعضاء ، وقد أحيلت اليه من قبل جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وكانت منظمة الطب الاسلامي في جنوب أفريقيا هي التى توجهت بتلك الأسئلة ، ومنها :

ـ هل يجوز زرع أعضاء الحيوان لانقاذ حياة الانسان أو لتحسين أنشطة بعض أعضائه ، حتى لو كان الحيوان خنزيرا ؟

ـ هل يجوز للمسلم الموافقة على نزع أعضاء من جسمه وهو حي ، لاستعمالها في الزراعة لمصلحة طفله أو أحد أبويه ؟

ـ هل يجوز زرع الأعضاء فيما بين المسلمين وغير المسلمين ؟ . . وهل يجوز للمسلم أن يتبرع بجسمه بعد الوفاة ؟

ـ متى يجوز الاعلان عن وفاة الانسان ، اذا توقف قلبه أو توقف المخ ؟

هذه الأسئلة مثارة في حياة المسلمين الذين يبحثون عن حكم شرعي صحيح لكل حالة ، في هذا الموضوع ، وفي غيره مما يحتاج الى جهد فقهي كبير لملاحقة مستجداته ومتغيراته .

والشيخ القرضاوي ، اذ يسترعي الانتباه الى تلك القضايا الحيوية ، يرى أيضا أن الاجتهاد لا ينحصر في دائرة المسائل الجديدة « بل له مهمة أخرى مع التراث الفقهي ، لاعادة النظر فيه على ضوء ظروف العصر وحاجات الناس ، لاختيار أرجح الآراء وأنسبها بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، بناء على قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والانسان . ويضيف قائلا : ليس صحيحا أن الأول لم يترك للآخر شيئا ، بل الصحيح ما قاله أهل التحقيق : كم ترك الأول للآخر ، بل كم فاق الأواخر الأوائل !

هنا يقرر : ينبغي أن يكون الاجتهاد في عصرنا اجتهادا جماعيا ، في صورة مجمع علمي يضم الكفايات الفقهية العالية ، ويصدر أحكامه في شجاعة وحرية ، بعيدا عن كل المؤثرات والضغوط الاجتماعية والسياسية . . ومع هذا لا غنى عن الاجتهاد الفردي ، الذي ينير الطريق أمام الاجتهاد الجماعي .

يرى الدكتور القرضاوي أن الاجتهاد المطلوب لعصرنا نوعان : انقضائي يقوم على الترجيح بين أحد الآراء المنقولة في تراثنا الفقهي ، وانشائي ، يستهدف استنباط حكم جديد في مسألة من المسائل التي لم يعرض لها أحد من السابقين .

التصوير من نماذج الاجتهاد الانشائي ،وهو ما حسمه منذ أكثر من نصف قرن الشيخ محمد بخيت المطيع ـ مفتي مصر الأسبق ـ في رسالة شهيرة له بعنوان : « القول الكافي في اباحة التصوير الفوتوغرافي » . اذ قال في صدد الاباحة ، ان علة التحريم هي مضاهاة خلق الله ، وهذا التصوير ليس مضاهاة من ذلك النوع ، انما هو خلق الله نفسه انعكس على الورق ، كما تنعكس الصورة في المرآة . واستطاع الانسان بالعلم أن يثبتها بوسائط معينة .

يتصل بذلك ما أشار اليه الشيخ القرضاوي في شأن « التماثيل » ، عندما تعرض في موضع آخر من الكتاب لما أسماه « مزالق الاجتهاد المعاصر » . وهو ينتقد من أباحها استنادا الى أن التصوير حرم في الاسلام لقرب العهد بالوثنية ، وما كان فيها من صور تعبد من دون الله ، في حين أن العقول تحررت في زماننا ، ولم يعد ثمة مجال لأن يعبد انسان القرن العشرين صورة أو تمثالا .

وفي رده على ذلك يقول . ان التأويل مردود كله ، فالنصوص التي حرمت التصوير قد نصت على علته ، وهي مضاهاة خلق الله ، وليس مشابهة الوثنية ـ أما تحرر العقول في القرن العشرين « فليذهب صاحب هذا الكلام الى الهند وبلاد كثيرة في اسيا وأفريقيا ، ليرى أن الوثنية لازالت معششة حتى في رؤوس كبار المتعلمين » .

واذا نقدر لشيخنا الجليل رأيه ، لكننا نحسب أن مضاهاة خلق الله ليست تامة في التماثيل التي هي بلا روح ، فضلا عن أن المضاهاة ليست منهيا عنها لذاتها ، ولكن لأنها قد تفتن الناس في دينهم ، الأمر الذي قد يغري بالعودة الى الوثنية ، ولئن رد الدكتور القرضاوي على تحرر العقوُل في القرن العشرين وبعدها عن الوثنية ، باشارته الى معتقدات بعض البلاد الأسيوية ، فربما أصبح الكلام أضبط وأدق لو أنه حرم التماثيل ان كانت تفتح الباب لشبهة التعبد بالأوثان ، في مثل تلك الدول ، وهو أمر لا يسري بحق في بقية ارجاء الكرة الأرضية .

وربما كان اجتهاد فقهاء الشيعة بمثابة حل وسط لذلك المشكل ، من حيث انهم يبيحون التماثيل غير المكتملة ، المنحوتة في الخشب أو الحجر ، التي لا تتحقق فيها شبهة المضاهاة ، من حيث انها تبرز جزءا فقط من جسم الانسان ، ولا تصوره كله .

وبعد أن يعرض عديدا من محاولات الاجتهاد المعاصر ، فان الشيخ القرضاوي يحدد لنا ٩ ضوابط لاجتهاد معاصر وقويم : وهي :

لا اجتهاد بعد بذل أقصى الجهد في تتبع الأدلة ، لا محل للاجتهاد فيما ثبت بالدلالة القاطعة في القرآن ، مثل فرضية الصيام أو تحريم الربا والخمر ولحم الخنزير ، لا يجوز التشدد في الأمور الظنية ، وتحويلها الى قطعيات بحجة الاجماع أو غير ذلك ، ضرورة الوصل بين الفقه والحديث ، باعتبار أن أكثر المشتغلين بالحديث لا يهتمون كثيرا بالدراسات الفقهية والأصولية ، والحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع بتبرير كل شيء بدعوى المعاصرة ، وأهمية الترحيب بكل جديد نافع والتخلي عن موقف مقاومة كل جديد ، طالما أنه لا يغير من الأصول شيئا ، وألا نهمل روح العصر وحاجاته ، والانتقال من الاجتهاد الفردي الى الجماعي ، وافساح الصدور لخطأ المجتهد .

في الجزء الأخير من كتابه يتصدى الشيخ القرضاوي لرأي الأستاذ سيد قطب الذي يعتبر المجتمع الراهن لا يجدي معه اجتهاد أو استنباط ، « فذلك عبث أو هزل ، لأننا نعيش مجتمعا جاهليا ، يرفض حاكمية الله تعالى ، وبالتالي فعليه أن يسلم أولا وبعد دخوله الى الاسلام لنا أن نجتهد لحل مشكلاته في رحابه » ، هذا الرأى أثبته لنا الاستاذ قطب في تفسيره للقرآن « في الظلال » ـ وفي كتابيه « معالم في الطريق » و « الاسلام ومشكلات الحضارة » .

وفي رده على هذا الرأي فإن الشيخ القرضاوي يقول : انه لا مقارنة بين مجتمعنا الراهن والمجتمع الجاهلي في مكة ، الذى دعاه الرسول عليه الصلاة والسلام الى الاسلام ، ذلك مجتمع وثني كافر ، وفي مجتمعنا ناقصو دين وبلا دين ، ولكن الأكثرية الساحقة مؤمنة وملتزمة بالاسلام وبشعائره على المستوى الفردي ، « ولهذا يكون من الاسراف والمجازفة الحكم على هؤلاء جميعا بأنهم جاهليون »

يضيف أن ثمة شريحة من أبناء الثقافة الغربية يحاولون الفصل بين العقيدة والشريعة في الدين ، وينحازون للأولى دون الثانية ، لكن ذلك ينبغي أن يحمل باعتباره تدينا منقوصا ، وليس جاهلية تقتضى دعوة صاحبها الى الاسلام من جديد .

في نقضه لرأي الاستاذ قطب ، فان القرضاوي استشهد ببعض كتابات المشتغلين بالدعوة الاسلامية ، من أمثال الاستاذ عبد القادر عودة في رسالته « الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه » ، وفيها اشارة واضحة الى أن اهمال تحكيم الشريعة الاسلامية في بعض شئون الحياة العامة ، لم يكن تحديا لسلطان الله ، وانما هو ناشىء عن عدم ادراك حقائق الشريعة والهيمنة الغربية ، التي حرصت على ازاحة الشريعة عن التطبيق منذ بسطت سلطانها على العالم الاسلامي

لقد اشترط الأستاذ قطب لممارسة الاجتهاد ـ بالاضافة الى الشروط المعتمدة ـ شرطين هما : مزاولة العقيدة والمنهج في الحياة العامة ، ومزاولة العقيدة والمنهج في الحياة الخاصة للشرع . وهو ما سلم به الشيخ القرضاوي في شقه الثاني دون الأول ، حيث قال « أما الشرط الأول : فلا أعلم له سندا ، ولا أعرف أحدا قال به ، ولا أجد مانعا يحول بين الفقيه المسلم وبين الاجتهاد السليم لبيان رأي الشرع الاسلامي في واقع المجتمع اليوم ، خصوصا وأن أكثر المشكلات الجديدة ليست وليدة المجتمع الجاهلي ، وانما هي وليدة التطور الاجتماعي والتقدم التقني الحديث » .

وفي ختام رده يقول الدكتور القرضاوي ، ان « قطب » صاحب « العدالة الاجتماعية » أقرب الى السداد من « قطب » صاحب « المعالم » . !□



مئذنة كليان - بخارى (١١١٢م - ٥٦٨هـ)



الله أكبـر . .

حى عـلى الصلاة . .

نـداء يرتفـع بـه صـوت المؤذن . . من فـوق عشرات الآلاف من مآذن المساجد الممتدة بين جنبات جهات الدنيـا الأربع . . فيتداعى له أكثر من ألف مليون مسلم . . يشكلون أمة واحـدة عـلى طريق الخير والحق . . تربطها عقيدة مشتركة وقيم روحية سامية . . وشعور غامر بوحدة الهدف والمصير .

هذه المآذن التى يرتفع من فوقها اسم الله . . وهى بعض سمات عالم الاسلام . . لها على مدى القـرون قـصـة . . وحضارة . . وتاريخ .

مئذنتا الجامع الازهر . . اليمنى اقـامهـا قايتباي واليسرى ذات الـرأسين اقـامها السلطان الغورى . (٩١٥ هـ - ١٥١٠م)

تبدأ القصة . . مع بزوغ شمس الاسلام ، ومنذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام . . حين كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بغير دعوة . وكما يقول ابن هشام فى السيرة : ان النبى (ص) هَمَّ أن يتخذ بوقا كبوق اليهود الذى يدعون به لصلاتهم . ولكنه كَرِهَ ذلك ، وأمر باتخاذ ناقوس يدعى به المسلمون للصلاة كما يفعل المسيحيون . ولكن أخبره عبد الله بن زيد بن ثعلبة أن طائفا طاف به ليلة فى منامه ، وزين له الدعوة الى الصلاة بالأذان ، فأقره النبى على ذلك ، وأمر مولاه بلال بن رباح أن يؤذن به داعيا الى الصلاة .

ومهما يكن من شىء فإن بلالاً كان يؤذن من فوق سطح بيت عال عند مسجد النبى . . وكان هو بذلك أول مؤذن فى الاسلام .

والواقع ان المساجد الاولى لم تكن لها مآذن ولا منابر .

ولم يكن هناك بناء قائم يؤذن من فوقه للصلاة ، بل إن أول ذكر للمنارات فى الاسلام هو ما رواه « البلاذرى » من أن زياد بن أبيه عامل معاوية على العراق ، بنى لجامع البصرة منارة من الحجر عام ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر على نحو يتناسب مع ما وصلت إليه البصرة فى ذلك الوقت من اتساع وعمران وزيادة سكان . . إلا أن أول مآذن المساجد هى تلك التى شيدت فى جامع عمرو بن العاص ، الذى أقيم فى فسطاط مصر سنة (٢١ هـ / ٦٤٢م) فقد شيدت مآذنه الأربع بمعرفة مسلمة بن مخلد والى مصر لمعاوية بن أبى سفيان ، الذى أعاد إنشاء المسجد وجعل له مآذن فى أركانه عام (٥٣هـ / ٦٧٢م) . . وكانت عبارة عن أبراج صغيرة مربعة سميت بالصوامع . وأمر بأن تبنى منارات فى معظم مساجد الفسطاط الأخرى، كما كلف مؤذنى جامع عمرو بن العاص بأن يبدأوا الأذان للصلوات ، ثم يتبعهم المؤذنون من فوق المنارات .

وقبل الخوض فى حديث المآذن فإننا نلاحظ أن اسم « المنارة » أطلق على المآذن أول ما ظهرت فى العمارة الاسلامية . ويمكن القول ان المآذن نشأت عن الأبراج والصوامع والمنابر ، ثم امتزجت طرزها معا فظهرت مآذن المساجد التى مازال بعضها باقيا حتى اليوم . وتفرق بعض النصوص بين الصوامع التى بنيت فى أركان جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط ، وبين المنارات التى بنيت فى المساجد الأخرى . وكانت الصوامع أقرب الى الأبراج فى ضخامة الهيئة ، وأما المنارات فكانت أقل حجما وربما أقل ارتفاعا . واستعمال لفظ « منارة » يدل على أن المنارات كانت هيئات معمارية مقتبسة من المنارات التى كانت تنشأ على السواحل أو على قمم الجبال

وكان استعمال الحجر أو الطوب فى بناء المآذن يتوقف على مادة البناء المستعملة فى الأقاليم . ففى أسبانيا استعمل الحجر ، وفى المغرب غلب استعمال الطوب ، وفى مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى وبلاد الجزيرة استعمل الحجر ، بينما استخدم الطوب فى العراق . وقد غلب استعمال الطوب فى إيران وأفغانستان ، بينما استعمل فى الهند الحجر والطوب على السواء .

كانت جميع المآذن فى العالم الاسلامى فى العصر المبكر تتبع بشكل عام تكوينا معماريا مشتركا . . وينحصر الاختلاف فى النسب المعمارية للقواعد وطبقاتها العالية أو أبدانها ، وذلك من ناحية طول ضلعها ان كانت مربعة المسقط ، أو قطرها ان كانت مستديرة بالنسبة لارتفاعها ، ومن ناحية عمل جوسق أو عمامة فى نهايتها . وفى جميع الحالات كان الجوسق العلوى (رأس المئذنة) يغطى بقبة تتبع الأسلوب المحلى السائد فى المنطقة أو الاقليم . وغالبا ما كانت الشرفات تغطى بمظلة من الخشب وذلك فى الأقطار التى تكثر فيها الأمطار حتى تحميها وتمنع ماء المطر من التسرب الى السلم الحلزونى داخلها . ولقد أضافت المآذن بشتى أشكالها الى المساجد جمالا ورونقا ورقة .

الساحة الاسيوية الشاسعة الأرجاء . وقد اعتمدنا فى ذلك على مجموعة من المراجع التاريخية والاسلامية مع مشاهدات شخصية وتحقيقات صحفية خلال استطلاعات العربى فى « عالم الاسلام » .

ونتنقل بين مآذن المساجد فى مختلف بقاع العالم الاسلامى . . بادئين بالقلب والأقاليم الوسطى حيث مهبط الاسلام وبداية انتشاره . . ثم بالجناح الغربى حتى المحيط الاطلسى . . . ثم الجناح الشرقى فى الساحة الأسيوية الشاسعة الأرجاء .

منارات المساجد المباركة

المسجد الحرام أقدم مساجد الاسلام وأوسع مساجد الدنيا ، وترجع هيئة الحرم ـ قبل التجديدات الاخيرة ـ الى أيام المماليك ثم العثمانيين حيث تشبه عمارة المسجد الحرام مساجد القاهرة ومساجد تركيا . وفى صدر الاسلام كانت الكعبة يحيطها جدار اقل من القامة وغير مسقوف . ولم يفكر أحد من



مئذنة مسجد قباء أول مسجد بني على التقوى في المدينة (اقيمت المئذنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٥م)

الخلفاء الراشدين فى تزيينه . . لكن بنى أمية أخذوا يعملون على تطوير عمارة المسجد الحرام فأمر عبد الملك بن مروان عام ٧٥هـ برفع جدرانه ، وأضاف الوليد بن عبد الملك توسعة جديدة . ولكن أول مئذنة أقامها أبو جعفر المنصور . وفى سنة ٩٤٤هـ (١٥٨٦م) بنيت للحرم مآذن كبراها مستديرة على الطراز العثمانى ذات ثلاث شرفات للآذان ، وتحت هذه المئذنة الكبرى التى عرفت بمئذنة الخليفة أنشأ السلطان سليمان القانونى مدرسة للفقه سميت بالسليمانية . . وكان عدد المآذن حول الحرم قد بلغ ست مآذن ، ثم أضاف اليها السلطان أحمد العثمانى مئذنة سابعة عندما اعترض رجال الدين على اتخاذه ست مآذن لمسجده باستانبول ، وهو عدد لا يسمح به إلا للكعبة الشريفة ، فاضطر أن يأمر ببناء مئذنة سابعة للحرم المكى .

وقد أصلح محمد على والى مصر مآذن الحرم عندما قام بإعادة بنائه كله سنة ١٨٢١ . وتم التجديد الكامل لمبانى الحرم وعمارته على الهيئة التى تبدو عليها اليوم منذ عام ١٩٥٨ فى عهد الملك سعود تحت إشراف أخيه(الملك)فيصل . وفى العمارة الجديدة أقيمت مآذن على نمط جديد يبلغ عددها الآن سبع مآذن بعد أن أزيلت المآذن القديمة التى كانت تقع فى وسط المطاف الحالى . والمآذن الجديدة نمط حديث تتكون من دورين ، كل دور عبارة عن فانوس مضلع الشكل يقف على بدن مرتفع له ظلة مائلة الى الخارج على شكل نصف الجمالون ، والقاعدة مربعة حتى ارتفاع مبانى عمارة المسجد ، وبداخلها درج وشبابيك لإنارة السلم وتهويته . أما الجوسق فوق مظلة الدور الثانى فعبارة عن شكل الكمثرى يعلوه شكل اسطوانى ثم عمود الهلال الذى تتخلله أشكال كروية . والبدن به نوافذ تحت الفانوس العلوى للتهوية والاضاءة .

اما المسجد النبوى فى المدينة فإن قبته الخضراء ومآذنه الأربع تعتبر آية من آيات فن العمارة . وقد أعيد بناء المئذنتين على الواجهة البديعة التى عرفت بواجهة الملك عبد العزيز ، وارتفاع كل منهما ٧٥ مترا ، وهما متشابهتان كل واحدة منهما تقوم على قاعدة مربعة حتى ارتفاع مبانى المسجد . وتنتهى بشرفة مربعة يقوم فوقها البدن المضلع ، ثم تجىء ثلاثة أدوار أخرى تتصاعد كلما ارتفعنا نحو القمة التى يعلوها جوسق يقف على أعمدة رشيقة صغيرة ، وفوقه هلال ، وبين الجوسق والهلال شكل بيضاوى ، وتتخلل البدن فى الدور الثانى فتحات دائرية للتهوية والاضاءة .

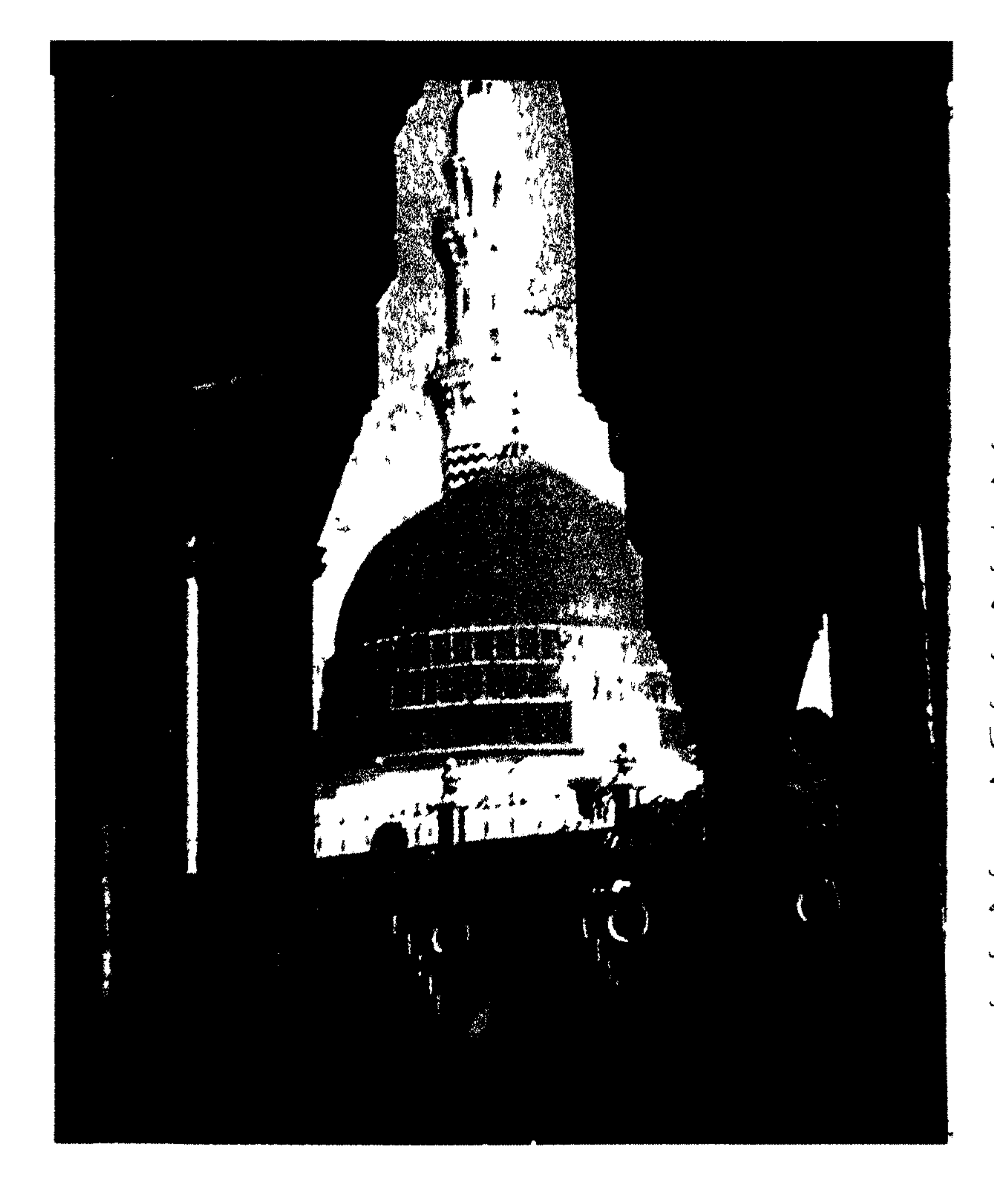
وكان الحرم النبوى قد احترق فى رمضان عام ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م ولم يسلم منه سوى القبة . وفى عهد الظاهر بيبرس حاكم مصر المملوكى ـ وبعد صد الغزو التتارى ـ أرسل الصناع من مصر الى المدينة حيث أعادوا بناء المسجد على ذات الهيكل وأضيفت اليه مئذنة عالية .

وقد قام السلطان العثمانى عبد المجيد بعمارة كبرى فى المسجد ، وكان من بين ما قام به تشييد المئذنة المجيدية على طراز رائع .

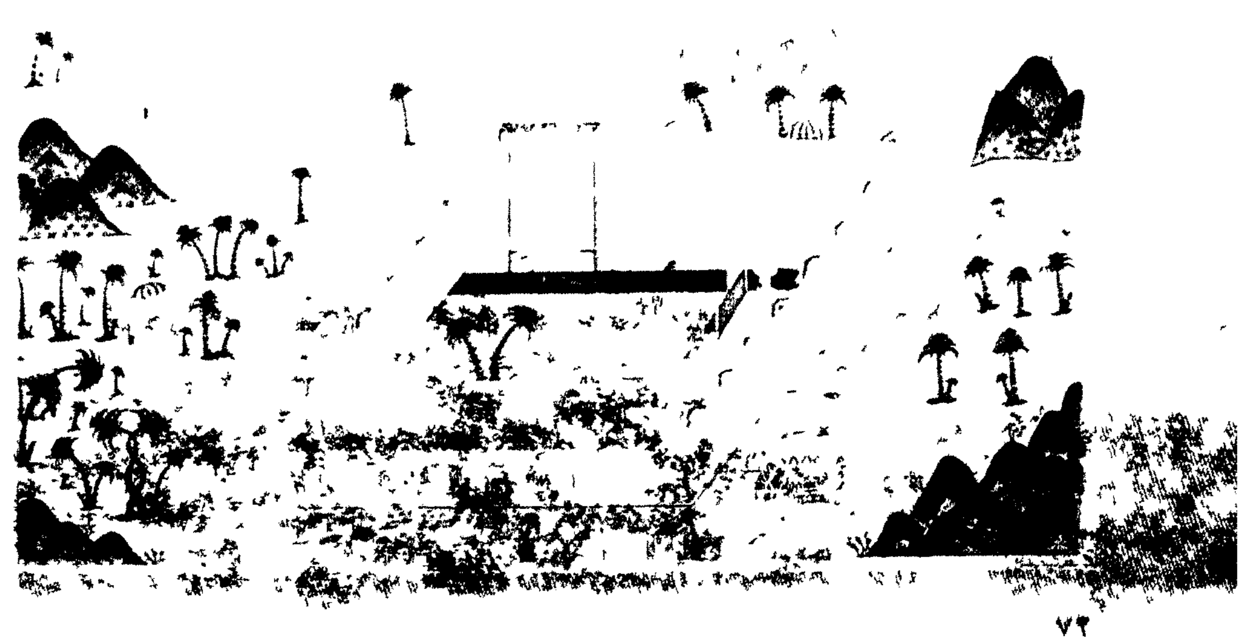
وذكر الرحالة برتون الذى زار المدينة عام ١٨٥٣ ووصف المسجد النبوى ان عدد مآذن المسجد فى ذلك الوقت بلغ خمس مآذن بينهما منارتان بشكل بيضاوى صلب .

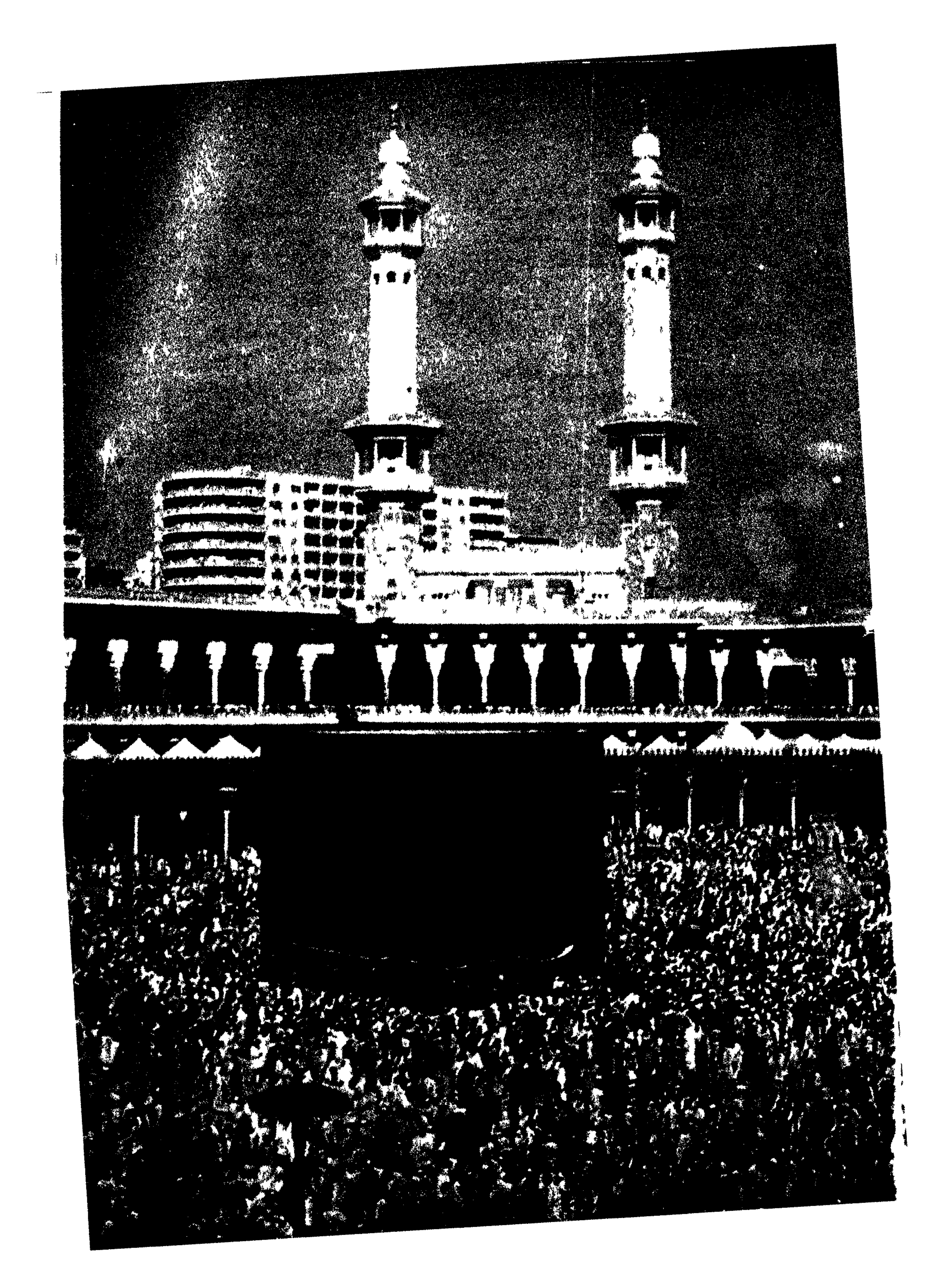
وبعد التجديد الحديث للحرم . أصبح عدد المآذن الموجودة أربع مآذن .

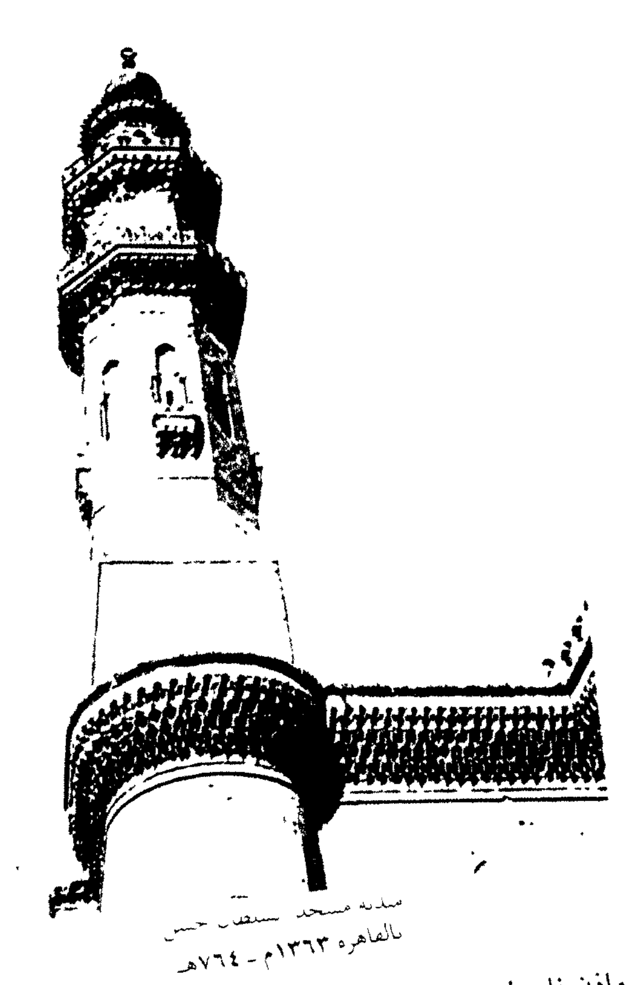
أما مسجد قباء فترجع مئذنته الى العصر العثمانى فى عهد السلطان محمود الثانى ١٢٤٥هـ / ١٨٢٥م قام بها محمد على والى مصر . وقد كانت أول مئذنة له قد أقيمت عندما جدده عمر بن عبد العزيز .



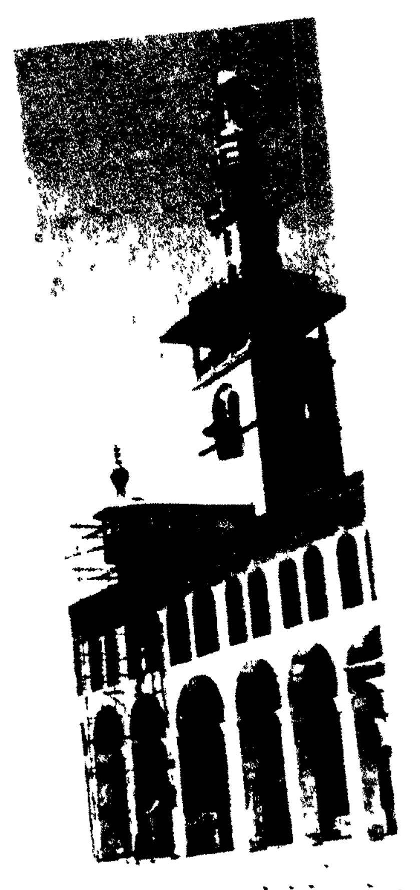
إحدى مادن
المسحد السوى
السـ نفـ ،الى
اسفـل لـوحـه
نادره سن خطط
المسحد الشر نف
(٧٠٩م - ٩١
هـ) ،وتطهر مادن
المسحد الخمس
على الاسوار دىما
سـده الـ وصـه
السـر نفه ،والمسـ
الـسـ ، ،ى
الصفحه المقابله
مئذنتان حدىثتان
للحـرم المكـى
نعد حدىده

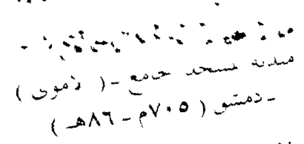






مدنه مسجد سنطان حسن
بالقاهره ١٣٦٣م - ٧٦٤هـ





مدنة مسجد حامع - (لاموى)
- دمشق (٧٠٥م - ٨٦هـ)

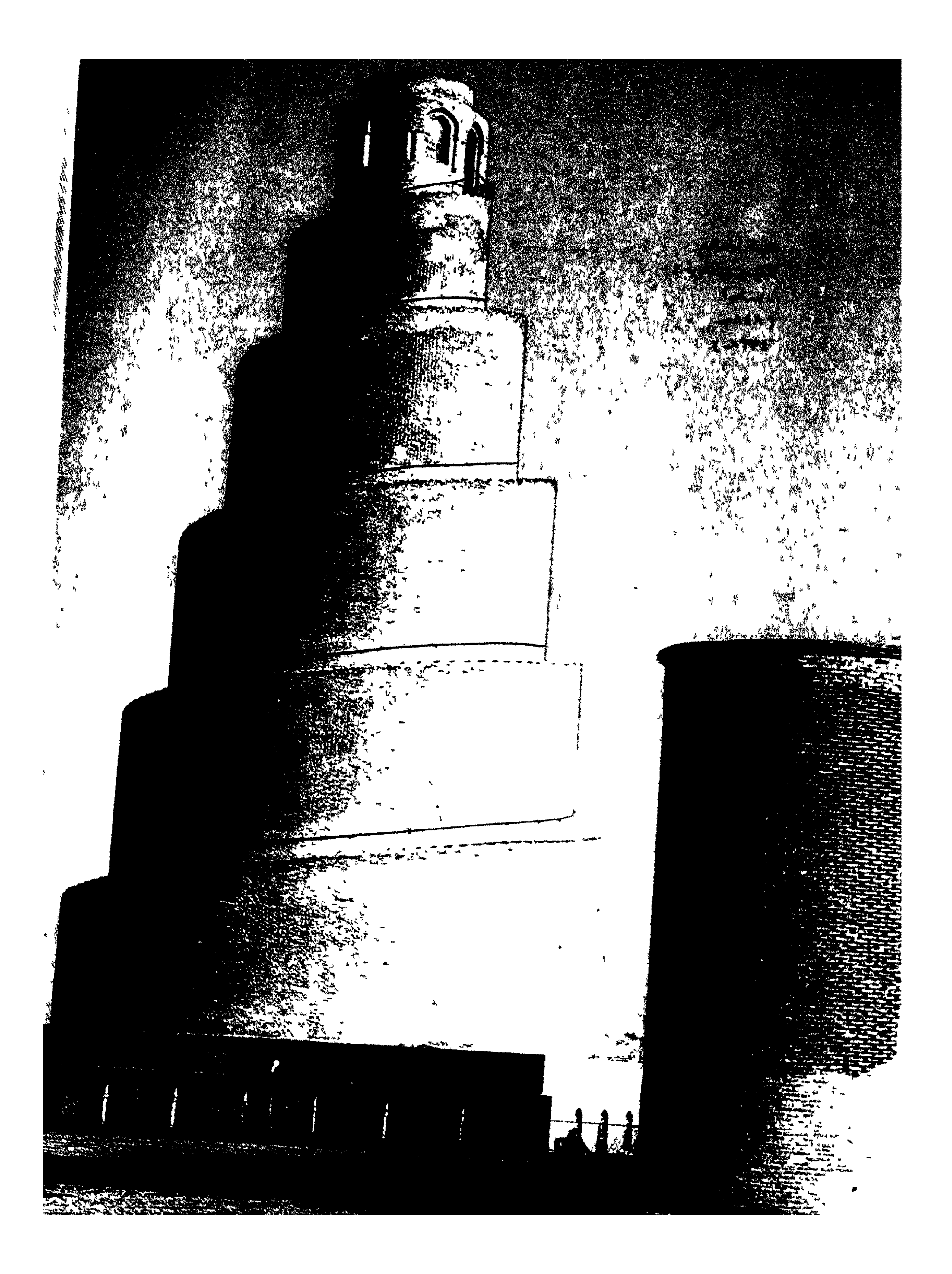
ماذن فلسطين والشام والجزيرة

فى فلسطين لم يكن هناك طراز حاص فى ىناء
المادن وكان التأثر بالأساليب المصرية طاهرا ،
وداع بناء المئذنة المربعة ثم المثمنة الأضلاع على
قاعدة مربعة أما المسجد الأقصى فقد أصبح
بصورته وحجمه الحاليين بأمر الحليفة المهدى
العباسى ، وكانت بداياته ترحع الى عمر بن الحطاب
الدى أمر باقامة مسجد فى الحرم القدسى عير بعيد من
موصع الصحرة التى بنيت عليها القبة

اما المسجد الحامع (الأموى) بالشام فقد كان
إنشاؤه فى مطقة بها معبد وثنى قديم ، كان له برج
مربع فى كل ركن من أركانه الأربعة ، وقد استعملها
المسلمون للاذان ولاترال احداهـا قائمـة فى الركن
الحنوبى العربى

وكان المسجد قد أنشىء أيام معاوية بن أبى سفيان
على أنقاض المعبد الرومانى بعد أن كان قد تحول الى
كنيسة وانتفع المسلمون بالبناء وحولوه الى مسجد
حامع وبعد سنوات رفعوا فوق الأبراج طلات
حشبية تقوم على عمد يستظل بها المؤذنون عندما
يرفعون الأذان فلما حدد عبد الملك بن مروان منارة
الحامع الأموى وأعطاه صورته الحالية حدد أيضا
طلات المادن ولايزال بعضها باقيا حتى اليوم

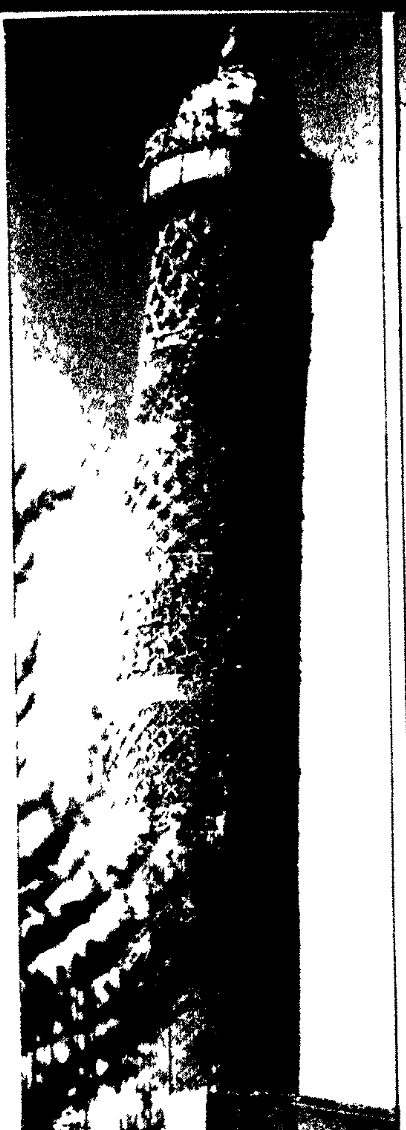
وتعتبر مادن الحامع الأموى أول محاولة لإقامة
المادن فى الشام والبناء الحالى لمادنه يعود الى العصور
الأيوبية والمملوكية والعثمانية والمئذنة العربية فيها





مئذنة مسجد الكاظمية ـ بغداد (ق١٥م ـ ق٩هـ)

مئذنة مسجد زكريا الكبير ـ حلب (١٠٩٠م ـ ٤٨٣هـ)



المئذنة المائلة ـ النورى ـ الموصل (١١٧٢م ـ ٥٦٨هـ)

أحمل وارشق وقد بنيت زمن السلطان قايتباى

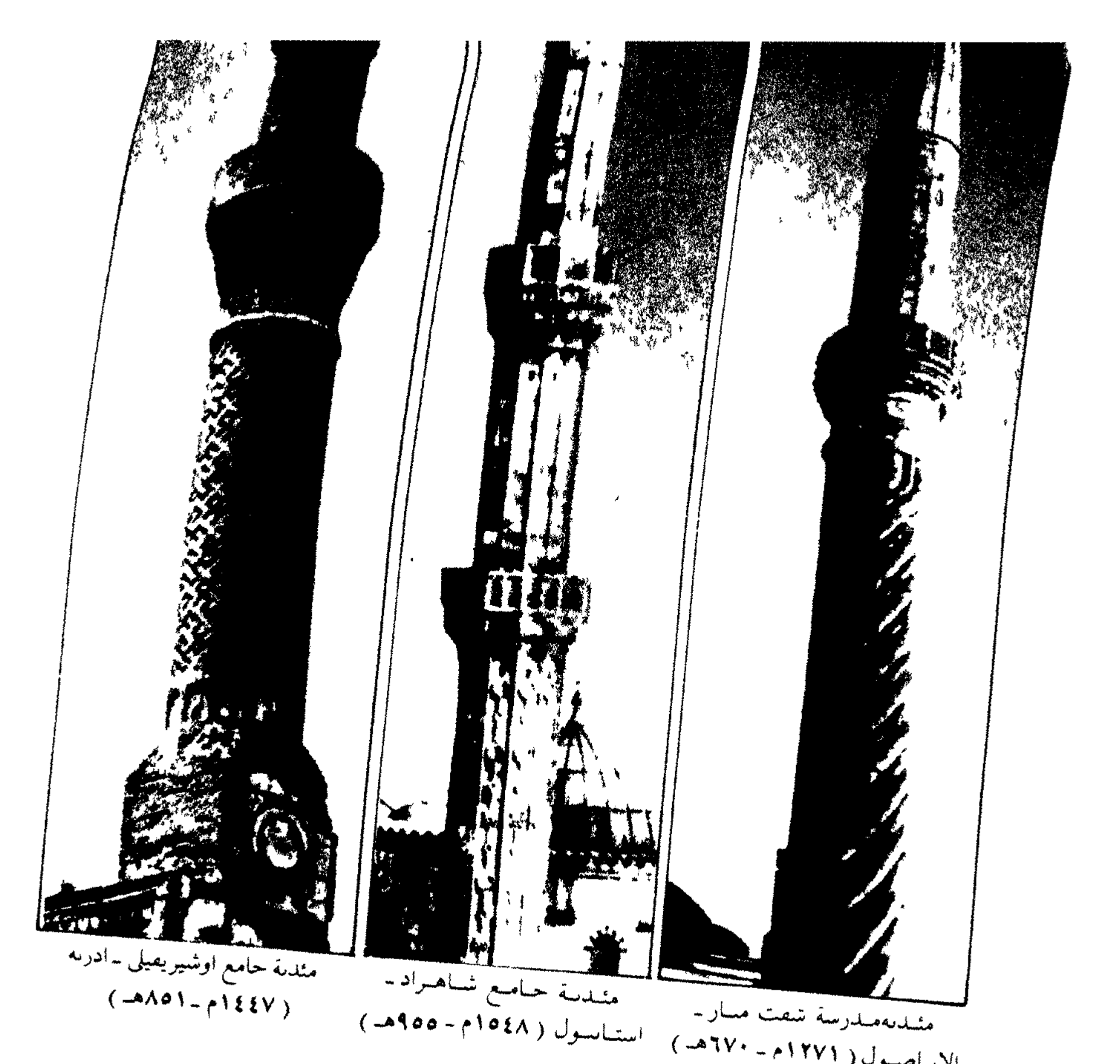
وأقدم منارة أقيمت فى بلاد الشام بخلاف أبراج المسجد الأموى ليست مئذنة ، وإنما هى منارة مازالت قائمة بين اطلال قصر الحير الشرقى ، وتم إنشاؤها حوالى ١١٠هـ/٧٢٩ م ،وهى عبارة عن برج مرتفع أنشىء فى وسط القصر ليدل عليه من بعيد . وتشبه هذه المنارة فى ذلك منارة (مجصة) التى ترجع الى نفس العصر الذى بنى فيه قصر أخيضر التاريخى المشهور وهى اسطوانية الهيئة مبنية بالآجر

وكانت وظيفتها الأخرى الدلالة على القصر الذى يقوم فى منطقة صحراوية كثيرة التلال العالية التى تحجب القصر .

وقد سارت مآذن الشام على خطة البدن المربع وظلت دائما على هيئة البرج وهذا قل أن تصل الى ارتفاعات عالية وفى العادة تكون شرفة الآذان فوق البدن وتعلوها ظلة حشبية لتحمى المؤذن وتسمى الجوسق

وفى العراق وبلاد الجزيرة عرف المعماريون طرزا مختلفة من المآذن ، فشيدوا مئذنة سامرا(الملوية) ومئذنة « أبو دلف » وقد ظلتا مع منارة احمد بن طولون فى مصر فريدتين فى العمارة الاسلامية كما شيدوا أيضا المآذن المربعة والمثمنة والاسطوانية

والمسجد الجامع فى سامرا شيده المتوكل العباسى بين عامى ٢٣٤ و ٢٣٧هـ ومنارته (الملوية) حلزونية ترتفع فى الجو خمسين مترا فوق القاعدة المربعة .



مئذنة حامع اوشيريميلى - ادرنه
(١٤٤٧م - ٨٥١هـ)

مئدنة حامع شـاهـراد -
استانسول (١٥٤٨م - ٩٥٥هـ)

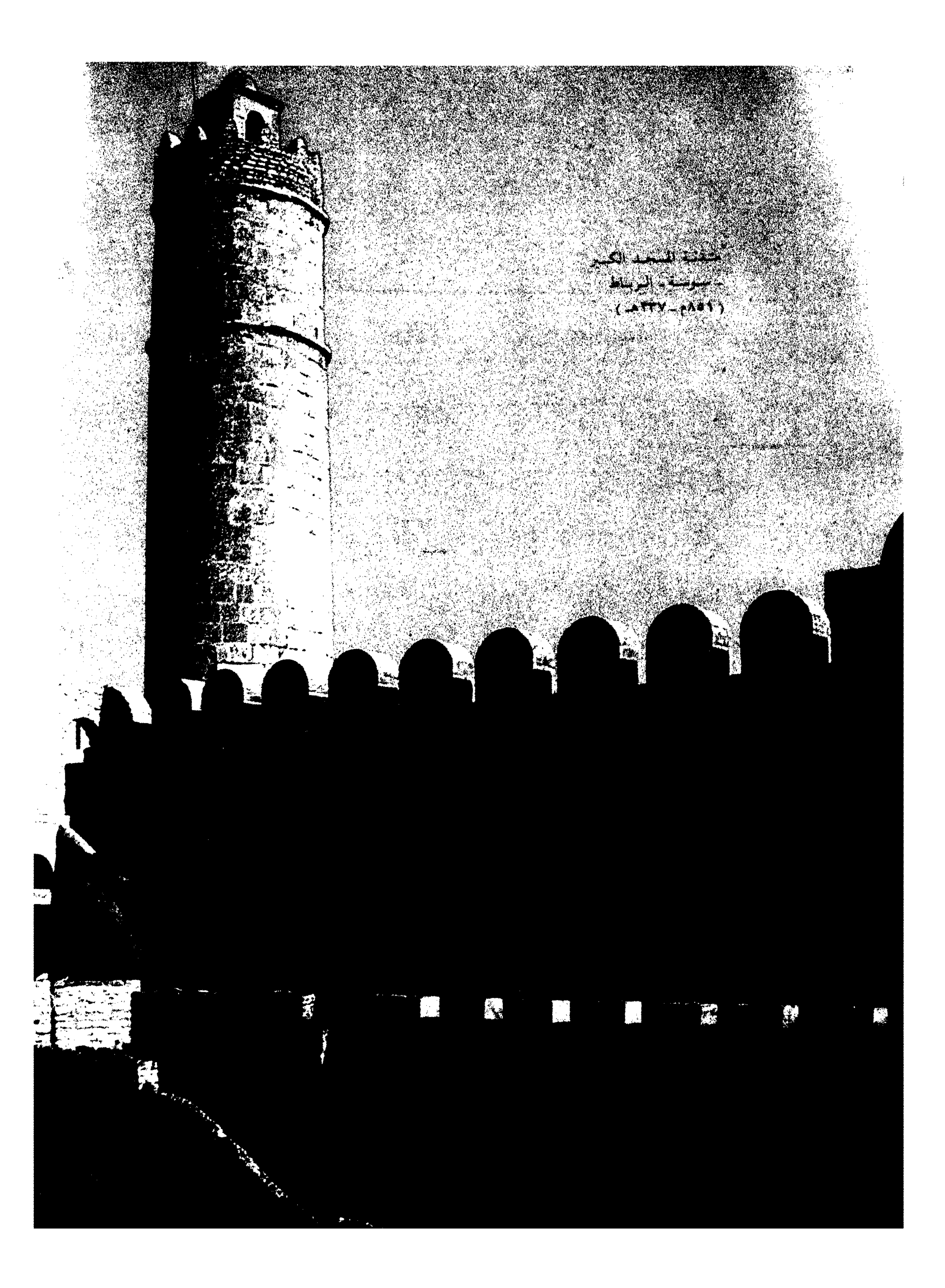
مئدنه مدرسة تنفت مـار -
الاناصـول (١٢٧١م - ٦٧٠هـ)

ومن المنارات المميزة أيصا منارة الحامع النورى فى
الموصل ، وتمت عمارته الأولى حوالى ٥٤٣هـ
(١١٤٨) م فى عهد نور الدين محمود الاتابكى

وهده المنارة ماتزال قائمة حتى اليوم وتعرف فى
الموصل باسم (الحدباء) ويزيد ارتفاعها على خمسين
مترا وهى مشيدة بالاحر وتتألف من قاعدة مربعة
وبدن اسطوانى يضيق تدريجيا فينقص قطره من نحو
ثلاثة أمتار فى البداية الى أكثر قليلا من مترين قبيل
القمة التى تشبه الخـودة وهذه المئذنة عنية جدا
بزخارفها الهندسية المؤلفة من اختلاف وضع الأجر

والحق ان بلاد الجزيرة عرفت أنواعا طريفة من المآذن
ومن بيها منارة فى مدينة بطس بين حلب والرقة
امتازت بارتفاعها وبشكلها المثمن الأضلاع

ويلاحظ ان الماذن فى العراق والحانب الشرقى من
عالم الاسلام يغلب عليها ان تكون القاعدة على شكل
دائرى ، ويتبع دلك أن تكون الشرفات العلوية
مستديرة أيضا وتعتمد هذه المآذن فى بنائها على قطع
كبيرة من الحجر المنحوت ، وقد تحمل هده الأحجار
على هيئة فصوص من الخارج وكانوا يلجئون أحيانا
الى توسيع مساحة سطح البدن فى الشرفة الأولى
بحرحات تؤيدها كوابيل وتعود المئذنة الى
الارتفاع مرة أحرى فى صورة اسطوانية ملساء أو
مزينة بالنقوش ، وقد تنتهى المئذنة عند هذا الارتفاع
الثانى بشرفة يعلوها جوسق يختم المئذنة من اعلى .



مئذنة المسجد الكبير
- سوسة - الرباط
(٨٥١م - ٢٣٧هـ)



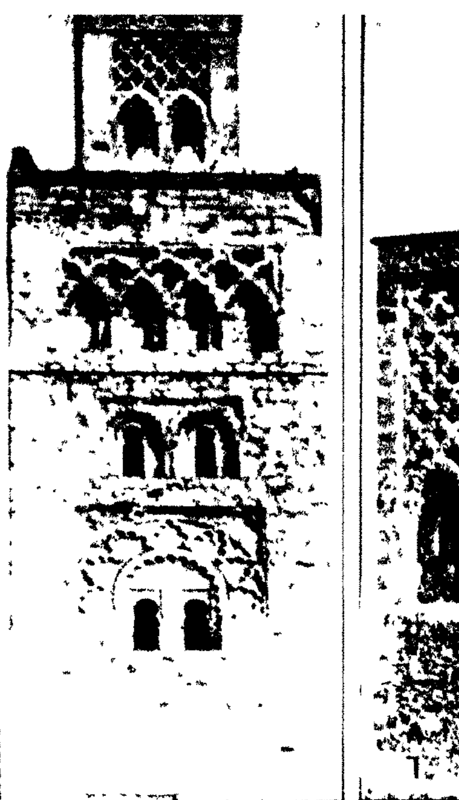
برج حسن ... المغرب (١١٩٥م ٥٩٢هـ) مئذنه جامع القيروان تونس (٨٣٦م ٢٢٢هـ)

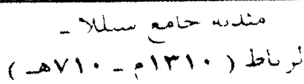
ابراج وصوامع

اذا اتجهنا نحو الجناح العربي للعالم الاسلامي نجد ان مسجد عقبة بن نافع في القيروان هو اسبق المساجد ، وانه نقطة البداية لتاريخ المآذن وتطورها

واعمدة الجامع مجلوبة من اثار قديمة حيث اقيم عام (٥٠هـ - ٦٧٠م) اما مئذنته البرجية الشكل فقد انشئت اول مرة على يد بشر بن صفوان عامل هشام بن عبد الملك الأموي عام ١٠٥هـ/ ٧٢٤م فهي على ذلك من اقدم المآذن الباقية حتى اليوم وتتكون مئذنة عقبة بن نافع من جزأين البدن او القاعدة وهي بناء مربع سميك الجدران يرتفع من اسفل حوالي ١٩ مترا ويرتفع الطبقة الثانية خمسة أمتار والثالثة سبعة امتار ونصف وبذلك يكون الارتفاع الكلي للمئذنه حوالي ٣١ مترا وفي داخل المئذنه سلم يؤدي الى سطحه مقتبس من البرج القديم والمنارة التي تقوم على هذا البرج هما الطبقتان الثانية والثالثة فهي اذن برج ومنارة في ان معا وكان الأذان يرفع من سطح البدن او البرج الاسفل والدخول الى المئذنه من باب ذي عقد يقود الى سلالم رئيسة تنتهي عند الشرفة اما الصعود الى المنارة نفسها فيكون عن طريق سلم صغير خشبي يبدأ من عند سطح البدن أو البرج ، وينفذ الضوء داخل المئذنه من شبابيك فوق الباب ذات عقود بهيئة حدوة الحصان وتكون هذه الشبابيك من جدران الصاعدة الاخرى وقد أنشيء فوق البرج والمنارة جوسق هو راس المئذنة

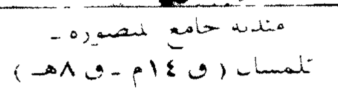
وقد حافظت مآذن المغرب الاسلامي بصورة عامة على هيئة المئذنة في جامع القيروان ، فاحتفظت بهيئة





مئذنة جامع سلا ـ الرباط (١٣١٠م ـ ٧١٠هـ)

مئذنة مسجد الكتبية ـ مراكش (١١٢٥م ـ ٥١٩هـ)



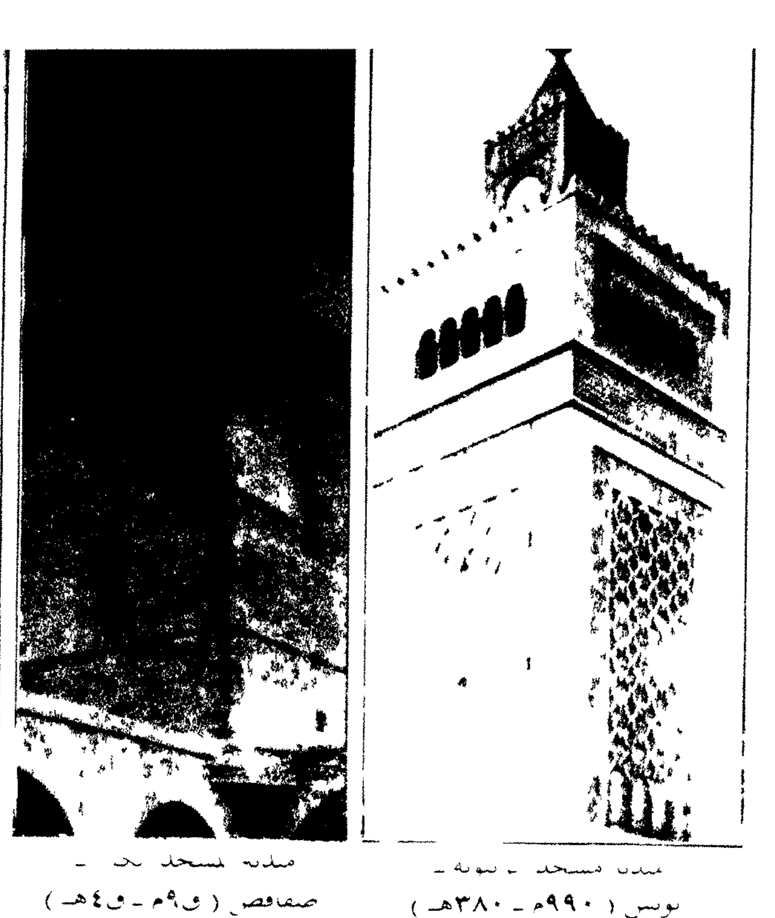
مئذنة جامع المنصورة ـ تلمسان (ق ١٤م ـ ق ٨هـ)

الأبراج ، وقد استعملت كثيرا لأغراض الدفاع العسكرية ، ولهذا فقد جعلت دائما عند الجدار المقابل لجدار القبلة أى فى مؤخرة المسجد ، ويكون الدخول اليها من داخل الصحن أو من خارج الجامع وهى فى العادة عبارة عن بدن ضخم يقوم عند منتصف جدار الصحن وقد يرتفع هذا البدن فى هيئة مستطيل ضخم يصل ارتفاعه الى ما يزيد على عشرين مترا أحيانا ويبنى داخل هذا البدن بدن اخر ، أصغر منه ، ويكون السلم أو الدرج المنحدر بين البدنين ، حتى اذا وصلنا الى الشرفة الأولى يرتفع البدن الداخلى وحده بجدارين واحد منهما داخل الأخر ، وهما يحصران بينهما السلم حتى سطح الشرفة الثانية ثم يرتفع الجدار الداخلى وحده حتى تصل المئذنة الى أقصى ارتفاعها ونظرا للارتفاع الشاهق للبدن الأصلى فإنهم كانوا يقسمونه فى العادة الى أدوار ينتهى كل دور ببسطة تدور مع البناء وتفتح فيها النوافذ ثم يعود السلم أو الدرج الى الارتفاع مرة أخرى وهكذا .

وفى بعض مساجد المغربين الأوسط والأقصى يغطى بدن الصومعة بمربعات القاشانى الزخرفى ، مما يكسب الصومعة كلها منظرا فريدا ، كما نرى فى صومعة مسجد القرويين ومسجد فاس فى نفس المدينة

فى جامع القرويين بنيت المئذنة التى مازالت تستوقف الأنظار بارتفاعها الشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة ، وقد أعيد بناؤها عند توسعة المسجد عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م ، فأصبح كل ضلع من أضلاع قاعدتها خمسة أمتار وارتفعت فى الجو عشرين مترا ، وكسيت بالقاشانى وزين رأسها بتفاحات صغيرة موشاة بالذهب . وعلى الرغم من أن المئذنة يضيق اتساعها بعد الشرفة الأولى إلا أن السلم الداخلى يتصل حتى قرب قمتها وقد أعيد العمل فى هذه المئذنة الجميلة عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م فأتقنت كسوتها ونوافذها وكسيت بالجص والقاشانى وزينت شرفاتها بشرفات على هيئة الأهرام وأقيمت على رأسها قبة صغيرة وهكذا اتخذت هذه المئذنة شكلها واستقامت مشرفة على فاس من علو شاهق بعد ان صقلت حتى أصبحت كالمرآة .

أما جامع الكتيبية فى مراكش فمئذنته هى أجمل ما يتميز به . وهى دون شك أروع مآذن المساجد الباقية . فارتفاعها فى الجو يصل الى ٦٧ مترا ومركزها أو قاعدتها بناء ضخم من ستة طوابق فيها



مئذنة مسجد ... تونس (٩٩٠م - ٣٨٠هـ)

مئذنة مسجد ... صفاقس (ق٩م - ق٤هـ)

... الجامع ... الأندلس (١١٧٢م - ٥٦٨هـ)

عرف كثيرة ، حتى اذا وصلت الى شرفة الأذان انطلقت بقمة المئذنة مستقيمة في نحو كأنها سهم مارق الى السماء ، وجدرانها كلها مغطاة بأفاريز متوالية من الزخارف والنوافذ ذات عقود من كل صنف

وهذه النوافذ منسقة على هيئة تمشي مع السلم الداخلي الذي يصل الى اعلى هذه المئذنة السامقة

لم تتأثر الطراز المغربي بغيره من الطرز الاسلامية تأثرا كبيرا وكان تطوره بطيئا بالنسبة الى تطور سائر مآذن الطرز الاسلامية وكانت اهم المراكز الفنية في هذا الطراز في الاندلس باشبيلية وغرناطة وقرطبة

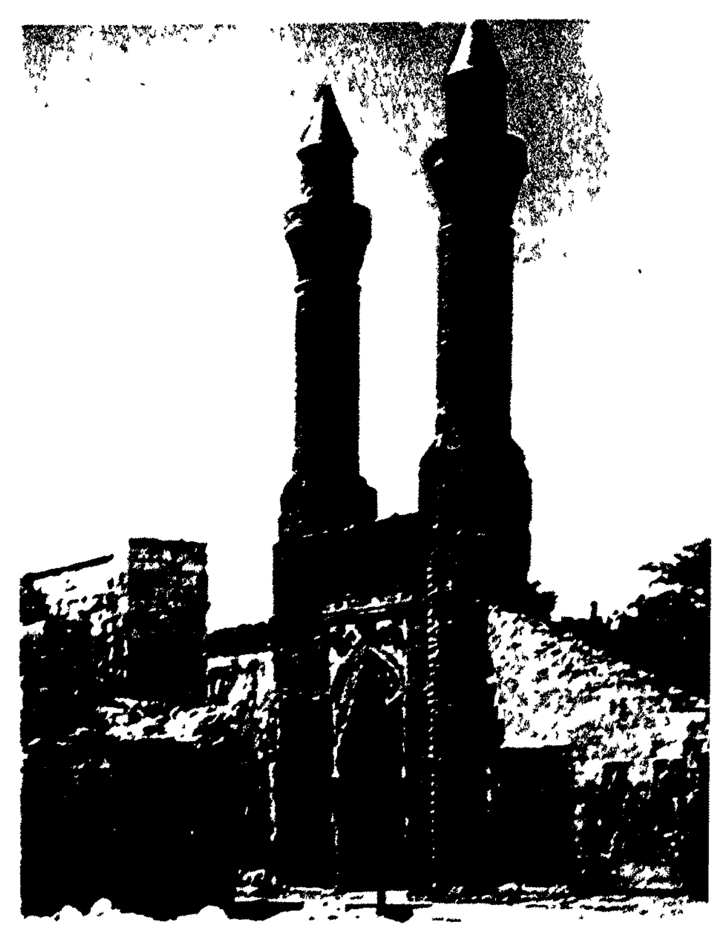
وكانت المنارات تبنى في معظم الأحيان من الآجر على شكل برج مربع تعلوه شرفات كأسنان المنشار ثم برج اصغر منه حجما وفي جوانب البرج أو المنارة صفوف من النوافذ ذات الحليات المعمارية الجميلة وكانت المنارة تشيد عادة في وسط الجهة المقابلة لإيوان القبلة ولكنها كانت تقوم بجوار جدار المحراب في جامع « تمل »

ومئذنة مسجد اشبيلية الجامع (المسماة بالجيرالدا) هي الباقية من ذلك المسجد تبلغ أدوارها ستة حتى الشرفة الأولى ، وقد صنعت النوافذ في هيئة زخرفية جميلة وغطت المسافات بينها بهيئات نوافذ وأبواب صماء وعقود زخرفية جعلت من جدار البدن اية من ايات الابتكار الزخرفي وكان البدن الداخلي يرتفع بعد ذلك دون نوافذ نحو سبعة أمتار أخرى ينتهي بالشرفة الثانية ثم تختم المئذنة بجوسق تزينه من اعلى كرات مطلية بالذهب وقد تهدم ذلك الجزء الاعلى كله بعد أن تحولت الصومعة الى برج للنواقيس المسيحية وعوضت بجوسق حجري يقوم على أعمدة رخامية تحمل النواقيس

وعلى هذا الطراز نجد بقية المآذن في الأندلس

وكثير جدا من هذه المآذن التي ظلت تسمى بالصوامع مبنية بالآجر من الطوب المحروق أما صومعة مسجد قرطبة الجامع فكانت مبنية بالحجر على أسلوب يقارب مئذنة جامع اشبيلية

ويتميز جامع قرطبة بأن مئذنته تقع في أقصى جدار الصحن وجعلت على هيئة برج ضخم ذي شرفتين للأذان ، ويصعد اليها سلم من الداخل وهذه المئذنة مازالت باقية حتى اليوم وإن كانت قد حولت أيضا الى برج للنواقيس



مئذنتا مدرسه شيفيت سيفاس - الاناضول ١٢٧١م - ٦٧٠هـ

جولة في الجناح الشرقي

ونعـود الى مـاذن الجنـاح الشـرقى من العـالم الاسلامي فمند القرن السادس الهجري (١٢ م) عمّ استعمال المآذن السلجوقية الاسطوانية الشكـل الشاهقة الارتفاع وانتشرت في ايران خاصة وكان المؤدن يؤذن فوق سطح المسجد ولا يؤذن فوق المئذنة لارتفاعها العظيم

وكـانت المآذن الاولى في إيـران معـظمهـا مثمن الشكـل ثم غلبت المآذن الاسـطوانيـة منـذ القـرن الخـامس الهجـرى (١١ م) وأصبـحت تحمـل بالزخارف الهندسية في الطوب المشيدة منه أو بكسوة من القاشانى وكانت المئذنة الايرانية دقيقة الطرف قليلا وتنتهى في أعلاها بردهة تقوم عـلى دلايات أو مقرنصات وتكسبها شكل الفنار وقد أصبح لمعظم المساجد الايرانية منذ القرن ٩هـ (١٥ م) مئذنتان تحفان بالمدخل ، وتختفى قاعدة كل منهما خلفه إلا في بعض المساحد ، فإنهما ظاهـرتان وتـزيدان المـدخل ضخامة وارتفاعا

وفي آخر العصر السلجوقى كانت المآذن ذات ثلاثة أقسام يصغر كل قسم منها عن الذى بأسفله وكانت هذه المآذن تزين بنقوش من الآحر متكررة الوضع تغـطى الحسم كله أحيانـا أو تغـطى منـاطق منـه ويستحدم الأحر في الكتابة عليها بصورة بارزة كما استعمـل القاشـاني في تزيين المـآدن في آخـر ذلـك العصر ومن السمات البارزة في العهد السلجوقى أن القسم العلوى من المئدنـة كـان يـطلى بـاللون الغامق

وتختلف المادن السلجوقية في إيران عن سائر المآدن الشامية والمصرية والمغربية في أنها لا طبقات لها ولا نوافد فالمئذنة بناء شاهق مبى لذاته وليس فيها درجـات تقـود الى ردهـات أو دورات يسـير فيهـا المؤدن وفضلا عن دلك فـإن المئدنـة الاسطوانيـة الشكـل والشاهقـة الارتمـاع قـد عمّ استعمالهـا في ايران ، بينما طلت المادن في القسم الغربى من العالم الاسـلامى مـوكـولـة الى دوق الافـراد ، فكـانـوا يتصرفون في تشييدها بعض التصرف في حدود الطرر السائدة في كل إقليم

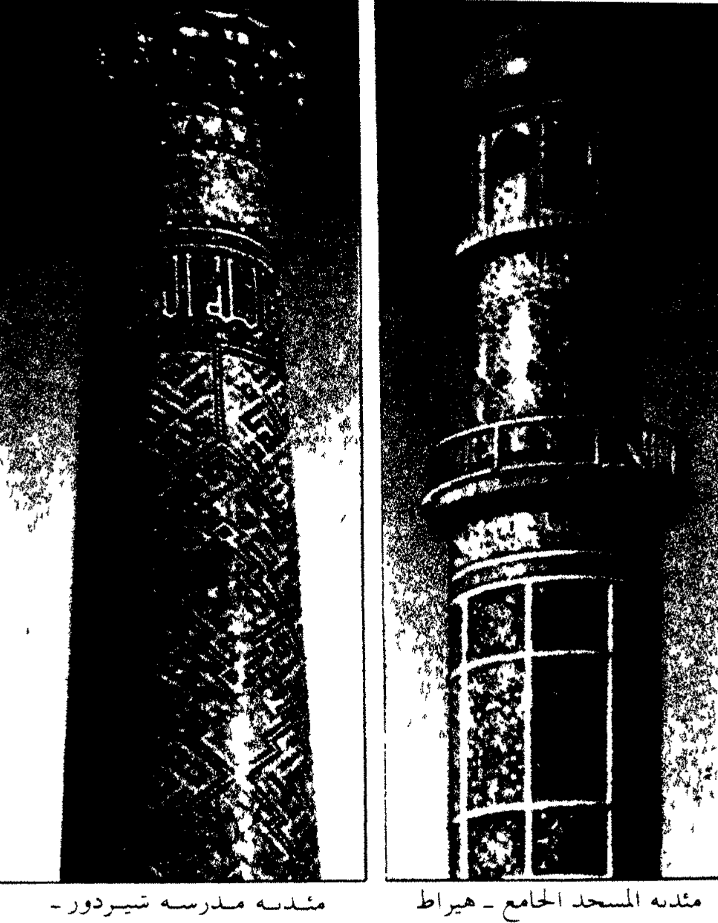
ومن أبرز المادن في إيران مآدن « مسجدى شاه » في اصفهـان وهـو يعتبر مجموعـة مبـان في مبى واحد

وبوابته تقوم على حانبيها مئذنتان تعتبران أثرا فنيا كاملا قائما بداته ، وهما مستديرتان تنتهى كـل منهما بجوسق تعلوه اسطوانة وعمامة

والمسجد الحامع في شيراز يمتاز ببواباته البـديعة المبنية بالحجر الرملي وهى مزينة بالقاشاني وتحف بكل منهـا مئذنتـان قصيرتـان لكل واحـدة منهما حـوسق وعمامة

اما في اسيا الصغـرى فقد بـدأت المآدن عـلى يد السلاجقة ايضا حيث قنع المعماريون الأول أن تكون المئذنة اسطوانية متوسطة الارتفاع هى البدن حيث الشرفة الاولى ثم يرتفع البناء مرة أخرى دون سلم خارجى حتى تصل المئذنة الى الارتفـاع الذى يـراه المعمارى مناسبا لها ثم ينهيها بمخروط

أما بقية المـآذن من الـطراز السلجـوقى بـآسيـا الصغرى فأغلبها مستدير ومنها ما هو مضلع ذو ستة



مئذنه المسجد الجامع ـ هيراط (ق١٥م ـ ق٩هـ)

مئذنه مدرسه شيردور ـ سمرقند (١٦٤٦م ـ ١٠٥٦هـ)

مئذنه مسجد الشاه ـ مشهد ـ ايران (ق١٥م ـ ق٩هـ)

أو ثمانية أضلاع ، ويتفنن المعمارى في التضليع ، ولا يكون للمئذنة في معظم الأحيان الاشرفة أذان واحدة في نهايتها وكل المآذن من الحجر المنقوش بالزخارف أو من الآجر الزخرفي من ألوان متعددة وقد تزين وتغطى تماما بالخزف أو مربعات القاشانى أو فسيفساء الخزف

وقد تطور الأسلوب السلجوقي في آسيا الصغرى على أيدى المعماريين العثمانيين حتى أصبحت المئذنة التركية أشبه بقلم رصاص مسنون أوسهم داهب الى السماء وفي أحيان كثيرة لم يكتف المعمارى بمئذنة واحدة بل أنشأ اثنتين على طرفي الواجهة ، مما أكسب المسجد العثمانى جمالا بديعا ، وأبرز الأمثلة مسجد السلطان بايزيد الثانى كما استعان المعماريون الاتراك بالقباب في إكمال الصورة الجمالية للمسجد

ومن المساجد العثمانية التى تشهد بتأثير المهندس المعمارى الشهير سنان في تطور العمارة العثمانية مسجد السلطان أحمد باستانبول وهو مثال طيب للمساجد العثمانية ومن أجمل مساجد الأستانة وأفخمها

وللمسجد ست مادن عالية ممشوقة ويقال ان السلطان أحمد كان يريد أن يبز مسجده « أيا صوفيا » وكما سبق القول اصطر أن يأمر ببناء مئذنة سابعة للحرم المكى حين اعترض رجال الدين على اتخاذه ست مآذن لمسجده ، وهو ما لم يكن مسموحا به إلا للحرم المكى .

أما مسجد أيا صوفيا ، فبعد الفتح وتحويل الكنيسة الى جامع صلى فيه السلطان محمد الفاتح صلاة الجمعة ، أمر بتحويلها ، وبنى لها منارة خشبية في الزاوية الجنوبية ، ثم بعد مدة أزيلت المنارة الخشبية وشيدت محلها منارة رفيعة من القرميد ، وفي عهد السلطان بايزيد الثانى أضيفت اليها منارة من الحجر أما المنارتان الواقعتان في الغرب فإنهما قد بنيتا أيام السلطان سليم الثانى

وفي أدرنه يوجد جامع دو ثلاث شرفات ، وله أربع منارات اثنتان منهم في زواياه الامامية والأخريان في زواياه الخلفية وهى ذوات شرفات مختلفات في العدد والمنارة ذات الشرفتين تسمى المنارة الماسية والمنارتان اللتان لكل واحدة منهما شرفتان تسميان بالمنارتين ذواتى الاحاديد الحلزونية

وأما ثالثة المنائر فهى ذات ثلاث شرفات وهى سبب تسمية الجامع (أوج شرفلى) أي الجامع ذى الثلاث شرفات .

ومثل ذلك جامع السليمية في أدرنة وله أربع منارات من ذوات الثلاث شرفات ويبلغ ارتفاع الواحدة منها ٦٨ مترا .

الطراز الهندى والمغولى

نشأ الطراز الهندى الاسلامى وقوامه الأساليب الفنية الهندية القديمة وما دخل عليها من أساليب فنية في العصر الاسلامى . ولم تكن طرز المعابد الهندية القديمة وما يليها شرقا تعرف وسائل للنداء على الصلاة فكانت المئذنة عنصرا جديدا في عمارتها . ولهذا اجتهد المعماريون المسلمون في ابتكار أساليب خاصة لبنائها . ولأن المساجد الأولى في الهند كانت مجرد ساحات مسورة بأسوار عالية يقام فيها بيت صلاة وقبلة ومحراب ، ولأنها كانت تستخدم أيضا كحصون يحتمى بداخلها السلاطين والحراس فقد اتخذت المئذنة في الغالب شكل برج للحراسة والمراقبة .

ومن أبرز أمثلة المآذن « قطب منار » في دلهى - ويرجع تاريخها الى عام ١١٩١ م - وهي ضمن مسجد « قوة الاسلام » وسميت بذلك الاسم نسبة الى قطب الدين ايبك اول سلاطين مماليك الهند . وهي أشبه بنصب تذكارى رفيع الذرا ارتفاعه ٧٢ مترا وقطر قاعدته يزيد على ١٥ مترا ثم تضيق المئذنة في صعودها شيئا فشيئا حتى يصل قطر قمتها الى ثلاثة امتار .

والمئذنة مضلعة تبدو أضلاعها وكأنها أعمدة متلاصقة . وللمنارة ثلاث شرفات للآذان تقوم كل شرفة منها على مقرنصات بالغة الجمال ، وهى أضخم مئذنة في عالم المساجد ، وقد كانت المنارة مكونة من سبع طبقات لكن الموجود منها الآن خمس فقط ، بنى كل منها أحد السلاطين . وفي كل طابق نقش حول المنارة آيات من القرآن الكريم . وبعض مكاتيب كل سلطان .

والمنارة مقامة من الحجر الأحمر ولكنها تختلط في أعلاها بالمرمر مع الحجر الأحمر . وكانت الطبقة السادسة ترتفع حوالى أربعة أمتار ولكنها سقطت بسبب زلزال عام ١٨٠٣ ثم أعيد بناؤها ، ولكنها أزيلت نهائيا خوفا من خطر سقوطها .

وهناك نماذج بارزة في الهند مثل مسجد السلطان « اتحاد الدولة » بمآذنه المضلعة ، وضريح محمود عادل شاه في بشاور بمنارته العالية الطبقات .

أما مسجد « فاتح بورسكرى » الذى أقامه شاهجهان ١٦٤٤م فله مئذنتان على طرفى واجهة المسجد التى تطل على الصحن ، وهذا في ذاته وضع غاية في الغرابة للمآذن . والمئذنتان رفيعتا الذرا ترتفعان في الجو أكثر من أربعين مترا وتنتهى كل منهما بجوسق ثم عمامة بصلية الشكل .

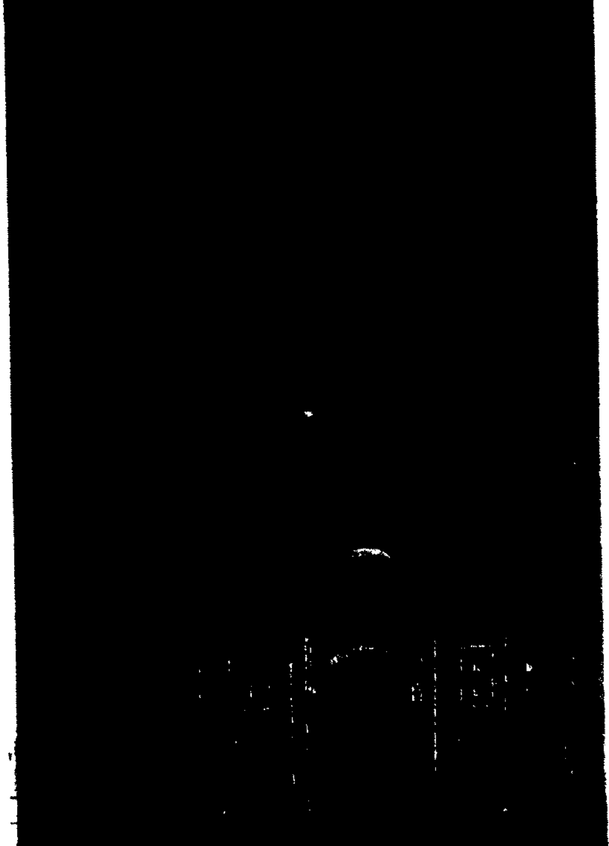
أما مآذن « تاج محل » فهى إحدى العجائب ، فالمبنى العام يأخذ شكل مصطبة واسعة مربعة ، أقيم البناء في وسطها وبقى حوله من جميع الجهات فضاء . وفي كل زاوية من زوايا المصطبة الأربع قامت منارة عالية ارتفاع كل منها حوالى ستين مترا ومكسوة بالمرمر ومدهونة بخطوط متعرجة ثابتة ، المعجزة الهندسية في بناء المنارات الأربع أن كلا منها يميل الى الخارج من طرفه الأعلى بمسافة معينة . والحكمة من ذلك أنه إذا حدث وتعرضت إحدى هذه المنارات للسقوط بسبب أي طارىء مثل الصواعق والزلازل أو عوامل التعرية والزمن ، فإن المنارة تسقط بعيدا عن مبنى الضريح !

المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتى

عندما نتجه الى مساجد مناطق ما وراء النهر والموجودة الآن في المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتى ، نجد أن طراز المآذن من الحجر المنقوش بالزخارف أو من الآجر الزخرفى من ألوان متعددة وتوجد نماذج بديعة في خط يبدأ من طشقند في التركستان ويمتد الى سمرقند وبخارى وشهريباز فيما وراء النهر وفي بلخ وكابل وغزنة وهراط في أفغانستان .

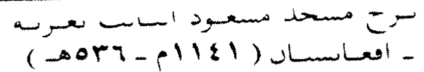
في مدرسة شيردار في سمرقند نجد الواجهة عبارة عن باب داخلى يرتفع عرضه أكثر من خمسة عشر مترا . وعلى جانبى هذا الباب الداخلى مئذنتان طويلتان بطنتا بالقاشانى . وقد قيل ان المئذنة التى تقع على اليمين كانت على وشك السقوط فأعادوا ترميمها كأثر تاريخى . وأما المئذنة التى تقع على اليسار فتبدو وكأنها فصلت أو بترت من قاعدتها دون أن تتفتت أجزاؤها فربطت بالسلاسل القوية حتى لا تسقط ، وقيل انه كانت هناك مئذنة ثالثة اختفت الآن .

أما مدرسة « أولوج » التى بناها أولوج بك سنة ١٤١٢م فلها أربع منارات دقيقة الصنع مبطنة بالقاشانى . وقد دفن تيمورلنك في مقبرة هذه المدرسة .



مئذنه قطب منار ـ دهي
(١٢٠٠م ـ ٥٩٧هـ)





برج مسجد مسعود الثالث بغزنه
ـ افغانستان (١١٤١م ـ ٥٣٦هـ)

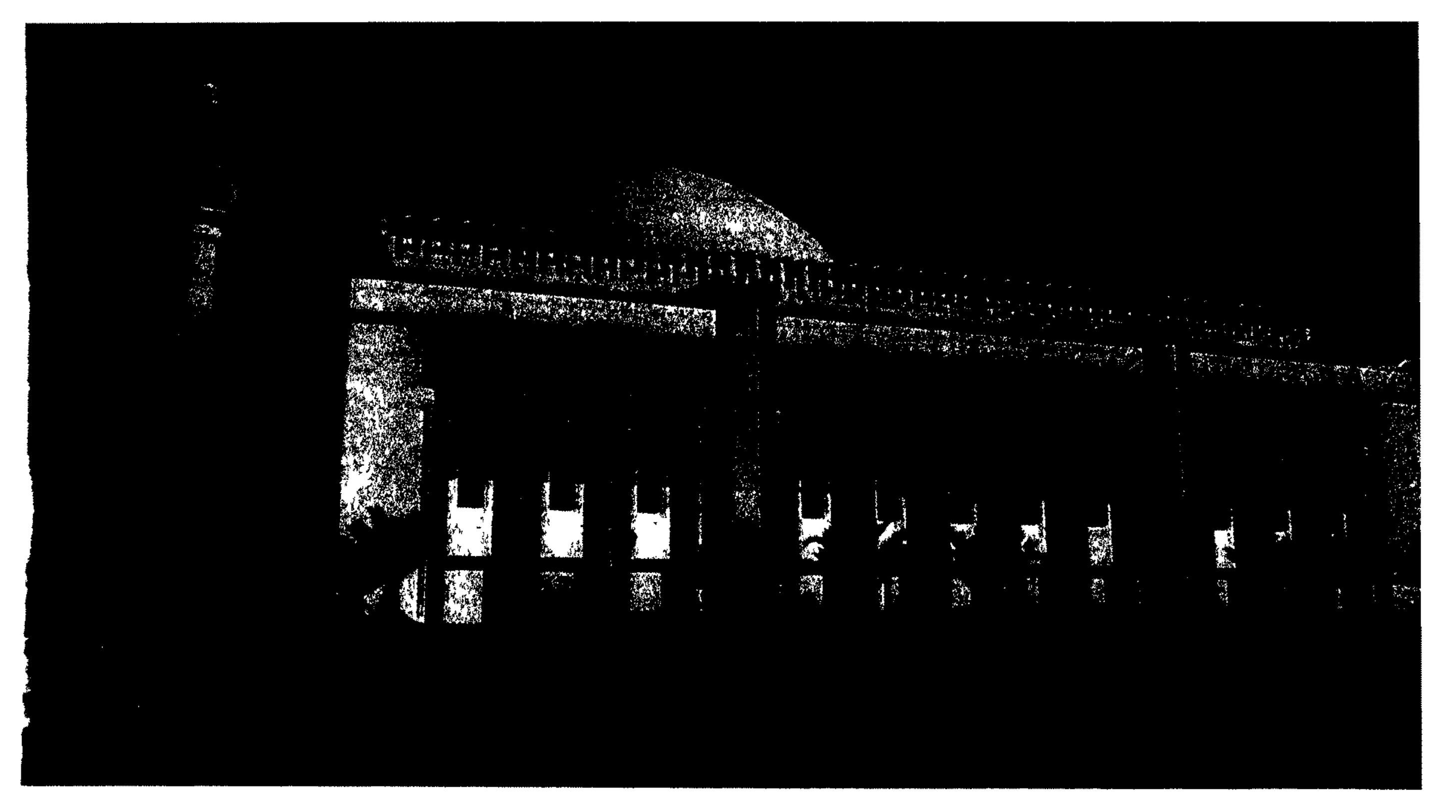
ومسجد الجمعة في بخارى شيد في القرن السادس عشر ، وتمت إقامة مسجد اخر مكانه هو القائم حتى الآن ويسمى مسجد كلنان ومئذنته المعروفة والقائمة حتى الوقت الحاضر يرتفع برجها فوق بنايات المدينة الاخرى ، ويبلغ ارتفاعها ٤٦ مترا برغم أن جزءها السفلي مغروس في الارض بسبب ارتفاع مستوى الساحة المجاورة وقد زينت المئذنة من أسفلها حتى أعلاها برسوم بالطوب المزخرف بمهارة رائعة

وهناك مئذنة أنيقة في « وابكنه » اقيمت عام ١١٩٦ وهي قريبة من مئذنة كلنان بأسلوبها المعماري

ويمتاز تصميم شكل المئذنة في « جرقوغان » بالاصالة ، وقد أقيمت عام ١١٠٨ وهي تقع على مقربة من مدينة ترمذ وبرج المئذنة عبارة عن حزمة من ست عشرة مادة مربوطة في اعلاها بنطاق كتبت عليه الآيات القرانية وكانت المئذنة أعلى مما هي عليه الآن بكثير ، ولكن القسم العلوي منها تلف ومع ذلك فإن المرء يمكنه أن يتصور أن أجزاءها الأصلية كانت في البداية متناسقة جدا ، اذا أخذ في الاعتبار تلك المظلة التي ترتفع بها المئذنة في السماء حتى في حالتها الحاضرة

في سمرقند نجد مسجد بيبي خانم وهو عبارة عن مجموعة منشآت تحيط بها أسوار على شكل مستطيل وبوابة المدخل الرئيسي للمسجد على جانبها مئذنتان ، وقد ارتفعت المآذن في أركان الأسوار التي تحيط بالمجموعة وتتصف بوابة المسجد والمئذنتان المثمنتا الاضلاع المجاورتان لها بكثرة مواد التزيين والزخارف وهي من رخام وأحجار منقوشة وفسيفساء التراتيع وقد تخربت قبة المسجد الخارجية والجزء الأعلى للبوابة والمئذنتان بسبب لزال عنيف عام ١٨٩٧م

وفي جمهورية ادربيجان بلغت الحياة مستوى عاليا من التطور ، وقد حفز انتشار الاسلام على تشييد بنايات دينية جديدة من مساجد ومآذن وأضرحة وتعتبر مئذنة مسجد محمد في باكو (١٠٧٨م) من أقدم المنشآت الباقية سليمة حتى الآن وهذه المئذنة تسمى (سيق قلعة) وتعود المئذنة بأشكالها الهندسية إلى نماذج المآذن في مناطق أدربيجان الشمالية وقد شيد برج المئذنة الاسطواني من الحجر وفي قسمها العلوي يوجد مسطح دائري بارز يحيط به حاجز حجري مزين بزخرفة محفورة هندسية الشكل ويبدو برج المئذنة الضخم الثقيل وحاجز الشرفة المطبق كأنه حصن دفاعي



مئذنه مسجد الدولة الكبير بالكويت (١٩٨٦ ـ ١٤٠٦هـ)

مسجد الدولة في الكويت

قبل أن نمضي ، نلقى نظرة أخيرة على واحدة من أحدث مآذن بلاد الاسلام إنها مئذنة مسجد الدولة بالكويت ، الذى افتتحه أمير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح في الأول من شوال ١٤٠٧هـ ٨ يونيو ١٩٨٦ في صلاة عيد الفطر والمسجد مقام على مساحة كلية تبلغ حوالى ٤٥ الف متر مربع ، ومساحة رواقه الكبير حوالى ٥٣٠٠ متر مربع ، وهو قطعة فنية رائعة يتجلى فيه الفن الاسلامى الأصيل

مئذنة المسجد أندلسية الطراز يبلغ ارتفاعها حوالى أربعة وسبعين مترا من سطح الأرض ، وبداخلها مصعد كهربائي يؤدى الى الشرفة المضلعة والمزينة بنقوش جميلة وإضاءة بديعة وشرفة المئذنة تتوسط البدن الذى يرتفع القسم الثانى منه بشكل أصغر نسبيا من القسم الاول أسفل الشرفة . وقمة البدن يعلوها هلال بينما تتخلله نوافذ للتهوية والاضاءة وزخارف بسيطة تعطيها رشاقة وجمالا . وتعطى الاضاءة الداخلية والخارجية للمسجد والمئذنة منظرا رائعا في ساعات الليل .

إن هذه المئذنة هى العليا بين كل مآذن مساجد الكويت القديمة والحديثة . وقد كانت المآذن ذات نمط معمارى مميز ، رغم أنها كانت ذات بدن قصير نسبيا ، مع تكامل عناصرها من البدن الى الشرفة وحتى القمة الدائرية أو المدببة أو البصلية أو الكمثرية المضلعة من الخارج في شكل فصوص طولية أو ملساء ، ويعلو قبة المئذنة هلال من المعدن فوق عمود معدنى قصير تزينه بعض الاشكال الكروية أو الكمثرية وهى كلها مآذن لمساجد مازال اكثرها قائما حتى الآن

** *

قال أبو الدرداء لابنه يا بني ليكن المسجد بيتك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المساجد بيوت المتقين فمن يكن المسجد بيته يضمن الله له الرَوح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة » .

وعن ابن عباس قال : المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض .

ولقد كان بناء المساجد من الضرورات الاساسية لأى مجتمع اسلامى ، حيث يلتقى المسلمون ويؤدون الصلوات معا في أوقاتها وينظمون شئون حياتهم الدينية والاجتماعية ويتلقون الوعظ في أمور دينهم . . وكانت هذه الحاجة الوظيفية أساسا لأشد الابتكارات العربية الاسلامية أصالة في اقامة بيوت الله . . وارتفاع مآذنها ليرتفع من فوقها نداء المؤذن . . . . الله اكبر . . حي على الصلاة . . . □

قصة قصيرة

رائحة الأشياء

بقلم : محمد [illegible] محمد

[illegible] للبل [illegible]

[illegible] حاصر [illegible] المدينة

[illegible] القارب [illegible] المقابلة ،

لصباح [illegible] الأسود عبر البحر [illegible]

[illegible]

[illegible] الشارع [illegible] حتى شاطىء البحر الشرقي خاليا كعادته في الشتاء [illegible] صوت (حبروني) يعجون بشرخ السكون باللعنات .

وكان يقف في وسط الشارع بين اقفاصه وأرففه الخشبية التي جرفتها المياه من على رصيفها المقابل ، وحملته على مسافة كانت عشه السوصية التي سقط أحد جدرانها

- علقت عيني كمحلاة كالساق ، وخضت في المياه باتجاه (حبروني) ، صاح في وأنا أحمل معه الأرفف والاقفاص

- لا تعطش نفسك يا تلميذ ! اذهب الى مدرستك

وظللت ألقي بالقش المبلل خارج الأقفاص ، وأرصها فارغة إلى جوار العشة فوق بعضها ، وحبروني ينظر إليها في أسف . فسوف تبقى خالية

[illegible]

[illegible] المدينة [illegible] لشابه

- [illegible] في السماء سوداء ، قال

- فاتت الارحسة ، ونهضت لتسعيه

ثم نظر إلى [illegible] ، وهمهم ونظرته تنحدر الى حذائي ذي الرقبة الطويلة ثم قال

- ينفعك في المطر هذا الحذاء ، واكثركم يلبسه في التربة ، فالوحل فيها حتى الركب

كان حبروني يأتي من قرسا ، بسقه أقفاص الخضر والفاكهة مع ولادة شمس الصبح ، لأحملها له على سوحرة القارب حتى لشاطيء المقابل . وكان يمشي متمهلا بخطواته الراجحة ، ويحيط راسه وكتفيه بكيس قديم مفتوح الجانبين كأنه بابا (دولاب) ، ويدلي قدمه بحذائه العسكري الواسع من فوق المرساة الخشبية ، فيحطها على مؤخرة القارب ، وتجول في الجالسين عيناه الضيقتان كثقب مفتاح ، ويوميء بذقنه للفراغ مسلما ، وينحط منزلقا وسط اقفاصه ، بينما الصمت الغامض المألوف برائحته التي بلا اسم يلف القارب ، وحفيف الأنفاس مسموع في السكون الموغل في عرض النهر

- ولد ، يا تلميذ ، هل ستجيء لتقيد لي



الحساب ؟ !

يخاطبني وأنا أنحني لأربط حبل القارب بوتد المرساة ، وينتصب واقفا ، ويخرج يديه من جيبي معطف الشرطة الأصفر الذي غاب لونه خلف طبقة قاتمة ، ويتطوح في القارب المتأرجح بحركة الأرجل المتعجلة ، ثم يحمل قفصا يلقي به على خشبة المرساة ، وتتصادم ساقاه ببعضهما فيدمدم بالشتائم ، ويعقد ذيل جلبابه الطويل مزمجرا :

ـ ساعدني يا تلميذ !

وأنقل معه الأقفاص ، وأرصها بجانب فتحة السور الحجري ، فتنبسط ملامحه ، ويقول في مودة :

ـ لماذا لا أراك هنا كل يوم ؟

يرد الولد الذي يرافقني متنزها في القارب ، إني لا أشتغل في غير أيام الجمع والاجازات ، ويلتقط جبروني برتقالتين من القفص ، ويدفع بهما الى صدري كأنه يضربني بهما قائلا :

ـ بدمه ، سيعجبك !

يغمزني الولد بعينه ، لأطلب له برتقالا ، بينما يطلق جبروني السباب على من يسميه الأحدب الذي يشتري منه بضاعته :

ـ يغالطني ، ولا أعرف كيف أحاسبه ، ستجيئني وأنت راجع من المدرسة ؟ سأنتظرك يا تلميذ !

ويلمح الولد وهو يختطف البرتقالتين من حجري ، فيلوي رقبته إليه ناهرا :

ـ مسعور ، تلميذ مدارس أنت ؟ !

ويقذفنا بحزمة من الجرر الأصفر

* * *

كان يحتدم غضبه عندما يساومه أحدهم في الشراء :

« جاحدون ، لا تساومون حين أجيء لكم بالأشياء ، من غيري يتعب نفسه بلا فائدة في هذه المدينة الخراب ، هل أكسب كثيرا منكم ؟ سوف ينتهي الشتاء ، وبعده لن أريكم وجهي ! »

ويدير ظهره الى أقفاصه ، ويجرجر من جانبها حجرا ، ويجلس عليه بعيدا ، ويدس يديه في حجره ، ويهز رأسه مطأطئا : « سأعود الى بلدي » .

في بداية الصيف كان يجيء رجال البلدية ، فيحملون أقفاص جبروني ليلقوا بها في مقلب القمامة ، ويخلوا مكانه أمام دكان البقالة المغلق في الشتاء ، فينزوي خلف مبنى المطافيء متداريا بقفصين من الطماطم والبطاطا تحت شجرة قليلة الأغصان ، بينما يمتليء المصيف بالناس ، وتفتح الدكاكين التي تبيع كل الأشياء ، ولا يعود جبروني يرى الوجوه التي تشترى منه في الشتاء ، يوزع على جيرانه عساكر المطافيء درنات البطاطا وهو يخاطب نفسه مرددا : « سأعود إلى بلدي ، لماذا أبقى ؟ سأعود إلى بلدي » . ويظل هكذا حتى يجيء شتاء آخر .

في الأيام المشمسة كان جبروني يسحب كيسه من عشته ، تاركا أقفاصه ، ليتربع على الرصيف المقابل ، مفترشا الكيس ، مسندا ظهره على باب المقهى المغلق ، ويمد ساقيه أمامه لدفء الشمس ، ويناديه أحدهم ليبتاع منه ، فيرخي جفنيه مخاطبا الأرض بصوت غليظ ، طالبا من هذا المشتري أن يزن لنفسه ما يريد من أشياء ، وأن يجيء له بالنقود ، ثم يرفع وجهه للشمس منتشيا ، ويقول :

« كنت أشتغل حمالا في معسكر الانجليز ، منذ زمن ، قبل أن يجيء أبوك إلى الدنيا . هل مات منذ زمن ؟ ولم يترك لكم شيئا ؟ لقد أخبرني بذلك صاحب السفينة الذي تشتغل عنده . هل يعطيك نقودا كافية ؟ لا أظن ، فأهل قريتكم يحبون اكتناز الفلوس ، مع أنهم يكسبون كثيرا من البحر » .

ثم يصمت طويلا ، يمصمص شفتيه ثم يقول :

ـ « ياما كسبت أنا ، كنت أخرج (القرش) من فم العفريت ، وأفتش عنه بين حجرين » !

ويلف سيجارة ويبلل في بطء طرفي ورقتهابلسانه الداكن ، ويحك ساقيه ، فتخمش أظافره جلده بصوت مسموع ، ويقول :

« كنت في المعسكر ، أحمل كتلة من الخشب لا يقدر على حملها ثلاثة رجال ، كنت أترك كل شيء هناك ، وأتسلل إلى مكان مكشوف لأتشمس ، حينذاك كانت الدنيا لا تساوي شيئا عندي » .

كان يحكي لي كثيرا ، وكنت أقترب منه أكثر

كانت الممرضة الانجليزية الجميلة تأتي إلى هناك . بعد انتهاء نوبتها بخيمة المعسكر ، لتحادثه ، وتتأمل قعدته في دفء الشمس « لم يعد برد ولا مطر ، « أبدو ؟ » تناديه بعبده ، وتهز رأسها في أسف عندما يجيبها أن نوة الحسومات لم تأت بعد وتقول له جئت لشمسكم الدافئة أحتضنها يا عبده ، وأود عندما يعيدونني إلى بلادنا لو أسرقها منكم ، وأحملها معي . « متى أبدو . . تنتقل الشمس الصغرى ـ قلت هذا في الشتاء الماضي أبدو ـ متى تجيء الشمس الكبرى . . أبدو ؟ » ، ويبتسم لعينيها الزرقاوين قائلا : تتعجلين الربيع سيدتي ! فتقول له : بلادكم الخضراء في الربيع ساحرة يا عبده ، ثم تفترش الرمال الساخنة بجواره ، وتقول : « أنت رياضي أبدو ؟ » ، فيقول لها لا أعرف الرياضة ، لقد ولدت ـ لا أدري ـ هكذا قويا ، وتتحسس بيدها الناعمة عضلات ذراعه ، فيهرب من هذه اللحظة ويثني ذراعه مطبقا على أصابعها الطرية متظاهرا بمداعبتها ، فتصرخ : « أوه ، متوحش أبدو » .

أضحك ، فينفتح لضحكتي فم جبروني بابتسامة واسعة ، تكشف عن بقايا أسنان كحصيات في الفحم .

* * *

نادته المرأة السمينة وهي تزن الفول الأخضر ، فحملق جبروني بها ، ثم اتجه ناحيتها في قعدته على الرصيف المشمس ، وقام إليها مسرعا

كانت تجيء له من قريتنا ، بعد أن تشتري السمك الذي تبيعه الجمعية في الشارع المجاور أحيانا ، حيث المشترين في الشتاء أقل زحاما ، وكان يزن لها الفاكهة والخضر ، ويرد إليها نقودها ، بعد أن تلقي بها وسط نقوده في قعر القلة المشروخ الذي يضعه بين الأقفاص

كانا يتحادثان بابتسام ، وكانت تضع ما تأخذه من جبروني تحت ملاءتها ، وتسنده بذراعيها على صدرها العربص ، فتبدو الأشياء كأنها جزء من جسدها السمين ، وتبقى كفيها فقط تطلان من تحت صدرها لتشير بهما وهي تتكلم .

كنت أقول لجبروني متسائلا لماذا تشتري المرأة منه ، وقريتنا تمتلىء بهذات الأشياء ، فلا يرد ، وكانت تناديني باسم أبي ، وتوصيني وهي تغادر مبتسمة بجبروني ، وكان جبروني يخبط كتفي بلمعة عينيه المتوهجتين كطرف سيجارة مشتعل ، ويقول :

ـ اعمل بوصية أم ونس !

وترتمي نظرته المبتسمة خلفها وهي تطرقع (بشبشبها) على الأرض الرملية اليابسة في دلال ، ثم يقول

ـ « كان في مثل سنك ، وكان يقرأ لي حكايات السندباد ، وكان يحلم بتلك البلاد البعيدة » .

فقلت :

ـ هل مات ؟

ثم انتابني الندم للكلمة المتسرعة . فأطرقت خجلا ، و (بربش) جبروني بعينيه . وحول رأسه

فحملق في وجهي ، ثم قلت له إنها في موسم الصيف تتكسب من غسل المفروشات في فنادق المصيف ، وفي الشتاء تشتري (ملاءات اللف) من المدينة المجاورة ، وتبيعها لنساء قريتنا ، فلماذا تسرقك ؟ !

فظل صامتا ثم قال :

ـ طلبت منها أن تأخذ النقود لتشتري لنا . . نسيت اسم ذلك الشيء !

هززت رأسي مبتسما لكذبته ، فلكز كتفي بكوعه وقال :

ـ لا يهم !

وفي الصباح كان يلملم أشياءه الصغيرة ليخلي العشة ، وألقى بقعر القلة الفارغ بين القش والأقفاص الخالية ، بعد أن أفرغها القروش في جيب معطفه المتآكل ، وقال :

ـ سأبيع الفاكهة على طريق البحيرة هناك ، طلب مني ذلك لأكون قريبا من البيت . .

كنت قد جئت له بجلبابه (الطحيني) الجديد من خياط قريتنا ، ففرده بين ذراعيه ، وسبحت عيناه العمشاوين في صدره ، يتأمله بإشراقة لونت تجاعيد وجهه ، وجلس على قفص ، وطرح الجلباب على ركبتيه ، يملس بيديه المشققتين على (قيطانه) البني ، ونظر محملقا في الفراغ وقال :

ـ بقي أن أستحم . . قلت لي مرة . .

* * *

سرت الى العوامة الراسية في النهر ، وجبروني من خلفي ، لأسخن الماء له ، كي يستحم ، وكنت سرقت مفتاحها من صاحب السفينة (المعدية) التي كان يحرسها لصاحبها في الشتاء حتى يعود صاحبها في بداية الصيف .

كان يهتز بوهن وهو يدعك عظام صدره البارزة ، ويغمغم في تمن قائلا :

ـ ما أحلى عافية الصبا !

ويهمهم وأنا أقف عند نافذة الحمام أرقب الطريق :

ـ ستزورني عندها دائما ؟

ثم قال بامتنان وتلذذ وهو يصب على جسده الماء الساخن :

ـ سوف أدعو لك . .

ثم قال بصوت مرتفع :

لقد أخذت حماما منذ زمن في هذا النهر عندما جئت هنا ، كنت لا أعرف أن مياهه مالحة ، تأتيه من البحر ، ومنذ ذلك اليوم لم أنزل فيه .

وملأ (الليفة) بالرغوة المعطرة ، ودس الصابونة في طياتها كأنه يحشوها ، وعاد يغرف الماء بالكوز من الصفيحة التي يرتفع بخارها كثيفا فوق الموقد ، ويضرب صدره بالماء ، فاتحا فمه في نشوة ، وضامًا ركبتيه بتلذذ .

وابتعدت عن النافذة ، وانتزعت صوتي من حلقي قائلا :

ـ كان عندها رجل ، إنه زوجها الجديد .

فعلقت يده في الهواء وهي قابضة على (الليفة) ثم استدار نحوي بوجهه محملقا ، وهمهم في حشرجة :

ـ زوجها ؟ . . متى !

فقلت له :

ـ كانت معه أشياء ، أحضرها من سفره على المراكب ، ليغري بها المرأة التي يريد أن يتزوجها .

وانفرجت ركبتاه متأرجحتين ، وتصادمتا ، وأفلتت من يده (الليفة) ، وأسند رأسه إلى الحائط ، وانغلقت عيناه ، وتركت يده الكوز الفارغ ، وظلت كتفه متكئة على ماسورة المياه الباردة .

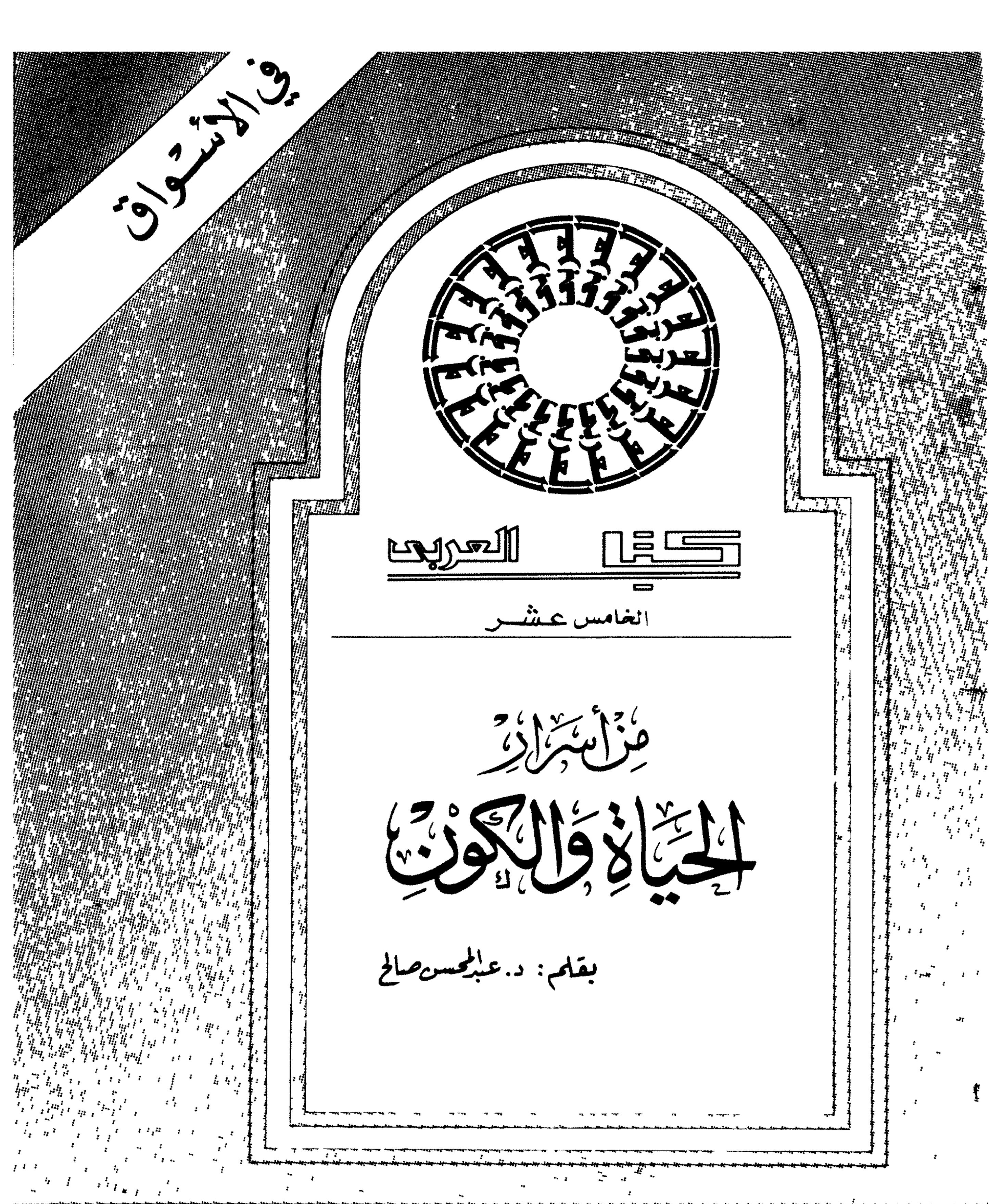
وارتجفت أرض العوامة تحتنا ، بمرور سفينة يهدر محركها وهي تعبر بجانبنا متجهة إلى مدخل البحر . .

وفتح جبروني عينيه ، ومال بجسده ، ومرغ رأسه على الحائط وقال :

ـ سأعود إلى بلدي . .

وهبطت ذراعه إلى جانبه . .

وانسلت من صدره آهة واهنة كالتثاؤب . □



كتاب العربي مرآة العقل العربي



طقوس احتفالات
دينيه قديمة يقوم
بها مواطنون
فلسطينيون
بريشه عوساف *
ناور بعيد

رمضان في ربوع القدس

بقلم : الدكتور صبحي غوشة*

مع سكوت آخر طلقة مدفع في حرب ١٩٦٧ كانت القدس قد سقطت ودخلت مرحلة جديدة من تاريخها الحافل بالمآسي، وبدأت سلطات الاحتلال بتغيير جغرافية المدينة المقدسة ، واختفت تلك الاماكن التي شهدت أطفال القدس وهم يجولون في حاراتها بفوانيسهم وأناشيدهم الجميلة وأصواتهم العذبة .



كان الشعور بالاختلاف والتغير هو أول ما لفت نظري الى شهر رمضان . فبعد أحد عشر شهرا من الحياة العادية ، يأتي هذا الشهر المبارك لتتغير مواعيد الطعام والشراب والخروج من البيت والعودة اليه . وبالنسبة لنا نحن الاطفال في ذلك الوقت ، كانت حياتنا أيضا تتغير مع كل ما يتغير من حولنا . ولذلك لم نجد صعوبة في صيام رمضان منذ الصغر ، فقد كان كل أفراد العائلة الذين يكبروننا سنا يصومون،رمضان وكان علينا لذلك أن نصوم حسب اقتدارنا وحسب أعمارنا ، فبدأنا بصعود « درج الصخرة » أو « درج المئذنة » وهي تعبيرات استعملها أهلنا لتحديد أوقات الصيام ، حتى الظهر أو العصر،لاشعارنا بأن هذه المراحل لابد أن يمر بها الصغار قبل وصولهم السن التي تسمح لهم بالصيام الكامل . وقد شد انتباهي في ذلك الوقت المبكر ارتباط درجات الصيام بدرجات الصخرة المقدسة التي ارتاحت منذ مئات السنين تحت قبتها القديمة العظيمة .

كنا نتحمس لصيام رمضان كثيرا ، ولكن حماسنا الأكبر كان للسحور فقد كان الاستيقاظ ليلا لتناول وجبة السحور متعة ومغامرة ولذة وكسرا لروتين الحياة اليومية في باقي شهور السنة ، وكذلك كنا كأطفال نحاول أن نتأخر في تناول السحور وكنا نوقت مواعيد الافطار والامساك حسب المدفع أو حسب ما نسمعه من المؤذن في جامع الشيخ جراح أو حسب إنارة المئذنة بالكهرباء وقت مدفع الافطار .

وكان صوت « المسحر » أو المسحراتي معلنا حلول موعد السحور متعة اضافية بالنسبة لنا نحن الاطفال لذلك كنا دائما نترقب مروره والاستئناس في وحشة الليل بصوته وصوت طبلته بايقاعها المنغم الجميل .

المسحراتي والثورة

كان « مسحراتي » الحارة هو الشيخ أدهم الذي تعودنا على مروره المنتظم في حارات القدس ضاربا طبلته ومرددا كلماته المعتادة التي أخذت نغما مميزا يتناسب مع ايقاع الطبلة الذي كان يشق سكون الليل :

يا نايم وحد الدايم — يا نايمين وحدوا الله .

يا عبادا الله وحدوا الله

وكثيرا ما سمعنا عن نشاطات أخرى للشيخ أدهم الذي كان يجيد تغيير صوته وسحنته أثناء الكلام . فقد كان له دور مهم في نقل الرسائل بين القيادات الوطنية الفلسطينية اثناء ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ ، وكذلك بين القيادات في الداخل وبعض القيادات التي هربت من بطش الانجليز الى دمشق وبيروت وبغداد . لكن لذلك قصة أخرى .

وكثيرا ما كان الارهاق يصيبنا من جراء الصوم خاصة عندما يصادف قدوم الشهر المبارك في فصل الصيف ، وهو موعد امتحانات المدرسة ، ومع ذلك كنا نصر على اكمال الصيام ، متحملين الارهاق والتعب ، وبالنسبة لي أنا وبعض زملائي ممن كانوا تلاميذ في مدرسة المطران بالقدس كان للصيام معنى آخر هو التحدي والتمسك بالهوية الوطنية ، فقد كان في المدرسة عدد كبير من الطلاب اليهود . وكان اعلان الصيام بمثابة اعلان للهوية الوطنية بالنسبة لنا نحن العرب المسلمين . ومع ذلك فقد كان الاغراء بالافطار بالنسبة لنا كبيرا اذ كان لكل منا نحن الاطفال جيب خاص من القماش نربطه حول وسطنا فوق الملابس،نجمع فيه ما يتوفر لنا أثناء النهار من حلويات ومكسرات وفواكه ، ونحتفظ بها حتى نأكلها بعد الافطار ، لكنها كانت بالنسبة لنا عامل إغراء لايقاوم في بعض الأحيان .

لم يكن هناك أيام طفولتنا راديو أو تلفزيون وقليلون منا من كانوا يمتلكون ساعات ، فكان توقيت افطارنا يتوقف على مدفع رمضان الذي كان منصوبا في مقبرة « باب الساهرة » ، أحد أبواب القدس القديمة ، وهو مدفع تركي قديم يقوم على خدمته « طوبجي » عجوز كان يحشوه بالخرق والبارود ويطلقه حسب أوقات معينة مسجلة لديه . وقد جدد شباب هذا

المدفع في أواخر أيام الانتداب ، ولذلك كنا نقف خارج البيوت في انتظار سماع صوت المدفع ، أو سماع المؤذن من فوق مئذنة جامع الشيخ جراح .

كان ذلك يتم غالبا بعد الذهاب الى السوق لشراء بعض المأكولات المرتبطة لدينا بقدوم رمضان مثل الحمص الذي كنا نشتريه من « الحمصاني » ، حيث كان الاطفال يذهبون اليه ومعهم الليمون الحامض والثوم ، وأحيانا « الطحينة » ويعودون بأطباق الحمص مزينة بالبهارات الحمراء وحبات الحمص والفول والفلفل الاخضر ، وفي الطريق الى المنزل كنا نشتري « الخروب » و « السوس » أو « العرقسوس » و « التمر الهندي » من البلدة القديمة ، حيث كان محل الحاج رشيد قلييو في مدخل باب العامود أو بوابة دمشق كما يشار إليها في المراجع التاريخية . وكان الحاج رشيد يكشف عن براعة خاصة في عرض بضاعته ، خاصة اذا صادف حلول رمضان في فصل الصيف . حينئذ كان يصف زجاجات العرقسوس والخروب المعرقة من شدة برودتها فوق الواح الثلج ، أو في أوعية كبيرة مليئة بالثلج المكسر ، فتبدو منعشة رطبة لذيذة . ولم يكن يعرضها للبيع الا قبيل الافطار بساعة فقط حتى تحتفظ المشروبات بطعمها اللذيذ الطازج ونكهتها القوية .

وبالرغم من وجود الانتداب البريطاني ، ووجود عدد من اليهود في الاسواق نادرا ما كان هناك في الشوارع من يجهر بافطاره ، حتى بعض العائلات المسيحية التي كانت تسكن بين المسلمين ، كانت تمتنع عن الأكل والشرب في الأماكن العامة احتراما للشهر وقدسيته لدى اخوتهم المسلمين .

سمير « والحواية »

كان لرمضان في القدس في الثلاثينيات بهجته المميزة ، وخاصة في البلدة القديمة حيث الشوارع الضيقة و « الأحواش » المظلمة و « القناطر » المتعددة ـ وحيث الدور المتلاصقة والأبواب الصغيرة التي تعلوها النوافذ المغطاة بشبك الخشب ـ كانت هذه الشوارع مظلمة أو قليلة الانارة ليلا فكانت تضفي على أيام رمضان روعة وهدوءا وطمأنينة تتناسب مع قدسية الشهر المبارك .

وكان الاطفال ينتشرون ليلا في هذه الحارات والأزقة وهم يحملون الفوانيس الورقية الملونة ، وفي كل منها شمعة صغيرة تنير حيزا صغيرا من الظلام المحيط ، بينما كان البعض الآخر من الاطفال يستعملون فوانيس مصنوعة من البرتقال الكبير الحجم حيث كانت تقطع في قشوره فتحات على هيئة شبابيك أو أبواب صغيرة ، ثم يفرغ ما في داخل البرتقال من لب وتوضع داخلها شمعة فتصبح فانوسا جميلا ورخيصا ، وكان الاولاد الصغار يجتمعون في حلقات ثم يدورون على المنازل « للحواية » أي لجمع ما يتيسر لهم من سكان الحي وهم ينشدون . لهذا كان يطلق على هؤلاء الأطفال اسم « الحواية » الذين كانوا يقسمون أنفسهم الى فريقين فريق ينشد : سمير لينا فيرد عليه الفريق الآخر : يوحيا

وكويسة . . يوحيا.وعريسه . . يوحيا
مثل القمر . . يوحيا
ولا بدر . . يوحيا.
لولا سمير ما جينا
حلو الكيس واعطونا
اعطونا حلوانا
صحنين بقلاوة
جاى علينا جايه
نطرد الحواية

وطبعا ، فان سمير وام سمير ، وأبو سمير يقومون بتوزيع الحلوى كالبرازق والملبس أو غيرها من الحلويات على الأولاد الذين كانوا يجمعوها في كيس من قماش يحملونه معهم وبعد ذلك يقومون بتقاسمه . ويستمر الأولاد في جولاتهم حتى ساعة متأخرة من الليل ، فالوالد عادة ما يكون خارج البيت اما للتعبد أو لقضاء سهرة رمضانية في احدى

الكثير من رونقه ، وفقد الكثير من حماسه وفقد بعضا من حرية حركته ، فقد قامت اعتراضات من بعض الفنادق والمؤسسات تشكو « ازعاجه » للنزلاء في منتصف الليل . لذلك « انكمش » دور الشيخ أدهم ولم يعد يتجول إلا في مناطق محددة من القدس .

وحتى حلقات الذكر التي كانت تقام في الجوامع تقلص عددها حتى كادت تتلاشى . لم يعد أحد يعتمد على صوت المدفع ، فقد جاء الراديو ثم التلفزيون ليطغى على صوت المدفع وصوت المؤذن وهو ينادي من فوق المئذنة . ولم يعد هناك حمص من « الحمصانية » ، فقد أصبحت كل عائلة تطحن حمصها بنفسها ، وبارت تجارة الحاج رشيد قليبو مع انتشار الثلاجات التي أصبحت تقوم بالتثليج والحفاظ على السوس والخروب أياما طويلة . وهكذا فقدت شوارع القدس وحاراتها وأزقتها طابع الهدوء في ظل الانارة الخافتة . وعلت الأصوات والجلبة والضوضاء ، ولكن هذا لم يمنع زحف المواطنين الى المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة ، فكانت باحات الحرم القدسي تكتظ بالمصلين القادمين من كل أنحاء ما تبقى من فلسطين ومن الضفة الشرقية لنهر الأردن بحيث عوضت بعض ما فقدته القدس من طابع مميز خلال الشهر المبارك .

القدس بلا حكواتي

وجاءت الضربة القاصمة حينما احتلت القوات الصهيونية باقي أرض فلسطين في ٥ يونيو(حزيران) ١٩٦٧ ، ودخلت القوات الغازية مدينة القدس ودنست المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة ، وهدمت حارة المغاربة وعددا آخر من البيوت والمساجد . وعاثت قواتها فسادا في المدينة ، واكتظت شوارعها بالمستوطنين وجنود الاحتلال ومجنداته وبالسياح والمتسكعين ، فأفقدت المدينة المقدسة ما تمتعت به من هدوء وروعة وقدسية خلال القرون الماضية . وخفت صوت الآذان وتوقف الأطفال عن التجول في الشوارع والانشاد ، وحمل الفوانيس ، وأصيب كل شارع وحارة وحوش وقنطرة وزقاق برذاذ من الارهاب الذي أتى به الاحتلال .

ولكن ، بالرغم من كل هذا القهر والاحباط ، بالرغم من كل ما يعانيه أبناء شعبنا ، فانهم باقون على العهد ـ عهد الأجداد الأوائل ـ الذين حافظوا على القدس عبر القرون الغابرة ـ صامدين يتحدون سلطات الاحتلال الصهيوني بعزيمتهم وحجارتهم وخناجرهم ، وحيدين في بحر عربي واسلامي واسعين .

يتمسكون بأرضهم وبايمانهم وحقهم في الحياة الكريمة . يقومون بعباداتهم رغما عن العدو ـ ويؤمون المسجد الأقصى ـ الذي حاول الصهاينة احراقه واقتحامه عدة مرات ـ باعداد متزايدة . ويقيمون صلاة الجمعة وخاصة في رمضان بشكل لم تشهد البلاد له مثيلا بحيث يغطي المصلون ساحات الحرم الواسعة وخارجها . وكأنهم يقولون للعدو الصهيوني ـ هانحن منغرسون في أرضنا وباقون فيها الى الأبد أما أنتم فطارئون عليها .

لقد عبر الشاعر الياس قنصل عن المأساة بقوله :

سيذكر العار أن العرب دمرهم
يوم الكريهة مجهول ومرذول
وليس يبرأ من اثم الهوى أحد
فكلنا عن ضياع القدس مسؤول

كلنا مسؤول عن ضياع القدس ، ولذلك علينا أن نكون مسؤولين عن تحريرها وعودتها الى أصالتها وقدسيتها وروعتها ، وعودة المؤذن ليرتفع صوته عاليا ، وعودة ليالي رمضان وصلاة التراويح والمسحراتي . وعودة الأولاد « الحواية » الى الشوارع غير المدنسة ، وعودة « الحكواتي » ليروي تغريبة بني فلسطين وعودتهم الى أرض الوطن . ولنفرح جميعا ونحن نستمع الى « مدفع » رمضان وهو يطلق قذائفه احتفالا بالتحرير والعودة والنصر . . □







عبدالوهاب البياتي و د. جليل العطية

■ كتبت القصيدة الأولى في درس الرسم ! ■ لغز دار المعلمين العالية في بغداد ! ■ **حصاد طوافي في العالم شعر لا غير !** ■ الإبداع ليس حكرا على لون أدبي أو فني ■ **المرأة واقع ، ورمز ومثل أعلى .** ■ أرشح نجيب محفوظ لجائزة نوبل ، لأنه مخلص ومبدع وأمين ■ **قصيدتي تولد « من قبل أن تولد » !**

عبد الوهاب البياتي لا يحتاج الى بطاقة تعريف ، إنه شاعر الفقر والثورة ، حمل هموم الإنسان وعذاباته منذ أن وعى وجوده ، وطوف فى الآفاق ، وأبحر فى أساطير الشرق ، ثم ألقى عصا الترحال فى مدريد ليتنفس عبير رائحة الأندلس .

فى مقهى باريسي يطل على كنيسة عتيقة ـ كانت آخر معاقل ثوار « كومونة باريس » التاريخية ـ وفى حفل سري أطفأ البياتي ستين شمعة من عمره المكدود ، فقد دب هذا الشاعر على كوكبنا الحزين ، ودرج مدة ستين عاما ، أربعون عاما منها كتب فيها الشعر للناس ، وغنى للحرية .

فما هو حصاد كل هذه الرحلة ؟

يجيب عن هذا السؤال البياتي فى حوار أجراه معه بهذه المناسبة الدكتور جليل العطية .

* فى حياة كل إنسان نقطة تغير مجرى حياته ، فما هى ؟ ومتى تم ذلك ؟

ـ التحول الكبير فى حياتي هو عالم الكتب !

كنت فى الخامسة عشرة ـ والمفكرة تشير الى سنة ١٩٤٠ ـ وكان العالم يغرق فى تنور الحرب عندما وجدت فى الكتب الدينية والكتابات الرومانسية مفاتيح أبواب بعض الواحات التى كانت تنتظرني ، ولكن كنت أمر بها عجولا ، وقد توقفت قليلا عند جبران ، ثم تنقلت بين الكتّاب واحدا فواحدا ، كالعقاد والمنفلوطي ، وطه حسين ، وكان كل واحد منهم يظللني زمنا قصيرا تحت خيمته ، لكن سرعان ما أشعر بالاختناق فأغير ، وهكذا .

القصيدة الأولى

* قصيدتك الأولى ماذا تتذكر منها ؟

ـ فى أحد أيام عام ١٩٤٢ كتبت قصيدة فى درس الرسم ، وكنت طالبا فى الإعدادية المركزية ببغداد ، وكان مدرس الرسم آنذاك الفنان عطا صبري ، وعندما بدأ يفتش دفاتر الرسم وجد أنني لم أرسم شيئا ، بل كتبت قصيدة فى الورقة البيضاء ، وعندما قرأها سألنى باستغراب : هل كتبت هذه القصيدة ؟

وحين تأكد أنها لى راح يتحدث عنها باعجاب ، تاركا دفاتر الطلاب ، وموضوع الرسم جانبا ، لكن حديث الأستاذ لم يفرحني قط ، بل لقد شعرت بالغصة والعذاب ، لأن القصيدة لم تعجبني ، ولهذا عرضتها على مدرس اللغة العربية الاستاذ الراحل صادق الملائكة ، والد الشاعرة نازك الملائكة ، فأعجب بها وطلب منى أن أتركها معه ، ثم جاء فى اليوم التالى ، وقرأ القصيدة أمام الطلاب باعجاب ، وعندما انتهى من قراءتها قال : إن هذه القصيدة من نظم عبد الوهاب أحمد ، فشعرت بالخجل الشديد ، وتواريت وراء الكتاب الذى كان أمامى .

وبعد أيام ظهرت القصيدة نفسها فى (مجلة الحائط) الخاصة بالمدرسة ، فقرأها معظم الطلاب ، وصرت معروفا بينهم لكثرة ثناء المدرسين على موهبتي الشعرية المبكرة .

العلاقة مع السياب

* ارتبط اسمك باسم السياب ـ فمتى تعرفت عليه ؟ وما هى انطباعاتك عنه ؟

ـ فى اليوم الأول لدخولى دار المعلمين العالية ـ كلية التربية فيما بعد ـ ببغداد التقيت ببدر شاكر السياب فى

الحديقة ، وكان ذلك في خريف عام ١٩٤٤م ، وكان لقاؤنا مجرد صدفة ، بادرني السياب بالسلام مقدما الي نفسه ، وكان معروفا في الوسط الطلابي ببغداد ، حيث كان يلقي بعضا من قصائده الوطنية والسياسية في الاحتفالات والتظاهرات الطلابية .

في ذلك اليوم بدأت صداقتنا ، وأصبحنا نلتقي كل صباح ، فنجلس قرب بائع الشاي الذى يحتل احدى الغرف الصغيرة في الكلية ، وغالبا ما كان حديثنا يمتد فيبتلع الدرس الأول كله .

كان كل واحد منا يقرأ قصائده للآخر ، وكان هو يشعر بتفوقه علي ، لأنه معروف أكثر منى ، لكنى لم أكن أشعر بالغيرة على الإطلاق ، لأننى أحس في أعماقى أننى أعد نفسى لسنوات طويلة قادمة ، أى أن روحى كانت تسكن في المستقبل . كنا نشترى بعض الكتب بنقودنا القليلة ، أو نستعير بعضها أحيانا من الأصدقاء ، أو من مكتبة الدار ، وأبدأ أنا بقراءتها أو يبدأ هو ، وكان النقاش يدور بيننا حول ما ينشر من قصائد وأشعار ، سواء في الصحف العراقية ، أو العربية التى كانت تصدر في تلك السنوات ، وبخاصة الأدبية منها .

وقد لمست فيه منذ الدقائق الأولى ذلك الجنوح الرومانسي العنيف ، إذ أن روحه كانت مسكونة بالنور الأبيض ، والطبيعة التى لم تدركها الشيخوخة ، وكان يحلم دائما بطبيعة غسلها المطر ، طبيعة أخرى غير التى نراها ونعيشها في الواقع .

واستمرت هذه الصداقة الى أن تخرج قبلى بسنة ، وافترقنا ، ولم نلتق بعد ذلك إلا بالصدفة ، وقد رأيته في بغداد بعد التخرج مرات ليست كثيرة ، وقد كنت في مدينة وكان هو في مدينة أخرى ، ورأيته مرة في بيروت ، وكان المرض قد بدأ يدب في جسده ، وكان لقاء خاطفا في إحدى دور النشر ، ورأيته مرة أخرى في دمشق في أحد المقاهى ، وكان لقاء عابرا أيضا ، وقد غادرت دمشق بعد ساعات من ذلك اللقاء .

يتصور كثيرون أن هناك خلافات حادة بيننا ، لقد كان هناك خلافات ، لكنها لم تكن قطّ خلافات شخصية ، بل كانت خلافات بين اتجاهين .

دار المعلمين

* لدار المعلمين العالية ببغداد نصيب وافر في رفد الثقافة العربية بأسماء لامعة ، مثل نازك الملائكة ، وسليمان العيسى ، وشاذل طاقة ، وغيرهم . وكنت مع السياب في طليعة المجموعة ـ فما سر تلك الدار ؟

ـ لا أدري ، أحيانا تتجمع الجداول الصغيرة أو الأنهار الصغيرة فتكون نهرا كبيرا ، وذلك النهر الكبير هو دار المعلمين العالية ، فقد كانت مجمعا بشريا ، وكان الذين يدرسون فيها يأتون من جميع أنحاء العراق ، من القرى ، ومن المدن البعيدة والقريبة ، ومن شمال العراق ، ومن جنوبه ، ومن وسطه ، بل ومن بعض الأقطار العربية ، كما أن الأساتذة الذين كانوا يدرسون فيها في تلك السنوات من خيرة الأدباء والكتاب الذين اشتهروا في تلك السنوات على مستوى العراق والوطن العربي ، وكانت هناك حركة ، وهناك نار تشتعل ، ومن خلال اشتعال هذه النار البطيئة ، أو السريعة أحيانا ، كانت تظهر بعض المواهب التى ذكرتها ، وهناك أسماء أخرى كثيرة غير ما ذكرت .

وكانت دار المعلمين العالية بؤرة صراع بين عالم يموت وعالم لم يولد بعد ، وكان الشاعر الذى يريد أن ينطلق خلافا للتقاليد الأدبية والشعرية في ذلك الوقت يشعر أن العالم الذى يقابله عالم أشبه بالميت ، لكنه ـ أي الشاعر ـ هو الوحيد الذى لم يمت بعد .

الشاعر والنحلة

* أنت مسافر ، وعاشق للسفر ، بل إنك تعتبر السفر قناعا للموت والميلاد ، فبماذا خرجت من كل هذه الأسفار ؟

ـ تسألني عن حصاد هذه الأسفار وجوابي بعجز بيت سائر لأبي نواس ، يقول :

فإذا عصارة كل ذاك آثام !

ياصديقي عصارة كل ابحاري شعر يشبه النحلة التى تطوف بالبساتين والحدائق وتحلق بها وتطير ، وتحط على آلاف الزهور ، ذات العطور المختلفة ، والألوان المتباينة ، لكنها فى النهاية تجني عسلا .

لقد استفدت ـ طبعا ـ من جميع الشوارع التى مررت بها، ومن جميع الكتب التى قرأتها ، ومن جميع الأصدقاء الذين التقيت بهم ، فأحيانا قد ألتقي بصديق صدفة فى شارع ، أو فى مدينة من مدن العالم ، وقد يسلم على صديق ، أو يقول لى جملة بسيطة ، لكن هذه الجملة البسيطة لا تلبث أن تتحول الى قصيدة شعرية ، ربما يحدث ذلك بعد يوم واحد ، وربما بعد عشرين سنة !

هكذا هى نفس الشاعر ، تتجمع فيها الغيوم والأحزان والدخان والكلمات والذكريات والعطور والألوان والموسيقا ، وتتحد فى بوتقة واحدة ، وتتحول الى قصائد .

وفى النهاية يبقى الألم الإنساني هو المحرك ، وهو الدافع فى كل هذه المدن التى مررت بها ، فقد رأيت بشرا يتعذبون ، ويضحكون ، ويتألمون ، ويسيرون فى طريقهم ، وكنت أتوقف أحيانا فى هذا الشارع أو ذاك عندما أجد إنسانا غريبا ، يجري مسرعا ، وكنت أود أن استوقف هذا المسرع فى مشيه وأسأله الى أين أنت ذاهب ؟ وكنت أجيب أحيانا قبل أن يجيب هو عن سؤالي ، لأنه لا يدري !

وتلك هى حيرة البشر ، وعذابهم فى مسيرتهم الكبرى نحو المستقبل ونحو اليوم التالى ، فحركتهم ـ داخلية كانت أو خارجية ـ ورحلاتهم ، وهجراتهم مع الأبجدية والحروف والكلمات هى التى كانت تحركني ، فلم أكن مسافرا « سائحا » ، يبحث عن المتعة ، بل كنت مسافرا أبحث عن الحقيقة ، وعن النور ، مثلي مثل السندباد الذى كان يخرج فى أسفار بعيدة بحثا عن الكنز ، لكنه اكتشف فى نهاية عمره أن الكنز مدفون فيه ، أو تحت عتبة داره !

قصيدة النثر

* قصيدة النثر صيحة ، مايزال بعضهم يصر على أنها لون شعري ـ فما رأيك ؟

ـ لست ضد الألوان الأدبية ، إنما ضد اللونين واللاّفن واللاّشعر ، فعندما يكون الإنسان مبدعا فإنه يبدع بأى لون من الألوان ، وله الحرية المطلقة فى ذلك ، لكن بعض الشعراء العموديين يتحدثون عن قضية الشكل ، وتفضيل هذا الشكل أو ذاك ، علما بأن الإبداع ليس حكرا على لون ، بل هو مرتبط بمبدعه ، الإنسان المبدع يكون مبدعا ، حتى عندما يصرخ أو يبتسم أو يقول لا ، وهناك فرق بين صرخة هذا المبدع وصرخة من ليس كذلك .

* المرأة ماذا تعنى عندك ؟

ـ هى عنصر أساسى ومهم ، إنها قوة من قوى الإبداع فى شعري ، وأنا لا أتوجه إليها مباشرة فى شعري ، بل اتخذت من حبها وسيلة وغاية ، للوصول الى وسائل وغايات أبعد منها ، فأنا منها وإليها ، وهى واقع ورمز ومثل أعلى . ولا أفصل فى شعري بين هذا الواقع والرمز والمثل الأعلى .

ولادة القصيدة

* لكل شاعر طقوس معينة فى كتابة أشعاره، فهل لنا أن نعرف كيف تكتب قصيدتك ؟ وكيف يهبط عليك الإلهام الشعري ؟

ـ تخطيط القصيدة يتم فى مخيلتى بصمت ، فأنا لا أكتب قصائدى على الورق ، بل أكتبها ابتداء فى ذاكرتى ، وأمحو وأضيف وهى فى ذاكرتى أيضا ، وبعد أن أنتهي من كتابتها فى الذاكرة أضعها على

الورق ، أى أن ماهية القصيدة فى ذهنى ووجودها يأتيان مرة واحدة متداخلين متحدين ، دون أن يكون لأحدهما سبق على الآخر ، وقد أكتب بعض قصائدى ثم أكتشف ماهيتها أو ملامحها ، فهى كما يقول المتصوفة : « تولد قبل أن تولد » ، وعندما تولد تكون مكتملة ، وتكون ماهيتها متناسقة ، بحيث أشعر أننى لا أستطيع إضافة أى شيء إليها أو حذف أى شيء منها ، وكل ما أقوم به بعد كتابة القصيدة هو أننى أتوقف أحيانا عند كلمة أو تعبير ، هنا أو هناك ، فأشعر مثلا أن هذه الكلمة قلقة فى مكانها ، مثل شعور المهندس المعمارى بوجود حجر غير مستقر فى مبنى كاتدرائية « كبيرة » مكتمل البناء ، فأرفع هذه الكلمة ، وأضع كلمة ملائمة مكانها ، بحيث لا تلبث أن تصبح هذه الكلمة جزءا عضويا فى بناء القصيدة الكلى ، أما عن العبارات أو الجمل الشعرية فقد أتوقف أحيانا عند هذه الجملة أو تلك ، فأرى مثلا أن هذه الجملة ناقصة التكوين ، وعلي أن أضيف إليها بعض الكلمات ، لكى تكتمل ملامحها ، أو أرى أن الكلمات أكبر فى المعنى أو الصورة التى تكتنز بها القصيدة ، أو أرى أن المعنى أو الصورة غير واضحين بالنسبة لقارىء لا أعرف من هو ، فأحاول إعادة صياغة مثل هذه الجمل الشعرية ، دون الإخلال بمكانها ، وبموقعها من السياق العضوى للقصيدة ، أى أننى أستبدل بها جملة شعرية أخرى ، أكثر نصوعا من الجملة الأولى ، دون أن تكون نقيضا لها .

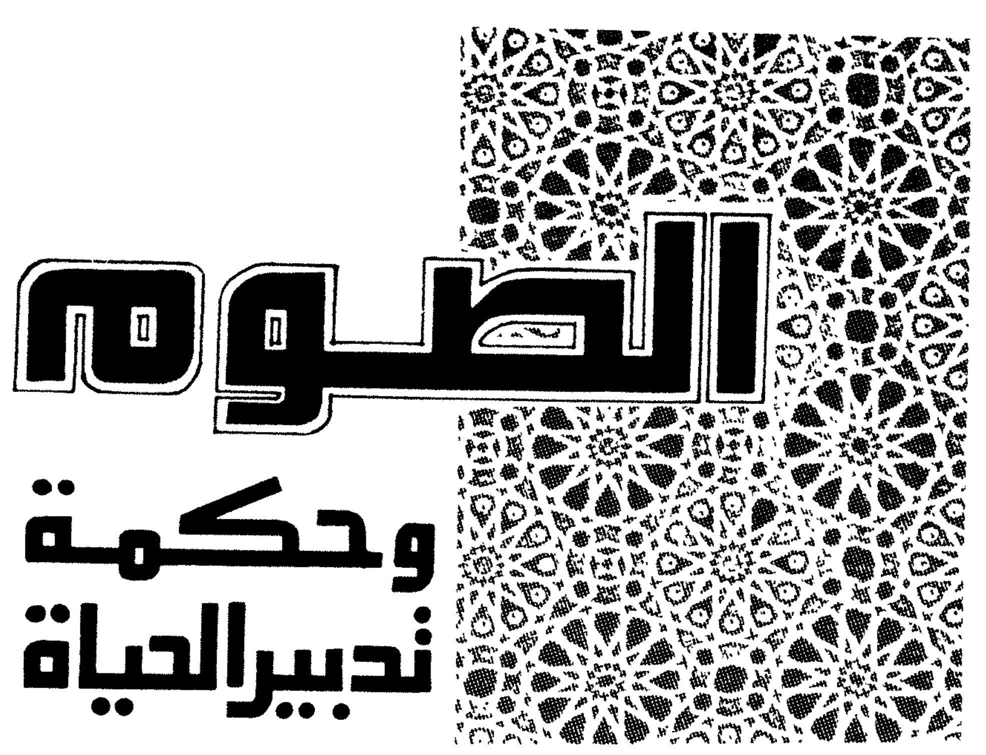
أما متى تأتى لحظات الإلهام الصادقة فتلك قضية ، يصعب شرحها،لكنى أعتقد أن الوحدة بين ماهيتها ووجودها قبل كتابتها هى العلاقة الوحيدة التى يحسها قلب الشاعر .

هل هو زمن الرواية ؟

* يقال إن عصر الشعر قد انقرض ، وبدأ زمن الرواية ، فما رأى البياتي ؟

ـ هذه مقولة لا يتحمل مسؤوليتها إلا قائلها ، لكنها قد تصبح عليه ، أو على أحد ما، أو على ظاهرة ما ، إذ ليس هناك مواسم للقصة أو للرواية ، إنما هناك متسع للإبداع فى كل أنواع الفنون الأدبية فى كل العصور ، وازدهار الرواية الأمريكية اللاتينية ـ على سبيل المثال ـ لم يمنع ازدهار الشعر هناك ، بل إنه ربما تفوق على هذه الرواية بكثير من نماذجه ، إذا لم نقل إنهما يسيران فى خطين متوازيين ، ويتقدمان معا .

أما الرواية العربية فأعتقد أنها حققت إنجازات مهمة ، لا تقل عن إنجازات الشعر ، وبخاصة الروايات التى لامست الإنسان العربى ، وكينونته ، واخترقتها بعيدا عن الظرفية المتغيرة ، ومن ذلك روايات نجيب محفوظ ، والطيب صالح ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن منيف ، وفؤاد التكرلي فى روايته الوحيدة التى ترجمت مؤخرا الى الفرنسية ، ويتميز منيف بأن معظم رواياته تدور حول القضية التى تتوهج فى داخله ، ولهذا فإنها صادقة فنيا وواقعيا ، وهذا الرأى ينطبق على أعمال بقية زملائه ، وهى أعمال ـ بالرغم من اختلاف الأزمنة والأمكنة والحيوات التى تتمحور حولها ـ تعتبر إشراقة مبشرة فى أدبنا العربى ، بجانب أعمال نجيب محفوظ التى فتحت الطريق أما تطور الرواية العربية ، نظرا لتاريخه الطويل ، وإبداعاته التى حققها ، بدءا بالثلاثية ، ومرورا « بشلة الحرافيش » . وإننى أرشح نجيب محفوظ لجائزة « نوبل » لأنه مخلص وأمين فى الكتابة ، ولأنه من أكثر الأدباء العرب تعبيرا عن البيئة العربية ، ولأن انتاجه يرتبط بالأرض والإنسان ، كما أن بعض انتاج يوسف إدريس يؤهله لمثل هذا الترشيح . □



الصوم وحكمة تدبير الحياة

بقلم الدكتور محمد فتحي الدريني*

شُرع الصوم في الاسلام عبادةً روحيةً خالصة ، وعلى نقيض ماتقتضيه الفطرة الانسانية مادياً ، مما هو من لوازمها ، بل ومقوماتها حياةً وبقاءً .
وليس لهذه العبادة مظهر إيجابي يمكن الاستهداءُ به لادائها، كما هو شأن سائر العبادات والشعائر ، لأن قوامها كف النفس عن مشتهياتها الحلال ، فكانت عبادة سرية بين العبد وربه ، تمثل سريتها عنصر المراقبة المستكن في ضمير المؤمن ، لله تعالى !

لانرى فيما ذهب إليه بعض المتفقهة في تفسير الحكمة الغائية للصوم ـ على أساس من فلسفة الجوع والحرمان ـ تعليلا كافيا ، لادراك الصلة التي تربط الصوم ـ بما هو مجاهدة نفسية واقعية ـ بالحياة الانسانية ، يدبر أمرها ، بما يصلها بالمعنى الحق الذي يتفهم الصائم من خلاله كنه بشريته تجاه مقام الألوهية ، فيؤدي به ذلك إلى تجرد روحي ، يستشعر معه سلطان الله تعالى على نفسه ، مما يغرس خشية الله في قلبه .

فليس التجويع أو الحرمان ـ في حد ذاته ـ بما يورث خورا في الجسم ، وانهاكا للقوى مما يصح أن يعتبر ـ في الشرع الحنيف ـ غرضا مقصودا لله تعالى أصالة ، لأن هذا بالعقوبة أشبه منه بالعبادة ، وماعهد في شرعة الاسلام أن تقام العبادات الخمس المفروضة على معنى العقوبات ، غاية ومقصدا

صحيح أن الجوع يورث وهنا في الجسم ، نتيجة أو أثرا لازما لانقطاع مصادر الغذاء عنه في فترات متتالية تستغرق شهرا كاملا ، لكن هذا معنى تبعي

* عميد كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

- فيمانرى - لايرقى إلى مستوى الحكمة الالهية المقصودة أصالة من هذه العبادة الروحية الخالصة ، بما يستشفها الباحث مما ورد في آية الصوم نفسها ، موصولة بالتقوى في معناها الكلي الذهني المجرد ، الأمر الذي يستوجب أن تفسر موصولة بالهدى القرآني نفسه ، وهدفه العام ، إذ لا تجد جزئية في هذا التشريع - حكما أو مقصدا .

ولاتنحصر هذه « الحكمة » أيضا فيما يردده بعضهم من تقوية الارادة ، وقوة الاحتمال والمجالدة ، وإشعار ذوي اليسار بوطأة الحرمان ، ومرارته على النفس في تجربة عملية واقعية ، ليحملهم ذلك على تقدير ما يعانيه الفقراء المكدودون ، إذ لو كان الأمر كذلك ، لكان تشريع الصوم خاصا بهم ، لانحصار هذه الحكمة فيهم ، وليس الأمر كذلك بالبداهة ، بل هو تشريع عام ، قد كتب علينا ، كما كتب على الذين من قبلنا ، لوحدة النفس البشرية ، ووحدة مايستهدفه من مقصد عام يدبر به أمرها في حياتها ، وأجيالها المتعاقبة

وبيان ذلك أن الصوم شرع لاشعار الانسان ببشرية كيانه التي تتسم بالحاجة الضارعة إلى الطعام والشراب ، ومن لوازمها الفناء ، تجد هذا بيّنا في تأكيد القران الكريم على بشرية الرسل ، كي لا يتخذوا آلهة من دون الله ، في مثل قوله تعالى : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول ، قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صدّيقة ، كانا يأكلان الطعام » ، وليس هذا من لوازم الألوهية ، لأنه - سبحانه - يُطعم ولا يُطعم ، وأكد القرآن الكريم هذا المعنى في الرسل جميعا : « وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ، وماكانوا خالدين » ، فالطعام والشراب والفناء ، من لوازم البشرية ، فجاء الصوم إيقاظا لوعي الانسان لكنه بشريته ، ليعرف قدره ، فلا يستعلي على مقام الالوهية ، ولا يظلم ولايطغى ، فالحكمة الغائية للصوم موصولة - كما ترى - بأصالة عقيدة التوحيد ، وما يستوجب ذلك من الايمان بعقائد الاسلام ، وبالقيم التي تنبع منها ، وامتثال أمر الله تعالى في كل ماشرع ، مما يتعلق بصلاح الفرد نفسه خاصة ، وما يتعلق بالأمة ، بل والمجتمع البشري عامة .

ويؤكد هذا ويوضحه ، أن مفهوم «التقوى» الذي أشار إليه القرآن الكريم ، غاية للصوم ، رجاء أن يحققها الصائم عملا فيما فصله القرآن الكريم من عناصرها ، أو أن يعد نفسه إعدادا كافيا عن طريق الصوم للنهوض بها ، كما يؤكد هذا ما رسمته الحياة الواقعية للرسول ﷺ في هذا الشهر المعظم ، أقول : إن مفهوم « التقوى » قد فصله القران الكريم ، والسنة العملية المطهرة تفصيلا ، بحيث يعتبر منهجا عمليا لتحقيق مفهومها الذهني المجرد ، وقد فصله في اية البر ، وآية والبر والتقوى - في هذه الأية الكريمة مفهومان كليان جامعان ، متطابقان في مدلوليهما ، لقوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من امن بالله ، واليوم الأخر ، والملائكة والكتاب ، والنبيين ، وآتى المال على حبه ، ذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفي الرقاب ، وأقام الصلاة ، واتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

مجاهدة النفس

أشار القرآن الكريم إلى أنه أنزل في شهر الصيام « هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » .

أما كونه هدى للبشر كافة فيشعر بأنه من اليسر والوضوح بحيث يسعهم أن يعقلوه ، ويدركوا معانيه ومراميه ، مصداقا لقوله تعالى ، « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدَّكر » ، وقوله عز شأنه : « بلسان عربي مبين » ، فالهدى معنى قريب مشترك فهمه بين الناس كافة .

أما « البينات » فهي أدق وأخص معنى ، لأنها شواهد ودلائل إقناع ، تحمل في طياتها أصول برهان قضاياها ، وعناصرها عقلية تنهض بحقيقتها ، من دقيق المعاني الذي يتضمنه هذا الكلم الالهي المقتدر البليغ المعجز ، وهذا يفتقر ـ بلا ريب ـ إلى طاقات عقلية ، وفضل اجتهاد ، وبحث يقوم على التفكير المتعمق من أهله ، لتبينها واستبطانها ، وتمثلها ، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم في الجمع بين « العقل والوحي » .

والصوم مجاهدة نفسية واقعية تؤول إلى تجرد روحي ، وتفتح عقلي ، وإشراق نفسي ، وقد اتخذه الله تعالى وسيلة فعالة لتمكين العقل والنفس من اجتلاء تلك « البينات » التي قوامها شواهد وأدلة إقناعية وتمثلها ـ مفهوما وغاية ـ تنهض بالحقائق الكبرى في هذا الوجود ، وعلى رأسها الايمان بالخالق الباريء جل وعلا ، وما يفيض عنها من القيم العليا ، والمثل الخالدة · من الحق ، والعدل ، والحرية ، والمساواة في الاعتبار الانساني ، والرحمة ، والاحسان ، والفضل ، والتضحية والجهاد ، لتأصيلها وإعلانها ، والايثار وانكار الذات ، وغيرها مما يمثل في مجموعه مثلا عليا للانسان ، ويعتبر « فرقانا » فاصلا بين الحق والباطل ، أوفيصلا حاسما بين عهود جاهليات قد زالت وانقضت ، وبين حياة إنسانية فضلى قد ابتدأت بنزول هذه النعمة الكبرى على البشر كافة . « وبينات من الهدى والفرقان » .

ولا مرية أن للظروف ـ ولا سيما الروحية الخالصة ـ تأثيراً بالغا على الملكات والقوى المعنوية في النفس الانسانية ، فالمشاعر ترهف وتتقد ، والنفس تصفو وتشرق ، والعقل يشحذ ويتفتح ، فينبرى للتفكير والامعان والتأمل ، ويغدو بصفاء النفس والروح ، ويصبح أقدر على اجتلاء أسرار هذا البيان الالهي المعجز ، وما كان يسهل عليه النفاذ إليها ـ حقيقة وغاية ـ لولا هذا الظرف المتجرد ، بما ينطلق فيه الروح من أغلال المادة وأوضارها ، ليحلق في أفق رحب من المعاني ، والحقائق ! والقيم ، فيتقوّى ، ويرقى إلى استشرافها ، ليقتدر على أن يوجه السعي لرغائب هذا الروح ، ويتخذ من الجسد مطية ذلولا لتحقيقها بحكم سلطانه عليه ، ولاريب أن « قوة الروح » هي الكنز المعنوي للانسان ، به تتحقق إنسانيته ، أنى كان ، والصوم من أقوى روافده ، بما يمده من القوة التي يعلو بها عن المشتهيات المادية ، ومنازع الهوى ، وشره « الانانية » الرابضة في أعماق النفس البشرية ، وليس هذا قولا منا نزعمه ، أو نتخيله ، أو نبدعه ، وإنما هو الواقع الحيوي الذي كان يحياه الرسول نفسه ـ ﷺ ـ في شهر الصيام خاصة وفي كل عام ، ليضرب للبشرية في أحقابها المتطاولة ، مثلا واقعيا حيا فيما يدبر الصوم من أمر الانسان تدبيرا يؤثر على كيانه ، جسدا وروحاً وعقلاً ونفساً وارادةً ، حيث كان ـ ﷺ ـ في شهر رمضان يهجر النوم إلا قليلا ، ويجتزيء بما يقيم الأود من الطعام ، ويرتقي الجبل « غار حراء » ليستعين بالصوم والتجرد ، على التفكير ، استجلاء للحقيقة الالهية العليا ، في هذا الجو الروحي النقي الخالص ، وكان ﷺ لايني ـ في هذا الشهر العظم ـ يرسل الفكر عميقا أيضا في ملكوت السموات والأرض ، بما يثير فيه وعياً كونياً فضلاً عن وعيه الذاتي الاعتقادي ، تجاه مقام الألوهية ، حتى إذا أخذ منه التأمل والفكر كل مأخذ ، انعطف على العبادة خشوعا ، إعداداً للنفس ، وتهيئة لها ، لتبليغ الرسالة .

معراج إلى الكمال

وليس رفع الانسان بالآيات إلا لكونها معراجاً للارتقاء به إلى المستوى الانساني الفاضل ، وما نظن أن غير الاسلام قد خبر أبعاد الطبيعة البشرية كلها ، وقدرها ثم أقامها ـ على ضوء من حقيقتها الكاملة ـ في مثل هذا المقام الرفيع ، نأيا بالانسان عن مصادر الذلة وأسباب الهوان ، وهو ماعبر عنه القرآن

الكريم ، بالاخلاد إلى الأرض ، واتباع الهوى ، على أن الارتقاء إلى هذا المستوى الانساني الرفيع ـ بما هو خليق بالبشرية أن تعمل جادة على بلوغه ـ لن يتأتي ـ على مايوحي به البيان الالهي ـ إلا بالأمور الآتية :

أولها ـ بينات الهدى ـ عقائد وعبادات ومبادىء وقيما ، وهي عناصر مضمون التقوى

ثانيها ـ العقل المتفهم المدرك لدقائق تلك البينات ، ودلائلها ومراميها

ثالثها ـ التجرد الروحي الذي يستلزم التفتح العقلي ـ ضرورة ـ تهيئة للنفس ، وإعدادا لها ، لتقبل هذا الهدي السماوي وبيّناته ، ثم أدائه ، وإنفاذه رسالة ، عن قناعة واختيار ذاتي وهو مانهضت به عبادة الصوم تفسيرا معقولا ومقنعا للوجود الانساني كله على وجه هذه الأرض ، ، مما يذهب بالحيرة التي تنتاب الفلاسفة ـ منذ القدم ـ في تفسير هذا الوجود ، منشأ ومصيراً !! .

وإعداد النفس ، وتهيئتها لتقبل الهدى وبيناته ، ثم أدائه وإنفاذه ، رسالة عن اختيار ذاتي ، ومرضاة لله تعالى ، وهو الحكمة الغائية من الصوم المعبر عنها بقوله سبحانه : « لعلكم تتقون » إذ كلمة « لعل » كما تكون للرجاء ، تكون للاعداد والتهيئة أيضا ، على ماذهب إليه كثير من المفسرين ، وماضرب به الرسول ـ ﷺ ـ من مثل حي في التجرد والاعداد في شهر الصيام مما يؤكد هذا المعنى

رابعها ـ أن الانسان يعجز بالعقل وحده ـ مجرداً عن « البينات » ـ أن يتولى قيادة نفسه ، فضلا عن أن يملك القدرة على قيادة غيره ، إذ غالبا ما يفقد المرء ـ بحكم سيطرة الهوى الغالب المتبع ـ الهيمنة على مركز القيادة في نفسه ، وهو « العقل » ، وذلك إما بتعطيل أحكامه ، أو العبث بسلامة منطقه ، أو لقصوره عن إدراك الحقائق العليا في الوجود الانساني ، ولا سيما حقيقة النفس البشرية ذاتها ، لتعقدها . تلك الحقائق العليا التي قامت « البينات » على أساسها ، وحيا ، مبرأة من دوافع الأنانية ، وبواعث الهوى ، والعصبية ، أيا كانت صورها .

ولاجرم أن تلك الحقائق الكبرى التي نهضت بها بينات الهدى في الاسلام ، هي ماتقتضيه الفطرة الانسانية نفسها ، إذا برئت من العوارض التي يلتاث بها نقاؤها ، وسلامتها ، لقوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » .

اختلال التوازن

إن « المشكلة الحقيقية » التي واجهها الاسلام في « الانسان » هي « الأنانية » ، وما تستتبع من الهوى ، ترى ذلك بينا في توجيهات رسالته ، تشريعا ، فضلا عن عقائده ، وعباداته ، لما « للأنانية » من أثر في اطراح القيم ، والاستخفاف بالمثل العليا ، لسبب بسيط ، هوأن « الأناني » أو العنصري وأضرابهما ـ والعنصرية ضرب من الأنانية الحادة المسرفة ـ يشعر أن الدنيا كلها قد خلقت من أجله هو أو يعتقد ذلك ، وأنه هو محورها ، وأن ليس ثمة من غرض يسعى إليه في حياته إلا تحقيق مصالحه الذاتية المباشرة ، ويشيع هذا المعنى في الشعب الأناني العنصري فيحمله على الاعتقاد أنه شعب الله المختار ، وهْما وخرافة ، وأن غيره من شعوب الأرض دونه ، حتى في جوهر الانسانية ، وأن تلك الشعوب ذات الأعراق المختلفة ، إنما خلقت ـ في وهمه ـ مسخرة لمصالحه الخاصة ، بل وللهيمنة عليها ، إلى آخر ماتمليه هذه العقيدة ، والفكر المتعنصر الضال الذي هو بالأساطير أشبه ، ومن هنا ، كان الانسلاخ عن « البينات » ـ في نظر الاسلام ـ تدنيا وهبوطا سحيقا عن المستوى الانساني الذي عبر عنه القرآن الكريم بالاخلاد إلى الأرض ، واتباع الهوى ، وفيه من الفساد في الأرض مافيه !! □

فتى دير الغصون

شعر :
يوسف عبد العزيز

أخيراً
ها تركت البحر في قفصٍ ،
وحئت ،
تُراك تهجس بالنّهار الأزرق الفتّان ؟

□

مثلك ما اكتوى بدموع نرجسةٍ ،
ومثلك ما رأى شجراً ،
يصفِّقُ للطّيور ،
مشقّق الكفّين ،
يا ابن الماء ،
والقمر الذي يحبو على الحيطان ،
أين أضعْت قلبك ،
واقترفت الشّعر ،
حتّى حمَّمتْ أمواجها بنتُ النّشيد ،
وفضْت بالنّيران ؟؟

□

أين أصعت قلبك ؟
أيُّ زهرٍ خاسرٍ يبكي على الشّرفات أنت ،
وأيُّ طيرٍ ينقرُ الصّوّان ؟!
في هذا المدى النّاريِّ
ليس لقبّرات الحقل أفقٌ ،
حيثُ تنتشرُ الطّواويسُ الكثيرةُ ،
والجرادُ يهبُّ من جبلٍ بعيدٍ نابحاً ،
ويمزِّقُ الرُّمان
ما أبهى غبارك أيُّها القرويُّ ، مثلي ،
أيُّها الضِّلعُ المطاردُ في زوايا الصَّدرِ ،
يا زيتونةً ،



* دير الغصون : قرية فلسطينية ، تقع في قضاء مدينة طولكرم المحتلة

منهوبةً ،
ترثُ
السُّدى .
حدَّثتني عن (دير الغصونِ) المقيمةِ عندَ باب البحرِ ،
وهي تضيء بالزّيتِ المقدّسِ في المساءِ سراجَها ، وتنامُ ،
عابقةً بطعمِ اللّوزِ ، تاركةً وعولَ الارضِ تهذي في البراري ،
والنّسورَ تصيحُ في أبراجها .
حدَّثتني
عن رجفةِ النّعناعِ في منديلها البريِّ ، حين تمسُّهُ النّسماتُ ،
عن حَجَلٍ (يبرجَمُ) في سهوبِ الغيمِ محتشداً على
أكمامِها ، وحجارةٍ مكسوَّةٍ زَغَباً ، يفيضُ حليبُها
في الصُّبحِ حين يشبِّبُ الرّعيانُ .
□
أينَ أضعتَ قلبَكَ ؟
أيُّ شيطانٍ جحيميٍّ يقودُ خطاكَ
نحوَ ضلالكَ الآتي ؟
فتتركُ (دير الغصون) الجميلةَ عند بابِ البحرِ ،
تسألُ حارةَ الزَّيتونِ
عن ظبيٍ ، تسيلُ يداهُ ورداً ،
عن شقيٍّ راحَ يطلبُ مهلكًا .
مهلاً ،
ستخدعُكَ القصيدةُ ،
والسَّماءُ الناعِمة ،
وتشيبُ روحُكَ في ضبابِ الحُبِّ ،
يا غصناً من الليمونِ أخْضرَ ،
يا شريكاً في القصيدةِ
مُشرِكًا .



بقلم : حمدي قنديل

ان عملية نقل التقنية أبعد من شراء المعدات مصنعة وجاهزة ، ولابد أن تكون مسبوقة بدراسة شاملة لقدرات المجتمع الذاتية ، وامكانيات تطويع هذه التقنية لابتداع وسائل خاصة بهذا المجتمع تسهم في تعزيز كافة فروع التنمية .

مرت الآن سنتان على إطلاق القمر الصناعي العربي ، ولم تأت الشبكة الفضائية حتى الآن بالنتائج المرجوة منها . ولسنا هنا في معرض تقييم هذه التجربة ، بل ان المراقب الحريص عليها يود أن نغمض العين عن مثالبها في الوقت الذي تتولى فيه زمام الأمر في المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ، ادارة جديدة لها مكانتها ، ورثت عن سابقتها تركة مثقلة ، وفي الوقت الذي تحاول فيه المؤسسة تبني طرق جسورة جديدة ، من بينها فتح الباب أمام الجهات غير الحكومية للمشاركة في العمل الاذاعي . وهو درب غير مألوف في دنيا الاعلام العربي ، سوف تكون له عواقب هامة تتوقف على مدى كفاءة تلك الجهات ، وأمانتها وجديتها . كل ما نريده الآن هو أن نطرح وراءنا تحقيق مشروع القمر العربي في حد ذاته ، في الوقت الذي نستخلص منه العبرة التي تفيدنا عند ادخال أي تقنية جديدة ، خاصة اذا كانت هذه التقنية في مجال الاتصال والاتصالات وما شابهها .

ونقل التقنية من الدول الصناعية الى الدول النامية قضية خطيرة طال الحديث عنها . ولكن الأخطاء التي ارتكبت في الماضي في طول العالم وعرضه ما زالت تتكرر هنا وهناك . وما زال العالم الثالث أبعد ما يكون عن استيعاب الدروس المستفادة . ويبدو أننا لم ندرك بعد أن نقل التقنية عملية متكاملة ، وليست نقلا لبضاعة أو استيرادا لمنتجات جديدة . ومعظم ما نراه الآن في الدول النامية يكاد يثبت لنا قول باحث الفضاء الهندي الشهير (ياش بال) من أن ما نراه ليس نقلا للتقنية ، فهو لا يعدو أن يكون صفقات ومعاملات تجارية ليس لنا فيها فضل أكثر من قيامنا بسداد المال مقابل حصولنا على السلعة . وربما انطبق

هذا القول على صفقة القمر العربي ، التي يمكن أن نستفيد منها بخبرات متعددة يمكن اجمالها في هذا العرض .

تطويع التقنية

إنه من الضروري - على حد قول تقرير لليونسكو حول سياسات الاتصال في الأقطار العربية - ان نربط بين مفهوم اقتناء نتاج الدول المتقدمة صناعيا ايا كان وبين تطويع التقنية ، اذ أن التقنية لا تنقل كما هي ، بل تمر بمجموعة من المراحل المتكاملة تعتمد أساسا على تجميع المعلومات ثم تحليلها لاستنباط قرار معين . وهذه المراحل تبدأ بالوقوف على التقنيات الأجنبية البديلة ، ثم تقييم لمدى نجاح أو فشل تطبيق كل من هذه التقنيات ، وبعد ذلك الوقوف على الظروف البيئية الخاصة بنا ، ثم دراسة واختيار أفضل التقنيات في ضوء ادائها الفعلي ، ومدى تواؤمها مع البيئة ، وأخيرا تطويع التقنية المختارة لتصبح قابلة للتطبيع في بيئتنا العربية . وعلى سبيل المثال ، فقد كنا مفتونين في بداية تفكيرنا في مشروع القمر الصناعي العربي بالنظام الفضائي في كندا ، والامكانات التي يتضمنها للبث التلفزيوني الى التجمعات السكانية المتناثرة في المناطق النائية ، فاستعرنا منه فكرة ادخال قناة غزيرة الاشعاع على القمر ، يمكنها أن ترسل البث الى البيوت مباشرة . ولم نأخذ في الاعتبار الظروف السياسية التي تحول دون استخدام هذه القناة في بث برنامج واحد الى كل الأقطار العربية التي تسيطر حكوماتها على وسائل الاتصال بشكل مباشر أو غير مباشر .

تحديد الاحتياجات

ان تحديد الاحتياجات بدقة ، خطوة هامة لابد أن تسبق القرار بالاختيار التقني . وربما لا تكون هناك حاجة على الاطلاق لأي تقنية جديدة . ولابد من خبرة مكثفة لمعرفة ما اذا كان من الأنسب لبلد أو مجموعة من البلدان أن تحصل على أحدث التقنيات ، أم تكتفي بالحصول على معدات أكثر تواضعا . ولا يعلم أحد تماما ما اذا كانت الاكتشافات التقنية الحديثة تجعل المعدات أقل أم أكثر كلفة . وفي بعض الأحيان تخصص مبالغ ضخمة لمعدات أكبر قدرة أو أكثر تعقيدا مما هو ضروري . وهكذا فقد يلجأ البعض الى الأقمار الصناعية بداع أو بغير داع ، أو الى أقمار أكثر تعقيدا مما نحتاجه فعلا .

إن ادخال التقنية يعتمد أساسا على تطوير القوى البشرية ، والخبرات الفنية المتعلقة باستخدامها . وقد أعطت الجزائر نموذجا كافيا لابد من احتذائه عندما استخدمت أقمار « انتلسات » الدولية في عام ١٩٧٤ إذ اهتمت اهتماما خاصا بتدريب الفنيين والمهندسين الذين قاموا بالمشاركة في تنفيذ وإنجاز المشروع . ولكننا نجد أن هذا التخطيط غائب في حالة القمر الصناعي العربي . وعندما طلبت مؤسسة « عربسات » من هيئاتها الأعضاء أن ترشح لها عددا من المهندسين للتدريب على تشغيل الشبكة اعتذر الكثيرون عن تلبية هذا الطلب لندرة المهندسين المؤهلين لهذا العمل . واحتياج الهيئات التي يعملون بها اليهم . وهكذا جددنا للسنة الثالثة على التوالي عقد الشركة الأجنبية التي تشرف على مراقبة التشغيل .

تطوير المعارف والعلوم

إن ادخال التقنية الحديثة لا يعتمد فقط على تدريب القوى البشرية المتخصصة في هذا المجال أو ذاك ، ولكنه يستلزم تطويرا عريضا للمعارف. والخبرات والمهارات في كل الميادين ، ابتداء من محو الأمية حتى أكاديميات البحوث ، ومن جهود تبسيط العلوم للمواطنين العاديين الى الحد من استنزاف الكفاءات العلمية ، وهجرتها الى الدول الصناعية .

ويستلزم من الجامعات أن تطور مناهجها بحيث تتضمن مناقشة التقنيات الجديدة ، وخاصة تلك التي تعني أكثر من غيرها بلدا بذاته أو منطقة معينة . فكم

كما لدينا بأكثر من الجامعات التي تدرس مناهج الفضاء . وكم كان لدينا من مراكز بحوث الفضاء في الوطن العربي ونحن نعد للشبكة الفضائية . وهل يمكن أن تنبت تقنية كهذه مثل النبات الشيطاني في بيئة لا تحترم العلم ولا العلماء الاحترام الكافي ؟

إن الاختيار التقني أمر يعبر عن الاختيار السياسي والاجتماعي للمجتمع ، الذي يشكل الأرضية الرئيسية لاتخاذ قرار دون غيره . فهل ستقوم وسيلة تقنية معينة بخدمة المحرومين من السكان أم يستفيد بها أهل الصفوة وحدهم ؟ وهل ستعزز بها الحوار والتواصل بين فئات الشعب المختلفة وبينها وبين السلطة ، أم نستخدمها لبث المعلومات والتوجيهات والارشادات في اتجاه واحد من الحاكم الى المحكوم ، ومن العاصمة الى الاقاليم ، وبذلك نعني بوضع محطة رئيسية واحدة للارسال الى جانب كرسي الحكم ، وكل ما عداها محطات للاستقبال والتلقي ؟ وهل نضع التقنية في يد القطاع الخاص لأننا نؤمن به كأداة للانتعاش الاقتصادي ، أم نخضعها لمشيئة الدولة ولرعاية الدولة ونؤكد بها سيادة الدولة ؟

إن قرار ادخال تقنية معينة لا يتعلق فقط بالمعدات ولكنه يتعلق بالرسالة التي تحملها هذه المعدات . ومن أكبر المآخذ على مشروع القمر العربي فيما يتعلق باستخداماته الاذاعية والتلفزيونية أنه عني بمعدات الشبكة أكثر من عنايته بالبرامج التي سوف تنقلها . وكان الكثيرون من الاذاعيين يأملون أن تقوم الأقطار العربية - التي أنفقت ما يزيد على اربعمائة مليون دولار على الشبكة الفضائية بأقمارها الصناعية ومحطاتها الأرضية - برصد واحد أو اثنين في المائة من هذا المبلغ على البرامج التلفزيونية التي يمكن تبادلها وبثها . ولكننا كعادتنا مفرمون بالشكل لا بالمحتوى ، وبالغلاف لا بالرسالة .

إن قرار ادخال التقنية يجب الا يقتصر فقط على ادخال المعدات ذاتها حتى ولو تم تطويعها بما يتناسب والبيئة والظروف المحلية . فالذي يحدث عادة هو اننا نضع في مرتبة ثانية تشغيل المعدات وصيانتها .

ويتساءل محمد عبده يماني : « ماذا يكون من أمرنا اذا ادخلنا (كمبيوتر) بالغ الحداثة ثم حجب الصانع عنا وسائل الصيانة وقطع الغيار ؟ » ويروي لنا المهندس الاردني اسامة عصفورة من خلال تجربته العلمية كيف أن « عدم التزام قسم من الشركات الصانعة بتوفير قطع الغيار اللازمة لتشغيل أجهزتها للمدة الزمنية المتفق عليها قبل الشراء يؤدي الى عدم الاستفادة منها بالكفاءة المطلوبة . هذا بالاضافة إلى أن العديد من الشركات الصانعة تحجب كثيرا من المعلومات الهندسية والرسومات لبعض الدوائر الالكترونية التي تساعد مهندسي الصيانة والتشغيل على القيام بأعمالهم . . لكن الشركات تقول بضرورة استبدال القطع غير الصالحة كلها مثل الألواح الالكترونية على سبيل المثال ، وارسالها للشركات الصانعة لاصلاحها . وهذا يعني بالاضافة الى إرتفاع كلفة التشغيل وطول فترة الاصلاح عدم تمكين مهندسي التشغيل والصيانة من معرفة تركيب الأجهزة التي لديهم بالتفصيل المطلوب » .

التنسيق بين القطاعات المعنية

إن الاختيار التقني في مجال الاتصال يجب أن يتم بتنسيق وثيق بين الأجهزة الاعلامية وهيئات الاتصالات . وقد رأينا كيف أن التخطيط لمشروع القمر الصناعي العربي يمكن أن يتخذ نموذجا للاسلوب الذي لابد من تحاشيه . فقد كان رجال الاتصال يعملون في واد ورجال الاتصالات يعملون في واد آخر . وتاريخ الاعداد للمشروع يعكس الشد والجذب بين الطرفين اللذين يبدوان كما لو كانا زوجين أنجبا طفلا ثم افترقا ، وفي حين أن أحدهما يدعي الأحقية برعاية الطفل فان الآخر قد أخذه في حوزته . وحتى قبل أن يبدأ التفكير في مشروع القمر العربي ، أو يبدأ التعامل مع الأقمار الصناعية على اطلاقها في المنطقة ، نجد أن خطط الاتصالات لم

تأخذ في اعتبارها مصالح أجهزة الاعلام في أحيان عديدة ، على النحو الذي لاحظناه مثلا بشأن الشبكات الأرضية التي تمد دون أن تحتوي على امكانات للنقل التلفزيوني .

الخطة الشاملة

مهما كان لهيئات الاتصالات والاعلام معا من علاقة تبدو أوثق اتصالا بالقرار الذي يتخذ بشأن الاختيار التقني في مجال الاتصال ، إلا أن هذا القرار لا يعنيهما وحدهما ، وإنما يعني قطاعات عديدة من المجتمع . أقربها الى الذهن في حالة « عربسات » قطاع التربية . والكل يعلم أن قرار اقامة الشبكة الفضائية تم بمعزل عن التربويين . والأدهى من ذلك أنه تم تبرير القرار الى حد كبير بدعوى أن المشروع سوف يساند العمليات التربوية وسيعين على محو الأمية ، وسيقوم بتدريب المعلمين وسيبث برامج تعليمية واحدة في وقت واحد في المدارس العربية . كما أن القطاعات الأخرى المعنية بالتنمية كانت غائبة عند اتخاذ القرار أثناء عمليات التخطيط . ولا يدري اليوم أحد ـ بعد اطلاق القمر بسنتين ـ ما اذا كان في نية الهيئات الطبية ـ على سبيل المثال ـ أو في نية الجامعات أو غيرها من المؤسسات في المجتمع ، استخدام القمر العربي لخدمة أنشطتها . كما أن أحدا لا يعلم على وجه التحديد ـ اذا ما سقنا مثلا آخر ـ على أي نحو تستفيد بنوك المعلومات بالقمر ، أو هل هي في حاجة اليه أساسا ؟

التعريف بالتقنية الجديدة

واذا كان قد فاتنا أن نشرك كافة الهيئات المعنية في التخطيط لادخال التقنية الجديدة ، فلا أقل من تعريفهم بها حتى يتبينوا اذا ما كان يمكنهم استخدامها . وهكذا فلابد من توفير المعلومات الكافية عن هذه التقنية والتوعية بشأنها . وهو واحد من المجالات التي لم تقم فيها الادارة السابقة لعربسات ، بأي جهد حتى من قبيل الترويج التجاري للاستخدامات المختلفة للقمر العربي .

وقبل أن يطلق القمر بعامين دعا عبدالعزيز الرواس وزير اعلام عمان الى اصدار الكتب والكتيبات والشرائح والأفلام ونشرة دورية للمعلومات تعرف بالمشروع . وقال ان عربسات ـ كأي مشروع استثماري ـ يحتاج الى ترويج والى مندوبي مبيعات .

وأضاف ان هنالك هوة كبيرة في المعلومات بين هؤلاء الذين يصممون للقمر ، ويخططون لاستخدامه ، وبين اولئك الذين يتوقع منهم أن يتخذوا القرارات العملية بشأن الاستخدامات المختلفة .

المساواة بين المصالح المختلفة

إن الاختيار التقني في مجال الاتصال أمر يتعلق بوسائل الاعلام جميعا ، وليس بواحدة منها على حدة . ويجنح كثيرون عند اتخاذ قرار بهذا الشأن ، الى أن يفكروا في أكثر هذه الوسائل بريقا وهي التلفزيون ، ويبحثون عن مصالحه دون غيرها أو قبل غيرها ، باعتبار أن العناية بشئون الوسائل الأخرى أمر ثانوي ، أو أمر يسير يمكن إيجاد حلول له دون عناء . وقد رأينا كيف ينطبق ذلك على القمر الصناعي العربي كما انطبق على غيره من نظم الاتصالات في الماضي . رأينا كيف أن مصالح الاذاعة الصوتية على سبيل المثال اختفت في الظل ، وكيف أنه لم توضع خطط لالتقاطها بواسطة القمر . كما أنه في الوقت الذي تزداد فيه حركة المواطنين العرب بين الأقطار العربية ، ويزداد اهتمامهم بشئون بعضهم البعض ، وتزداد أعداد قراء الصحف بينهم ، وتزدهر الصحافة في بعض البلدان ، وترتفع في الوقت ذاته أجور نقلها بوسائل النقل التقليدية مثل الطائرات ، لم يتم اجراء دراسة حول امكانات الاصدار الآني لطبعات من الصحف العربية في بلدان عربية أخرى . ويحمل العنوان الى التعامل مع التقنية يجب أن يتم في ضوء سياسة اتصال شاملة ، يشارك في وضعها الاعلاميون جميعا . □



هل يمكن أن يلد الرجال ؟

بقلم : الدكتور أحمد محمد الكباريتي*

ليس من المستبعد أن تتم الأبحاث قريبا لتقلب المعايير المألوفة لدينا بشأن الحمل والولادة ، وقد يكون من الممكن في القريب العاجل أن يقدم العلم لنا . . الرجل الحامل ، ولنذكر انه منذ عشر سنوات فقط كان من المستحيل التفكير في مواضيع مثل أطفال الأنابيب والأجنة المثلجة والقلوب البلاستيكية وغيرها ، مما أصبح الآن مألوفا لنا واعتدنا على حدوثه !

تقدم الجراح وفتح في بطن المريض الراقد أمامه في غرفة العمليات فتحة طولها ٥ سم ، ودس فيها كيسا يحوى رحما به بويضة ملقحة ، وأنهى عمله بطريقة تجميلية ، حتى لا يترك ندبة كبيرة بعد التئام الجرح ، وانتظر فريق الأطباء . . هل يلفظ الجسم هذا الرحم الغريب المزروع فيه ؟! ولما لم يحدث ذلك ، تنفس الأطباء الصعداء ، وظهرت عليهم علامات الرضا والنجاح ، فقد بدأ الجسم الغريب في النمو ، وكون مشيمة ، وبدأ في امتصاص غذائه من الأمعاء ، ولا عجب فقد كانت تلك تجربة تحدث لأول مرة ، فان المريض الراقد على منضدة العمليات كان رجلا زرع في جسمه لتوه رحم انثى به بويضة ملقحة ، وسيتم الرجل الحمل ، ويلد جنينا صحيحا معافي ، وسيتمكن العلماء كذلك من حمل البشرى له ان كان المولود ولدا أو أنثى قبل الولادة ، ان ذلك ليس من تخيلات العلماء ، بل من المستطاع حدوثه ، ولا توجد عقبات كبيرة في سبيل تحقيقه ، ولكن هل

* استاذ علم الوراثة ـ كلية العلوم ـ جامعة الكويت



هناك ما يدعو لذلك ؟ هل هناك ما يدعو الرجل أن يحمل ويلد تماما كالأنثى ؟

ليس كل الحالات

لقد أصبح هذا الموضوع الشغل الشاغل لبعض العلماء ، فيما يسمونه بالبلدان الصناعية المتقدمة ، ولا حديث للمجلات ـ سواء كانت علمية او شبه علمية ـ الا مناقشة هذا الموضوع ، كأن العلم قد انتهى من حل كل مشاكله ، ولم يبق الا أن يلد الرجل . قد يكون ذلك ترفا علميا ، ولكن تعالوا معنا لنرى وجهات النظر التى تناولها العلماء بالبحث والمناقشة بالنسبة لهذا الموضوع ، قد يكون من المطلوب أن يلد الرجل في الحالات الآتية :

١ ـ الحالات الشاذة من الجنس (الخنثى) التى يتكون فيها أعضاء تناسلية مذكرة ومؤنثة ، والتى أصبح الآن ـ مع تقدم الطب ـ أمر معرفة سببها ممكنا ، وكذلك اجراء جراحات تصحيحية لبعض منها ، وتحويلها الى ذكر ظاهريا ، بعداستئصال ما يكون بها من أجهزة مؤنثة .

٢ ـ في حالات اللواطيين، فقد يكون من المرغوب في هذا النوع من الشذوذ أن تلبى رغبات دفينة لديهم ، في أن يكونوا إناثا بالفعل ، ولعل الحمل والولادة من الأمور التى تلبي رغباتهم النفسية الدفينة ، وفي هذه الحالة لا ينقص مثل هذا الزوج شيئا الا بويضة ملقحة ، حتى يتحقق له تكوين أسرة وجو عائلي كامل !!

٣ ـ أليس ذلك رغبة ما يسمى بالجنس الثالث ؟ فهم يتعاطون الهرمونات المؤنثة ، ويصرفون الكثير من الجهد والمال حتى يبدوا كالنساء ، فاذا حملوا وولدوا حقق لهم ذلك كبرى الأمنيات التى تصبو نفوسهم اليها .

٤ ـ ومن أجل الانصاف فان العلماء الآن ليسوا متحمسين لاجراء مثل هذه التجارب على الرجال ، على الأقل في الوقت الحاضر ، فهم في شغل عن ذلك بما هو أهم ، اذ يجد العلماء انه يمكن مساعدة الاناث اللاتي حكم الزمان عليهن باستئصال ارحامهن ، وقد تكون عملية زرع رحم جديد به بويضة ملقحة ، من الأماني الكبيرة التى يمكن تحقيقها لهن .

تجارب مستمرة

ولنرجع مرة ثانية الى كيفية اجراء تجارب الحمل والولادة للرجال ! اكتسب العلماء خبرات كبيرة من ظاهرة الحمل خارج الرحم التى تحدث في بعض الاناث ، حيث تستقر البويضة الملقحة في النسيج الدهني الغنى بالشعيرات الدموية ، وتبدأ البويضة الملقحة في الانقسام مكونة المشيمة التى لها القدرة على امتصاص الغذاء من جسم الأم ، لتنمو وتكون جنينا ، ولدينا الآن ٢٤ حالة معروفة لأمهات تم استئصال الرحم لديهن ، ومع ذلك فقد تمكن من الحمل ، وولادة أطفال أصحاء ، بزرع بويضة ملقحة في بطونهن ، وتثبت هذه الحالات أنه ليس هناك عائق في أن يحدث مثل هذا في الرجال .

أجرى أحد العلماء تجربة على نوع من القردة ، فزرع في ذكر من هذه القردة بويضة ملقحة في تجويف البطن ، وحدث فعلا الحمل ، غير أن هذا العالم انهى الحمل بعد أربعة أشهر ، بعد أن استنفذ البحث أغراضه ، فلم يكن الغرض من هذه التجربة أن يثبت هل يمكن أن يحمل الرجال ، بل كان الغرض اثبات مدى اعتماد الجنين على نفسه في حالة نموه في منطقة خارج الرحم .

ان اجراء مثل هذه العمليات ـ بالطبع ـ ليس بهذه السهولة التى ذكرناها في أول المقال ، فمن المعروف أن كثيراً من حالات الحمل خارج الرحم قد تنتهى وتفشل في الأشهر الأولى من القيام بها ، بسبب النزيف الدموي ، وقد يلزم في حالة الرجل ، أن يبقى في المستشفى راقدا في الفراش ، وتحت الرعاية الطبية طوال شهور الحمل التسعة ، كي يستقبل وليده المنتظر ! وليس ذلك فقط ، بل ان هذه العملية محاطة بكثير من المخاطر ، أقلها أن الرجل بعد هذا الحمل سيفقد المقدرة على ممارسة الجنس السوى ، اذ يفقد العضو التناسلي لديه القدرة على الانتصاب .

العلماء منقسمون على أنفسهم في موضوع حمل الرجل ، فالبعض يرى أن حمل الرجل عمل معيب لذلك لن يقوموا بإجراء التجارب عليه ، والبعض الآخر ـ كالعادة ـ يتحمس لاجراء مثل هذه التجارب ، تماما شأن أي اكتشاف علمي جديد ، والطريف أن فريق العلماء المتحمسين لاجراء مثل هذه التجارب يتنبأ أن تقل نسبة الجرائم في العالم إن حمل الرجال ، حيث أن ذلك سيغير من الأمور المألوفة ، وسيصبح الرجل هادئا غير ميال للعنف .

هل يقوى الرجل على ذلك ؟

ويحتدم النقاش بين العلماء ، هل يلد الرجل أم لا ؟ ويتدخل المناصرون للمرأة ويقولون لا ؟! فقد يتخلص الرجل من عقده النفسية ، فعندما يحمل ويلد سيتخلص من عقدة النقص انه أقل شأنا من النساء !! .

ويرى البعض أن الرجل يحصل على كل ما يطلبه ويبغيه ، فلم يبق أمامه شيء سوى أن يحمل ويلد ، وبالتأكيد فان الرجل سيحصل على هذا المطلب كذلك مادام قد وضعه ضمن اهتماماته ، تماما كما حدث في العصور السابقة .

هل يعتبر الحمل والولادة من الأمنيات التى يجب الرجل أن يحصل عليها ؟ انني لا أعتقد ذلك ، فالحمل والولادة عمليتان مجهدتان مصحوبتان بالآلام والتوجعات التى لم يخلق لها الرجل ، فآلام الحيض الشهرية التى تأتي للمرأة ، وتمر دون أن يلاحظها أحد في معظم الأحيان ، فإذا افترضنا أنها جاءت للرجل ، فانه لابد أن يرقد بسببها طريح الفراش ، ثلاثة ايام أو أربعة شهريا ، فما بالك بآلام الوضع ؟ إنني لا أظن أن الرجل بتكوين جسمه الضعيف بيولوجياً .. سيتحمل كل هذه الآلام . ربما يتبادر الى الذهن أن الرجل اذا حمل فلن يلد ولادة طبيعية ، فليس هناك فتحة مهبل ، ولا عنق رحم ، بل سيجرى له عملية قيصرية ، فاذا سلمنا بذلك ، فهل يقوى جسم الرجل ويستوعب كل هذه التغييرات الفسيولوجية التى تصاحب عملية الحمل والولادة ؟ وهل ستقوى عضلات بطنه على حمل هذا العبء الثقيل في شهور الحمل الأخيرة ؟ هل هناك في فراغ البطن وعظام الحوض متسع لهذا الكم الهائل في الوزن والحجم للجنين الكامل ؟

أنني أتصور أن الرجل لا يقوى على حمل جسمه في الشهور الأخيرة ، والجنين في بطنه يبرز أمامه عشرات السنتيمترات ، ولنترك الحمل للنساء اللواتي خلقن لذلك ، وليفكر الرجال في شيء آخر أفضل لهم وأجدى من هذا .

وصدق الله العظيم حين يقول : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » □





الشعر بين التجربة والإلهام

بقلم : الدكتور عبدالعزيز المقالح

هل الشاعر إنسان قادر على التذكر والتركيز ، فيتولد عن ذلك التذكر وعن ذلك التركيز عالم من الظل والضوء ، ترى فيه العين العادية من الصور والايحاءات ما لاحصر له ولا عد ؟

أم أن الشاعر إنسان ملهم ، يأتيه فيض تلقائي من الخيال ، وتنثال عليه الصور والمعاني من عالم مجهول ؟ وهل يستطيع المبدع أن يبدع من الفراغ ، وأن يوجد ما ليس موجودا ؟وكيف يتلقى المبدع ذلك الابداع ، ومن أين ؟ وهل الشعر جوهر مكثف لمجموعة قديمة من الخبرات ، استوعبها العقل ، واختار منها ما يشاء في لحظة من اللحظات ، وأضاف إليها من نشاطه الابداعي ما جعلها عملا فنيا مكتملا ؟ وما دور الحلم والتخيل في صورة الواقع ، هل يسلبانه واقعيته ، أم يقويان من هذه الواقعية ، ويزيدانها وضوحا وجمالا ؟

لحظة الاشراق

تواردت هذه الأسئلة إلى ذهني بعد حوار عميق وطويل ، دار في ملتقى أدبي ، ضم عددا من الأدباء اليمنيين ، في حضور إخوة لنا وزملاء من أدباء الكويت الشقيق وشعرائها ، وكان الحوار يدور حول لحظة الابداع أو لحظة الاشراق في الفن ، وعن دور التجربة والالهام في عملية الابداع الأدبي والشعري على الأخص . وقد تضاربت الآراء وتأرجحت حول اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، وبالرغم من أن الاتفاق كان تاما تقريبا حول حقيقة أن العمل الأدبي لايعبر عن الواقع المحسوس فقط ، وإنما يعبر كذلك عن واقع آخر روحي نفسي ، وأن العمل الأدبي كما يكون تعبيرا عن الواقع فإنه يكون كذلك تعبيرا عن الحلم . أقول بالرغم من الاتفاق التام

حول هذه الحقيقة فإن لحظة الاشراق واللقاء بين الشاعر وقصيدته ، وبين الرسام ولوحته ، وبين الموسيقي وموسيقاه ستظل موضع بحث لا ينتهي ، وستبقى تلك اللحظة سرا يستعصي على الكثيرين.

ولأن المبدعين يختلفون في حجم مواهبهم ، ومن ثم في حجم ثقافتهم ، كما يختلفون في نوعية الاستقبال ، ثم في نوعية الارسال واختلافهم كذلك في درجة الانفعال والاستجابة ، ولأن الأمر كذلك فإن من الصعب الحديث عن تجربة محددة ، أو عن مجموعة من التجارب ، باعتبارها قاعدة عامة ، يمكن تطبيقها على بقية المبدعين ، وقد أثبتت الأحاديث العابرة لبعض الشعراء الذين ضمهم الملتقى القصير أن كل شاعر منهم يتفرد بأسلوبه ، وبطريقة كتابته للقصيدة أو تقليصها ، وقد كان الصديق خالد سعود الزيد وهو من كبار الشعراء في الكويت ، أسرعنا ـ جميعا ـ إلى تقديم نماذج من استجابات شديدة التميز والخصوصية في كتابة الشعر ، وهي استجابات متنوعة ، وغنية الأساليب ، لم يتسع الوقت إلا لعرض ثلاثة نماذج منها :

أولا : الاستجابة البطيئة .

ثانيا : الاستجابة الواقعية التي تتوقف على تجربة ما .

ثالثا : الاستجابة الفورية ، وليدة الإلهام المسبوق برغبة ملحة .

وقد بدأت الاستجابة البطيئة مع أول تجربة له في كتابة الشعر ، وتعود معه إلى سنوات الصبا ، عندما رأى ذات ليلة الامام علياً كرم الله وجهه يزوره في المنام ، فاستيقظ وهو يريد أن يقول شيئا ، يعبر به عن فرحته بتلك الزيارة الكريمة ، وقد ظلت صورة ذلك الزائر الجليل تطوف بمخيلته الصغيرة ، يستنير منها حتى بلغ الثامنة عشرة ، ويومئذ كتب أبياتا ثلاثة ، توقف بعدها التدفق الشعري ، وعادت الاشراقة بعد أعوام ليكتب بيتين آخرين ، ثم توقفت إلى ما بعد زيارته للنجف الأشرف،حيث كتب هناك عدداً من الأبيات،ضمها الى سابقاتها،ثم توقفت الاشراقات الشعرية بانتظار لحظات أخرى ، يكون الاستعداد فيها أحسن ، والدفقة الشعرية مواتية أكثر ، وبذلك فإن القصيدة لن تكتمل في وقت محدد ، بل سوف يستمر تكونها طول العمر ، وهي تجربة فريدة ، ومثيرة ، وتكاد تكون ـ فيما أعلم ـ الأولى من نوعها .

تجربة الحبب

انتقل الشاعر خالد الزيد الى الحديث عن استجابة أخرى ، ذات أسلوب مختلف ، فقد رأى عندما كان في اسطنبول ـ كما يذكر ـ رجلا في مقهى ، يشرب (بيرة) ، وقد شد انتباهه الحبب الذي يتصاعد إلى فم الكأس بعد كل مرة يقوم الشارب فيها بإفراغ جزء من محتوى الزجاجة إلى الكأس ، وكان الحبب يعلو ويتصاعد إلى فم الكأس ، ثم تبدأ فقاعاته في الهبوط والتلاشي ، كأنها تسكن في قرارة الكأس ميتة خامدة غير منظورة ، راعه هذا المنظر البسيط ، وأراد أن يكتب قصيدة ، يصور بها هذا الصراع السريع الزوال ، لكن خالد الزيد بسبب نزعته الصوفية وعمق تدينه لا يشرب الخمرة ولا يعاقر ما يتصل بها من مشروبات (روحية) ، ومع ذلك فقد ذهب تحت تأثير المنظر واشترى صندوقا كاملا من زجاجات البيرة ، وحمله معه إلى حيث يسكن ، وبدأ يعيد تجربة رجل المقهى ، يسكب من الزجاجة الى الكأس ، ثم ينظر إلى الحبب وهو يعلو ثم ينخفض ، ثم يهبط إلى قاع الكأس ، وبعد أن يتلاشى المنظر يريق محتواه على الأرض ، وهكذا استغرقته التجربة ، وراعه كيف يبدأ الحبب كبيرا ، ثم يتناقص ، ويخبو نهائيا ، مخلفا بعض النقط الصغيرة قبل أن تندمج نهائيا في السائل الذي يفرغه فيما بعد في جوف التراب ، ولم يتوقف الشاعر ـ كما حكى ـ إلا بعد أن أهرق ما في ذلك الصندوق من زجاجات ، وكان في كل ذلك العمل الطفولي يحاول احتواء المنظر ، وامتلاك تجربة تؤهله لكتابة قصيدة .

الاستجابة هنا استجابة واقعية صرفة ، قد خرج منها الشاعر بقصيدة مبتكرة ، جديرة بالعناء ، وهي على صغر حجمها قطعة فنية ، تعبر عن معاناة الشاعر أثناء عملية الخلق والبناء الفني ، لم يفقدها الوصف الخارجي ومحاولة النقل عن الواقع المباشر وهج الابداع أو جمال التخيل ، كما لم يمنع المحتوى عن أن يكون للقصيدة بعد أو مدلول آخر ، يكشف عن علاقة جديدة لفهم الأشياء . وهذه هي القصيدة :

حَبَب قَدْ ساقه حَبَبُ
مابه أينٌ و لا تَعَبُ
واثبٌ والكاسُ يحضنهُ
وبه من قاعها لَهَبُ
يتعالى وهو منحدرٌ
مادرى أن الذُّرا عَطَبُ
فكأنّ الأرضَ ثائرةٌ
فَهْيَ مِنْ أعماقها تَثِبُ
يتنزَّى مثل ذي أَلَمٍ
جرَّحت أعماقَهُ النُّوَبُ
ويُوالي دفعَ أولِه
آخرٌ في القاع ملتهبُ
هو روحُ الخمرِ إنْ سَكَبَتْ
فله في صُنعها عَجَبُ
ما أرى الصهباءَ مُغْريَتي
لويُجافي كأسَها الحَبَبُ

القصيدة الصنعائية

ومن تجربة الواقع ومعطياته الحسية إلى معطيات الالهام ، في نموذج آخر لخالد الزيد ، قد قدم له بحديث طريف ، يسحر الألباب ، ولا أقول يعبث بها ، وهو يكشف عن الطريق والمكابدة إلى قصيدة صنعاء التي حملت فيها بعد عنوانا جميلا هو (تحية لوالدة المدن العربية صنعاء) ، فكيف وصل خالد سعود الزيد إلى هذه القصيدة ؟ وأين التقى بها جاهزة ومغسولة بنور إشعاع العشق ، ومتسربلة بصدق انفعالات الوجدان ؟ كشف الشاعر خلال حديثه التلقائي عن مستوى آخر من مستويات الكتابة الشعرية ، وكيف تتكون الاشراقة الأدبية فجأة ، وتبرق في الذهن دون مقدمات ، وذلك عندما كان في طريقه مع بقية الأدباء من الكويت الشقيق إلى اليمن بشطريه ، وقد حاول قبل السفر ان يستدعي ما استطاع اليه من الشعر ، وأغمض عينيه أكثر من مرة بانتظار صوت الحلم ، إلا أن التعبير استعصى ، وفي عدن ـ وكانت المحطة الأولى للقاء ـ أعاد المحاولة دون جدوى ، لكنه قبل أن يغادر عدن بساعات ذهب لزيارة مقام (العيدروس) ، وهو واحد من مشاهير الصوفية ، وضريحه من أشهر الأضرحة التي تزار في الجزيرة العربية بعد ضريح الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد تناقل بحارة الخليج أخبار العيدروس وكراماته ، وكانت نذورهم السخية تنهال عليه أثناء العواصف وفي الساعات التي يضطرب فيها الخليج ، أو تضطرب الأمواج في بحر العرب .

ذهب الشاعر إلى مقام (العيدروس) ، وألقى برأسه الخاوية على كتفه العريض المورق ، وطلب اليه قصيدة عن صنعاء ، وماكاد يبارح المقام العيدروسي إلا والقصيدة تورق وتزهر في نفسه ، ثم تكتمل وتظهر كأجمل ما تكون الأشعار أسلوبا ومعنى ، وقد أملاها كاملة على زميله في الحياة ورفيقه في الرحلة الدكتور سليمان الشطي الذي يؤكد أن الشاعر قد أملاها عليه دفعة واحدة ، وكأنه كان يقرؤها من الذاكرة ، ولا يكتبها ابتداء ، وهذه هي القصيدة :

أفديكِ يا كأسَ النديمِ
وصورةَ الحسنِ المُخَبَّا
رُحماكِ لَسْتُ أنا الملومَ
إذا خَبَبْتُ إليكِ خَبَّا

هــذا أديمــي مــن أديمــكِ
شُــقَّ ، ثــم أتى ولــبَّــى
ومشى قــدمِي فــوق أرضِــكِ
حــامــلاً عَــبْــداً وربَّــا
رضــوانُ يَــشــهــدُ أنَّ لي
قِــدْما مضى ، ومكــانَ قُــربى
لــو فُــتِّــحَــتْ أبــوابُــهــا
لــدخــلْتُهــا جَــســداً وقلْبَــا
وضــمــمــتُــهــا حتى تــكــونَ
هــي المُــلَبِّــي والمُــلَبَّــى
صنعــاءُ يــا كــأسَ النــديمِ
تَــدُبُّ في الأعــضــاءِ دَبَّــا
أوّاهُ كــم نَهَلَتْ ضــلوعــي
مــنــكِ ، فــاكــهــةً وأبَّــا
رحمــاكِ لــســتُ أنــا المــلومَ
إذا مــشيــتُ إليــكِ صَــبَّــا
نــشــوانَ يحــمــلني الهــوى
قَــلبــاً ويــدْني منــك قَــلْبــا
لا ســرَّ مــا بيــني وبيــنــكِ
فــارفــعي لــلحبِ نَــخْبَــا
طُــهــرانِ قــد مُــزجــا فَــمَا
تَــدري مــتى شــربــاً وَعبَّــا
لم أدرِ مــنــذ لــقــائــنــا
من ذا هــوَى ، ومن اسْتَتَبَّــا

شرارة الالهام

أمامنا الآن ثلاثة أنماط ، أو ثلاثة أساليب لحالة الابـداع ، وهي تخص شاعـرا واحـدا ، ونخص بالتحديد النماذج الثلاثة من أعماله الشعرية المختلفة التي تؤكد أن لكل نموذج حالـة استجابـة خاصـة ،

وبعد أن أعدت النظر في هذه الاستجابات وجدت أنها تصــور أهم حــالات الابــداع ، وأن معـظم الحالات قد لا تخرج كثيرا عن هذه الاستجابات ، وهي حـالة الابـداع عبر مـراحل زمنيـة طـويلة ، مصحـوبـة بإعـادة النـظر والحـذف والاستبعـاد والاضـافة . . الـخ ، وحالـة الابـداع من خـلال التجارب الحياتيـة الواقعيـة التي تشبه إلى حـد كبير حـالات التجـريـب العـلمي ، وهـي تسـعى إلى استخـلاص صور وتعـابير شعـريـة ، تقتـرب من الواقع ، أو تعيد تكوينه بطريقة أدبية ، ثم أخيـرا حالة الابداع الفوري ، وهي في حالة تجربة الصديق الشاعر خالد سعود الزيد ـ مع تقديري لما ارتبط بها من تفسيرات روحية ـ لم تأت فجأة ، ولم تهبط من الفراغ ، لكنها جاءت عن استعداد ذهني كـامل ، وعن احتشاد مسبق ، ورغبة جارفة ، ساعدت على تلك الاستجابة الفورية ، وليس في تفسير أي رفض لمفهـوم الالهام . وفي رأيي أنـه ليس ثمة تنـافر بـين التجربة الواقعية والالهام ، وأن الالهام يلعب دورا كبيرا في المنجزات المادية ، وتكاد معظم الفـروض العلمية تبدأ بالشعر ، أو بشرارة تقدح في الذهن ، كأنها إضاءة قادمة من سماء الالهام ، تعبر الذهن ، وتستحوذ على المستقبل بعد استحواذها على الماضي ، ولهذا فكل عمـل إبداعي ـ في الشعـر خاصـة ـ هو مزيج من الحقيقة والحلم ، ومن الواقـع والخيال .

إذا كان الحديث قد انزلق بنا تلقائيا دون أن ندري فــانـه قــد يـدفعنــا الى تلمس بعض الاســاليب والطرائق عن الكتابة الشعرية عند بعض الشعـراء الأوروبيين ، وسـوف نتوقف باديء ذي بدء عند شاعر ، يتخذه الواقعيون دليلا لهم ، وهو يفخر ـ في أحايين كثيرة ـ أن شعره واقعي حتى العـظم ، هذا الشاعر هو (ستيفن سبندر) الذي حدثنا عن تجربته في نظم الشعر ، وكأنه عالم كيميائي في مختبر ، سجل ملاحظاته الدقيقة عن المعلومات التي توصل اليها ، وهو يكاد ينظر إلى الابداع باعتباره نشاطا إنسانيا ، يتعلق بـالمعـانـاة ، وبـالجهـد المبـذول في التـركيـز والتذكر ، وبالاحساس العميق بالأشياء ، وبالرغم من كل ذلك فهو لا ينكر دور الايمان ، ثم دور الالهام

في الشعر ، وهو يرى أن إيمان الشاعر يتجلى أولا في تعلقه الصوفي برسالته ، وثانيا في إيمانه بحقيقته ، إضافة إلى إخلاصه لمهمته . والحقيقة أنه لا يمكن أن يكون ثمة إيمان - أبدا - أعظم من ثقة المرء بأنه يبذل أقصى جهده لكي يحقق غاية ما يتمناه ، وهذا هو - بالضبط - ما كان يقف وراء إلهام كافة الشعراء العظام ، وفي نفس الوقت فإن هذا الايمان يقترن بتواضع شديد ، لأن الشاعر يعلم أن القرار - أخيرا - ليس بيده ، بل كل ما يستطيع فعله هو أن يعرى نفسه ، وأن يقدم كل ما تستطيعه امكاناته وقدراته ، مدعومة بكل ما لديه من مهارة استطاع اكتسابها ، ومن ثم يقف بانتظار حكم الزمان وقراره .

الايمان بالشعر

كان (سبندر) قبل أن يتحدث عن الايمان في دراسته التي خصصها للحديث عن تجربته في كتابة الشعر أو في (نظم الشعر) كما ظهر بعنوان الترجمة ، أقول كان ذلك الشاعر قد أسبق حديثه عن الايمان بحديث مطول عن الالهام سوف أعود إليه في صفحات تالية . وقد قدمت الحديث عن الايمان على حديثه عن الالهام ربما لأن الايمان - في تصور الشاعر نفسه - يسبق الالهام ، فقد دفعه الايمان بالشعر إلى الشعر ، وأكدت سطور كثيرة من تجربته أن الايمان بأهمية الشعر قد سبق الكتابة الشعرية ، وسبق مرحلة الالهام ، ومن ذلك قوله : (وبوسعي من خلال تجربتي أن أوضح طبيعة هذا الايمان كل التوضيح ، فعندما كنت في التاسعة ذهبت إلى منطقة البحيرات ، حيث كان يقرأ لي والدي بعض قصائد (وورد زورث) ، حينذاك بدأ إحساسي بقدسية مهمة الشعر ، وبت أشعر دائما أن مهنة الشعر هي مهنة مقدسة تماما ، كأعمال القديسين) .

وفي مجال حديثه عن الايمان والشعر يسعى الى توضيح أثره في الشعراء ، وكأنه بذلك يدافع عنهم ، أو يدفع التهم التي لحقت بهم وما تزال ، فهم أنقياء وأسوياء بفضل الشعر الذي لابد أن يغسل نفوسهم . ومن خلال لحظات الابداع التي تتخلل حياتهم ، وتضيء حوالك أيامهم ، وعلى الرغم من صحة المقولة بأن الشعراء مغرورون وطموحون ، الا أن غرورهم وطموحهم هو من أنقى نوع يمكن بلوغه في هذا العالم ، لأن القديس ينكر الطموح ، وانهم يطمحون لأن يقبلهم الآخرون كما هم ، وطبقا لما تبينه في شعرهم تجاربهم الذاتية الصميمة ، ومدركاتهم الحسية الأدق ، ومشاعرهم الأعمق ، واحساسهم الأشد بالحقيقة ، فهم لايستطيعون المخادعة حول هذه الأشياء ، لأن ماهيتهم الحقيقية لاتتجلى في العواطف النبيلة التي يعبر عنها شعرهم وحسب ، بل أيضا في الحساسية والتحكم في اللغة ، والقافية والموسيقا ، والأشياء التي لايمكن الحصول عليها . وبما أنه لايمكن أن يكون ثمة خداع ، فإن الشاعر شأنه شأن القديس ، يقف في كل عمل من أعماله أمام منصة يوم الحساب الأبدي ، وصحيح أن النجاح قد يدغدغ غروره ، لكن حتى النجاح قد يساهم في ادراكه ، وبأن الشعبية لاتؤمن له (تقديرا) مناسبا في كل العصور ، ذلك التقدير الذي يسعى من أجله ، اذ ماذا يعني أن ينال المديح والثناء من عصره الغارق في الجرائم والغباء اذا كانت العصور المقبلة الأفضل من عصره ستنظر اليه باعتباره التعبير النموذجي عن جرائم هذا العصر وغباوته ؟ . □

* لولا حب الوطن لخرب بلد السوء . (عمر بن الخطاب)



تعقيبات

ملاحظات على مقال

دورة الحيـاة والموت

نشرت العربي في العدد الممتاز الذي صدر في ربيع الثاني١٤٠٧ ، مقالة تحت عنوان : « دورة الحياة والموت النباتية هل تؤدى إلى فك أسرار الشيخوخة الانسانية ؟ » بقلم بدور عبدالكريم .

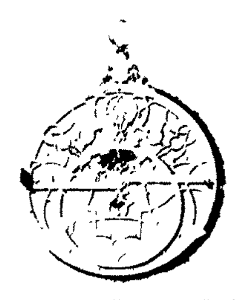
ولي عدة ملاحظات على المقالة المذكورة ، فقد ورد في هذه المقالة : « المعروف أن أوراق النباتات التي تنتج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة ـ المستعصية على الرؤية إلا عبر المجهر الالكتروني ثلاثي الأبعاد ـ إنما تؤمن في الوقت ذاته المواد اللازمة والجوهرية من أجل النمو النباتي بالذات » . وسأركز الكلام على الأخطاء العلميـة التي وردت فيها ، فـلا أعتقد أن أي عـالم معاصر يوافق على أن أوراق النباتات تنتـج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة . . ! وقد تبين منذ أيام (باستور) أن الكائنات الـدقيقة لا تنتـج من المواد المستهلكة ، وإنما تنتج هذه الكائنات من تكاثر نوعها ذاته ، والتكاثر من صفات الحياة وليس من صفات الأوراق الميتة . ثم ما هي هـذه الكائنـات الدقيقـة المستعصية على الرؤية إلا عبـر المجهر الالكتـروني ثلاثي الأبعاد ؟ يكفي المجهر الضوئي لفحص الغالبية العـظمى من وحيـدات الخليـة ، ويكفي المجهر الالكتروني الثنائي الأبعاد لفحص الكائنات الدقيقة حتى الفيروسات . أمـا المجهر الالكتـروني الثلاثي الأبعاد فيستخدم عـادة لفحص السطوح والأغشيـة الخارجية للكائنات الحية والمواد المختلفة .

ثم جـاءت المقـالـة بتعـريف علمي جـديـد : « النيماتودات أي الديدان المجهرية الأحادية الخلية » في حين أن النيماتـودات هي الديـدان الأسطوانيـة الخيطية ، وهي حيوانات معقـدة التركـيب من عديدات الخلايا وليست « أحادية الخلية » .

وجـاء في المقالـة مبالغـات لا تستند إلى معـرفـة بحقائق الأمور : « البـروفسور السـويدي لينـارت نيلسون بأساليبه الخـارقة في التصـوير عبـر المجهر الالكتـروني . . يمكنـه من خـلالهـا تكبيـر الأحيـاء المتناهية الدقة حتى ١٦٠٠ مرة بل حتى ٢٥٠٠ مرة ، وأحيـانـاً حتى ٥٣٠٠ مــرة » . ولنعلم أن المجهـر الضوئي العادي يمكن أن يكبر الأشياء ١٠٠٠ مرة ، وأن المجهر الالكتروني الذي صمم في جامعة تورنتو في كنـدا سنـة ١٩٣٨ يمكن أن يـكبـر الأشيـاء ١٠٠,٠٠٠ مرة ، وأن المجاهر الالكترونية الحديثة يمكن أن تكبر الأشياء ٤٥٠,٠٠٠ مرة .

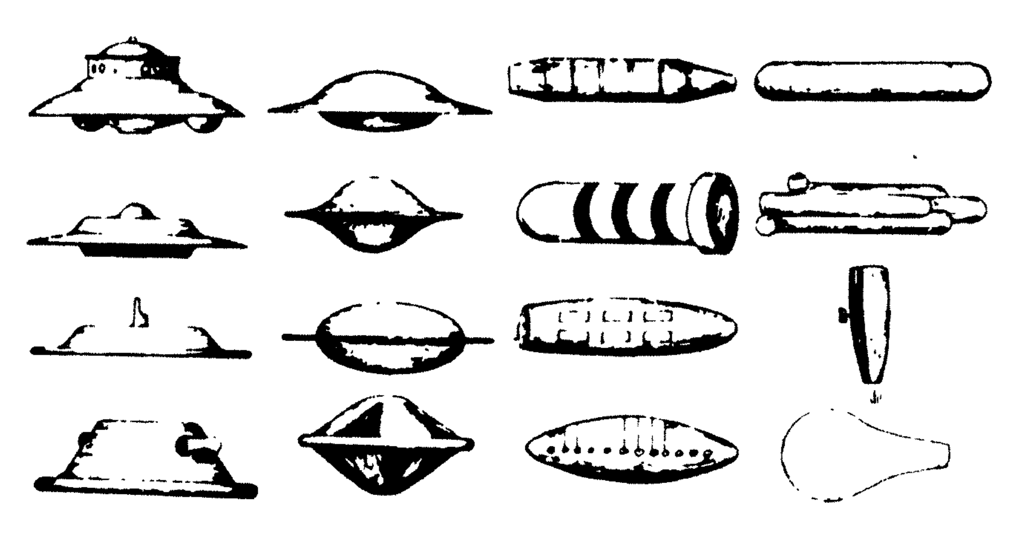
وفي معـرض الحـديث عن البكتـريـات ذكـرت المقالة : « . . . ذلك أن كائنات أكبر منها تنتسب إلى فئة أحاديات الخلايا ـ وهي أيضاً فئـات لا ترى إلا بالمجاهر الالكترونية . . . » ونكرر القول هنا بـأن أغلب أنواع البكتريا ووحيدات الخلية يمكن رؤيتها بـالمجهر الضـوئي العـادي . ثـم تقـول المقـالـة : « . . . البكتريا التي تحتوى إفرازاتها على كائنات أدق منها حجماً ، أي أحاديات الخلية . . » والبكتريات هي بذاتها من الكائنات الوحيدة الخليـة ولا تحتوى إفرازاتها على « كائنات أدق منها حجماً » . □

د . عامر شيخوني ـ الدوحة



الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي



رسم يبّين بعض الاطباق الطائره كما ظهرت على صفحات مجلة نيوسبانتست

الأطباق الطائرة ثانية

يذكر المرء من الظواهر الخارقة مثلث برمودا ، والوحش الاسطوري في بحيرة نيس، ويذكر أيضا رجل الثلج الذي يظهر ويختفي في مناطق أواسط آسيا ، في نيبال بوجه خاص ، وتبقى ظاهرة الأطباق الطائرة أعجب تلك الظواهر وأبعثها على الدهشة وحب الاستطلاع . وما ذلك الا للصلة التي يتحسسها المرء بين تلك الاطباق أو « الأشياء الطائرة المجهولة الهوية » وبين عوالم وحضارات أخرى قائمة في الفضاء الخارجي ، وتتفوق على حضارتنا تفوقا مطلقا .

لاعجب اذن أن استعصى تفسير هذه الظاهرة على علمائنا فذهب بعضهم الى أنها من نسيج الوهم والخيال ، وأكد بعضهم الآخر أنها حقيقة واقعة ولكن تفسيرها ضرب من المستحيل . .

من هنا كان حرص العلماء جميعا على تتبع أخبار الصحون الطائرة حيثما ظهرت وعلى التركيز على دراسة كافة التفاصيل التي تتمخض عنها زياراتها لأرضنا ، ومن هنا كان الاهتمام البالغ الذي أولوه لظهور أطباق طائرة في سماء ألاسكا في أواخر السنة الماضية (١٩٨٦) وفي ١٧ نوفمبر منها على وجه التحديد .

يقول قائد الطائرة وهو ياباني يبلغ من العمر ٤٧ سنة : « كان طبقا ضخما . . أضخم من طائرة الجمبو بمرتين . . وكان على شكل الجوزة . . وكان ثمة شيئان

آخران على جانبي الطبق . . وكأنهما صحون حراسة . . »

على أن أهم ما يذكر عن لقاء ألاسكا هذا هو أنه ظهر على شاشة الرادار . . وقد رآه المراقبون الجويون ، العسكريون والمدنيون ، في مراكز المراقبة على الأرض . . غير أن أشرطة ذلك الرادار التي تسجل عادة كل ما يظهر على شاشته ، لم تسجل شيئا من ذلك اللقاء . . وكأن يدا سحرية مسحت شريط التسجيل مسحا . . .

وأغرب ما في الأمر أن الطيار الياباني الذي كان يقود طائرة شحن تابعة للخطوط الجوية اليابانية ، في رحلة من ريكيافيك عاصمة ايسلندة الى انكوراج في الاسكا . . . هبط بطائرته الى ارتفاع ٣١٠٠٠ قدم بقصد تحاشى الطبق الطائر الذي التقى به وهو على مستوى ارتفاعه الأول (٣٥٠٠٠ قدم) ذلك بعد موافقة المراقبين الجويين ولكن الطبق الطائر هبط هو وحارساه الى مستوى ارتفاعه الثاني . . وبقي مواكبا للطائرة اليابانية بنفس سرعتها وعلى بعد ثمانية أميال منها . . حتى اذا اقتربت الطائرة من انكوراج في الاسكا اختفى الطبق الطائر والصحنان المرافقان بسرعة مذهلة .

والجدير بالذكر أن سلطات الطيران المدني أخضعت الطيار الياباني ورفيقيه لفحوص طبية ونفسية مختلفة . . ثم استجوبتهم . . حتى ثبت لها أنهم كانوا يتمتعون بكامل وعيهم أثناء اللقاء . . ويؤكد الطيار أن كل ما رآه من شكل الطبق وأضوائه وسرعته يثبت بما لايقبل الشك أنه من صنع حضارة متفوقة من حضارات الفضاء الخارجي .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مختبر علمي يشفي من السرطان . . ولكن بثمن

● أصيب الدكتور نلسون الجراح المتقاعد (٥٧سنة) بسرطان الرئة . . وتفشت الأورام الخبيثة حتى بلغت الرئتين والعظام . . وأصبح موته العاجل في حكم المؤكد ، ولكن نلسون بقي حيا رغم مضي الشهور . . وشفى من أورامه تبعا للمعالجة التي تلقاها في بلدة فرانكلين في تنسي بالولايات المتحدة وفي شركة أو مختبرات المعالجة بالهندسة البيولوجية على وجه التحديد . . حقا لقد دفع مبلغا كبيرا - , ٣٥٠٠٠ دولار . . ولكنه اشترى بذلك المبلغ حياته . . .

وتجدر الاشارة الى أن الدكتور روبرت أولدهام مؤسس الشركة المذكورة كان من كبار الباحثين في معهد السرطان الأمريكي وذلك طوال أربع سنوات . . ولكنه ما لبث أن انفصل عن المعهد وأسس شركته الجديدة الفريدة في نوعها سنة ١٩٨٤.

نقول فريدة لأنها تختلف عن الشركات العادية اختلافا كبيرا . . فهي مختبرات للأبحاث الطبية والعلمية ، ولكنها لاتعمل بالمجان كمختبرات معهد السرطان وسواها . . وانما تضع حصيلة بحوثها العلمية في خدمة من يريد من المرضى لقاء المال . .

وتتخصص هذه المختبرات في الهندسة البيولوجية وفي استعمال ما يعرف في المصطلح الطبي باسم Biological response modifiers وتصنع للمريض مثل الاجسام المضادة التي يطلقها جسمه بالذات للدفاع عن نفسه . . وتتوصل الى ذلك عن طريق تفصيص تلك الاجسام ، وانتاجها بالكمية المطلوبة ، بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية . . ولاغرابة أن نجحت تلك الأجسام المضادة في كبح السرطان والتغلب عليه . . فهي السلاح المضمون الذي تصنعه أجهزة المناعة في الجسم ، وتكبح بواسطته ما قد يتعرض له الجسم من أمراض ، ان لم تقض على تلك الأمراض وتشف الجسم من شرها نهائيا

ومما يذكر أن عدد الذين اتصلوا بالشركة بقصد الاستفسار بلغ (٢٠٠٠) مريض . . كان أكثرهم من الأطباء وقد تمت معالجة ٢٠٠ منهم . كتب لهم الشفاء التام بعد أن كانوا ينتظرون الموت بين يوم ويوم . .

ولعلك تظن أز المعالجة بهذه الطريقة الجديدة تستغرق شهورا عديدة والحقيقة هي أن فترة العلاج في المختبرات الجديدة تبلغ أسبوعين فحسب

ويأخذ الكثيرون على هذه الشركة الجديدة نزعتها المادية ومجافاتها للمشاعر الانسانية . . وحصرها الشفاء من الأمراض بالأغنياء . ولكن آخرين يباركون أعمال الشركة ويرون في اثرائها السريع دليلا على نجاحها وحسبك أنها انتقلت مؤخرا من مقرها القديم الى مقر آخر جديد ، يبلغ ايجاره ٤ملايين دولار سنويا □

●

● حدث الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال :

« من فطر منكم صائما مؤمنا في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ، ومغفرة لما مضى من ذنوبه »

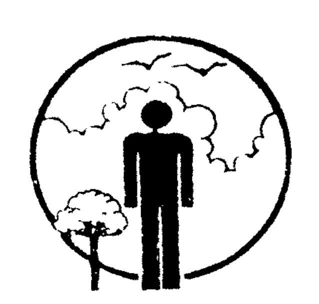
فقيل : « يارسول الله ، ليس كلنا بقادر على ذلك »

فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ، ولو بشق تمرة ، اتقوا النار ولو بشربة من ماء . »

* * *

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أبواب الجنان فى شهر رمضان مفتحة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يغلقها عنكم ، وأبواب النيران مغلقة ، فأسألوا الله ربكم أن لايفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة ، فأسألوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم . »



سلامة البشرية

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

قصة فراشة كندية .. في المكسيك

كثر الحديث عن تفاقم التلوث في (مكسيكو ستي) حتى ظن الكثيرون أن حكومة المكسيك هي المسؤولة عن تدهور البيئة في العاصمة .. وأنها في الغالب لا تقيم وزناً كبيرا لسلامة البيئة وما أبعد ذلك عن واقع الحال كما يتبين من قصة الفراشة الملكة ...

لقد درجت هذه الفراشة على أن تأتي الى المكسيك من كندا كل عام بالملايين ، وتقيم في غابات شجر التنوب (Fir) فيها .. وهي غابات منتشرة في المناطق الجبلية في البلاد .. لقد درجت على القيام بغزوتها هذه عقب شهر نوفمبر ، حتى اذا حل شهر مارس واستكملت الفراشة ما قطعت من أجله آلاف الأميال .. أعني طلب الدفء والتزاوج .. عادت أدراجها الى أصقاع الشمال .

ومع أن هذه الغزوات كانت مستمرة منذ أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة .. الا أن العلماء لم يكتشفوا أمرها الا قبل أكثر من عشر سنين ، سنة ١٩٧٥ بالتحديد ، وفجأة اكتشف العلماء شيئاً آخر في مطلع الثمانينيات وأواخر السبعينيات .

اكتشفوا أن مساحات كبيرة من غابات التنوب أخذت تختفي .. وأن مهاجر الفراشة الملكة أخذت في التقلص ، ذلك أن فلاحي تلك المناطق الذين ألفوا تحطيب خشب التنوب من أقدم الأزمنة ، اقتربوا في تحطيبهم من البقاع التي تقيم فيها الفراشة ، وكادوا أن يأتوا عليها .. لولا أن اكتشف العلماء أمرهم ، وهبت الحكومة المكسيكية تسن قوانين الحماية ، وتتخذ اجراءات الانقاذ على أوسع نطاق ممكن ، حقاً لقد استهدفت من هذا وذلك وضع حد للتحطيب ، وانقاذ الغابات ، ولكنها استهدفته لا كغاية وانما كوسيلة .. ولم تكن الغاية سوى الحفاظ على المواقع التي هاجرت اليها ، وأقامت فيها الفراشة الملكة .. وسواء هذا أو ذاك ، فقد أثبتت الحكومة المكسيكية مدى اهتمامها بالبيئة ، وقد بلغ حد التضحية في سبيل فراشة كندية تزور المكسيك لبضعة شهور ثم تعود ..

وكان مرسوم سنة ١٩٨٠ أول تلك القوانين ، قوانين حماية الفراشة الملكة .. ولكن الحماية التي تحدثت عنها تلك القوانين بقيت أقرب الى التمني منها الى الواقع ..

من هنا كانت الاجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة المكسيك في شهر آب الماضي (١٩٨٦) ، فقد حددت تلك الاجراءات مواطن الفراشة الملكة ، واعتبرتها معازل بيئية محرمة .. ثم حظرت التحطيب حظراً تاماً في منطقة تحيط بتلك المعازل ، وتبلغ مساحتها ١١٠٠٠ فدان ، ولم تقف الحكومة المكسيكية عند هذا الحد ، بل حددت منطقة أخرى ثالثة تحيط بالمنطقة السابقة ، وتبلغ مساحتها ٢٨٠٠٠ فدان ، ووضعت شروطاً وقيوداً عديدة للترخيص



هده الفراشات سرور المكسك
لبضعة شهور ثم تعود

بأعمال السمة في هده المنطقة

ثم انصرفت حكومة المكسك الى معالجة مشكلة الحطابين في تلك المناطق معالجة جذرية فالتحطيب هو مصدر رزقهم الوحيد ، ولا بد من ايجاد مصادر أخرى للرزق تحل محله من هنا كانت البرامج الواسعة التي بدأوا وضعها موضع التنفيذ ، وقد شملت فيما شملت انشاء البساتين ، وتحسين محاصيل المزروعات التقليدية ، وإقامة البيوت الزجاجية ، وأحواض زرع الأسماك وساهمت في هذه البرامج منظمة موناراكا ، وهي هيئة أهلية مكسيكية تسعى لحماية البيئة وساهم بها أيضاً صندوق الكائنات البرية العالمي ، وذلك عن طريق أحد أقسامه ، وهو القسم المختص بالبرامج الكاريبية واللاتينية الذي تبرع للحكومة المكسيكية مؤخراً بمبلغ ٢٢٠,٠٠٠ دولار

بقي أن نشير الى مصدر رزق آخر أتيح لسكان المنطقة من حيث لا يدرون ، وعاد عليهم بما يفوق أسهم أعمال التحطيب السابقة وكل ما كانوا يجنون وما ذلك المصدر الا السياحة فقد بدأ السياح الأمريكيون على المكسك في الشهور الماضية ٥٠٠٠٠ سائح او يزيد ودفع كل واحد منهم (٦٠) سنتا ، وهو الرسم المطلوب لمشاهدة منظر الفراشات الرائع واشتروا اهدايا المحلية التي رسمت عليها الفراشة الملكة بألوانها الزاهية ، ودفعوا أثمانا سخية فيها ولعل ما كسبه أهل المنطقة في موسم السياحة الشتوي الحالي يفوق ما كانوا يكسبونه من الحطب ولعلهم يرددون في نفوسهم ما يعنيه المثل العربي (رب ضارة نافعة)

ويتساءل المرء لا محالة لم يهاجر الى المكسك الجيل الخامس فقط من الأجيال التي تنجبها الفراشة الملكة في السنة وهي ٣ ـ ٥ اجيال ؟ ولم لا يتوقف الفراشات المهاجرة في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة ، وهي تشبه كثيرا المكسك من حيث الطقس والاقليم ؟ ثم كيف يهتدي هده الفراشات الى نفس المواقع التي هاجر اليها اسلافها واستقروا فيها ؟

الطقس وبنية الشمس

قد تكون الشمس كالبصلة وقد تكون مكونة من عدة طبقات من الغاز متباينة ، وتدور الواحدة حول نفسها بسرعة خاصة بها هذا ما قاله مؤخرا علماء فلكيون من جامعة جنوب كاليفورنيا برئاسة الدكتور ادوارد رودس

ومعنى هذا أن طقس الأرض يتأثر أكثر ما يتأثر بأي تغير قد يطرأ على حركات الشمس الداخلية فلو اختلت سرعة إحدى تلك الطبقات في دورانها حول نفسها اختلالاً ضئيلا لا يزيد على ١٪ ، لكان في ذلك ما يكفي لتغير مناخ الأرض من مناخ جليدي ثلجي الى مناخ بالغ الحرارة ملتهب □



من المنفى إلى حياة جديدة!

استطلاع : سليمان الشيخ

تصــــوير : سليمان حيدر



إن الحكم بالنفي على فرد لأسباب ودواع معينة أمر يمكن فهمه وتبرير دواعيه . لكن الحكم بالنفي على شعب بكامله أمر يدخل في نفق الأسئلة ، وربما يدخل في دوائر عدم الفهم .

شعب الشاشان في الشمال القفقاسي نفي جميعه عن أرضه الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية ، فما هي الدواعي ؟ وما هي الأسباب ؟ وكيف يعيش الآن ؟

يختصر القفقاسي جوابه عندما تسأله عن بلاده ، فيجيبك :

« إنها بلاد الجبال العالية ، ويضيف قائلا : هي البلاد التي كتب عنها تولستوي ، وبوشكين ، وليرمنتوف » !

● فلماذا يكتب هؤلاء الأدباء البارزون في الأدب الروسي والأدب العالمي عن هذه البلاد التي أغرقتها القيصرية الروسية بالجهل واستنزفت خيراتها ؟

القفقاسيون الشاشانيون والانغوش يقولون ذلك ، ويضيفون قائلين : إن القمم العالية ، وشواطيء نهر « تيرك » قد تركت بصماتها على أدب هؤلاء الكتاب ، فجاءت طبيعتنا وطبيعة شعبنا مسجلة أدق تسجيل في أدب هؤلاء الكتاب الكبار .

والداغستانيون يقولون ذلك أيضا ، وكذلك البلكار والكباردين والاوسيت والشركس وهم شعوب قفقاسية ، فما الذي دفع بهؤلاء المشهورين إلى العيش في تلك البلاد ، في مرحلة شهدت فيها ثورات وتمردات عديدة (بداية القرن التاسع عشر) ؟

لقد كانت منطقة جبال القفقاس تعتبر من جنوب روسيا القيصرية ، بعد أن انتزعتها من الأتراك العثمانيين ، ومن ملوك الفرس ، وبعد أن قضت على بعض الامارات المحلية التي كانت قائمة آنذاك . وفي منتصف القرن التاسع عشر وصل الزحف الروسي إلى ذروته في السيطرة على المناطق الجنوبية ، ومن ثم سيطر الروس سيطرة كاملة على تلك المناطق وتم انتزاعها من أيدي الدول الأخرى أو الامارات المحلية .

ان تخليد تلك المنطقة في نتاج الكتاب المشار إليهم يعود إلى سبب قهري ، تمثل في نفي بوشكين سنة ١٨٢٠ م إلى تلك المنطقة ، ثم نفي ليرمنتوف سنة ١٨٣٧ م إليها أيضا ، ويذكر انه عاش سنوات قليلة من صباه فيها ايضا ، ويعتبر هذا النفي هيناً إذا ماقيس بالنفي إلى سيبريا .

وقد جاء هذا النفي بسبب انتقاد الشاعرين المذكورين للأوضاع التي كانت قائمة آنذاك ، والتحريض على مساويء النظام القيصري ومباذله وظلمه الذي وزعه على الشعوب التي خضعت له .

أما تولستوي فإنه كان من النبلاء الاقطاعيين ، جذبه الجيش فعين فيه ملازما ، واشترك في الحرب التي كانت دائرة في القفقاس ، وأمضى هناك من سنة ١٨٥١ إلى سنة ١٨٥٥ .

شعبنا نحن :

يكتسب كلام سكان الجبال مصداقية عند من يقرأ بعض أعمال هؤلاء الكتاب ، كروايات الحاج مراد ، والقوقاز ، ونهاية حب ، وغيرها ، لتولستوي ، ومن يقرأ بعض أشعار بوشكين التي تحمل أسماء بعض المناطق في القفقاس ، ومن يقرأ رواية « بطل من هذا الزمان » لليرمنتوف .

يقول : أحمد ملساجوف في كتابه « شعب جبال القفقاس » المنشور بالانجليزية والصادر عن وكالة نوفوستي السوفيتية سنة ١٩٨٤ : « من يقرأ تولستوي فإنه يقرأ عنا » ويضيف قائلا : « هذا النهر القوقازي الشهير « تيرك » نال حظا أكثر من أي نهر آخر في بلادنا ، فقد تغنى به تولستوي ، وبوشكين ، وليرمنتوف ، وأثنوا عليه » .

ثم يقول : «إننا نفضل في بلادنا - الشاشان والانغوش - استعمال كلمة (وييناخ) ، وهذه الكلمة مؤلفة من مقطعين ، معناهما « شعبنا نحن » أو « قومنا نحن » ، وتطلق على شعبي الجمهورية « الشاشان والأنغوش » من أجل اختصار ثنائية هذا التكوين .

يقول الكاتب : انظروا ، إنهم يشبهوننا ، هكذا

يقول الشاشان والانغوش عن بعضهم بدهشة منذ زمن طويل ، نعم مثلنا ، فنحن نتكلم نفس اللغة ، ولنا نفس العادات » .

حزيزي القاري» ، على السفوح الشمالية لجبال القوقاز تقع جهورية الشاشان والأنغوش ، مساحتها ١٩,٣٠٠ كم٢ ، يسكنها حوالي مليون وربع المليون نسمة ، لغتهم من عائلة اللغات القفقاسية أو القوقازية ، ويقطع بلادهم نهر « تيرك » الذي ينبع من جبال القفقاس في جهورية جورجيا ، ويسير في عدة جهوريات قفقاسية سوفيتية ، طوله حوالي ٥٠٠ كيلو متر ، ويمر فرع منه في العاصمة غروزني ، (يسمى فيها نهر سيلج) ويصب في بحر قزوين أي الخزر كما كان يسمى من قبل .

يقول السيد موسى حسين دوشو كيف مدير مصنع الملابس التقليدية في العاصمة غروزني : « أعتقد بأن اسم « الشركس » كان يطلق على كثير من مناطق القفقاس من قبل ، لأن الحدود السياسية بين القبائل والشعوب القفقاسية حديثة العهد ، لايتعدى عمرها مائة سنة تقريباً .

ويمكن الاشارة إلى أن الزي كان موحدا من قبل ، أو فيه كثير من التشابه ، وهو أقرب إلى الزي الشركسي الحالي » .

وقد أكد نفس الكلام السيد أصحب مكييف السكرتير الأول لمنظمة الحزب الشيوعي في منطقة نزاران « نظاران » ، فقال : « نحن جزء من العائلة الأثينية القفقاسية ، ويبدو أن (الشركس) كان هو الاسم الغالب على كثير من المناطق والأنحاء في الزمان القديم » .

في مؤلفات الأدباء :

يبدو الكلام السابق أقرب إلى الحقيقة عندما نقرأ أدب تولستوي وبوشكين وليرمنتوف ، إذ أنهم كثيرا ماكانوا يخلطون في أسماء الشعوب التي تسكن منطقة القفقاس ، فهم تارة يطلقون عليها اسم (الشركس) ، بل كثيرا ماكانوا يستعملون أسماء قبائل تنتسب إلى هذا الشعب أو ذاك من شعوب القفقاس ، وهذا يدل على أن المنطقة لم تكن بعد قد عرفت الحدود السياسية الثابتة المتعارف عليها حتى منتصف القرن التاسع عشر ، كما أن القبائل لم تكن قد استقرت تماما في مناطق سكناها ، لذلك فإن الخلط في إطلاق الأسماء والاماكن كان شائعا ، ويبدو أن الأمر مازال كذلك .

في رواية « نهاية حب » يذكر تولستوي أن الجيش الروسي نزل في قرية (نوفوميلينسكايا) في بلاد القفقاس ، ويستمر الكلام في الرواية عن القفقاس والقفقاسيين ، ولايحدد شعبا بعينه ، وتتكرر في الرواية أسماء مثل نهر « تيرك » ، و « ابريك وابركة » و « سكان الجبال » وغيرها ، وإذا مابحثنا عن تفسير لمعنى هذه الكلمات ، فإننا سنجد أن كلمة « الأبركة » ماهي إلا تعبير كان يطلقه الروس على سكان الجبال الذين حملوا السلاح وقاوموا الجيش الروسي .

وهذا يعني أن بعض سكان السهول قد خضعوا للجيش الروسي ، وتعاونوا معه ، في حين أن بعض سكان الجبال قد تمردوا عليه وثاروا . ولو نظرنا إلى المرحلة التي كتب عنها تولستوي لأدركنا أنها هي نفس المرحلة التي ثار فيها الشيخ شامل ، وشاركه كثير من شعوب القفقاس في ثورته ، وقد كان مركز تلك الثورة في داغستان ، إلا أنها كانت منتشرة في كثير من أنحاء القفقاس .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل في تلك الرواية أن تولستوي يذكر أن المنطقة غنية بالعسل ، وبنبات دوار الشمس ، كما أنه ينهي روايته بايراد اسم أمكن من خلاله الاستدلال على المنطقة التي كانت مسرحا لأحداث تلك الرواية ، فقد جاء في صفحة (١٣٦) من الرواية مايلي :

« أيشفى لوكاشكا ؟

ـ الله أعلم ، ليس في القرية طبيب ، وهم يلتمسون ذلك .

ـ وأين يمكن أن يلتمسوا ذلك ؟ في غروزنايا ؟ » .

وهنا ينكشف سر مسرح الأحداث ويصبح واضحا ، فإن غروزني هي عاصمة جمهورية الشاشان والانغوش الآن ، والقرية المشار إليها في الرواية قريبة منها .

والغريب أن هذه الجمهورية مازالت مشهورة إلى الآن بعسلها الجبلي الصافي الذي يعرض كثير منه على الطرقات للبيع كما يمكن رؤية حقول واسعة كثيرة مزروعة بنبات دوار الشمس .

ويبدو أن هذه المنطقة لم يكن قد انتشر فيها الاسلام ، لأن سكان القرية ـ حسب الرواية ـ كانوا من المسيحيين ، لكن هناك إشارات بأن بعضهم و بعض جيرانهم كانوا من المسلمين .

وهذا الكلام الوارد في الرواية يتفق مع الكلام الذي سمعناه في غروزني ، عاصمة الشاشان





* نموذج سمراء الشاشانية لأبعوشية بلباسها الحديث وهي تعرض نموذج من الصناعات الشعبية (أقصى اليمين)
* الآلة تدور والإنسان يبدع (على)
* تصبح الرقص عن هوية خاصة للناس في كثير من الأحيان فبانات أبعوشيات ولباس أبعوشي ورقص الجبال الذي تحمل الأرض تريح من دقات الأرجل عليها (تحت)

والانغوش ، فقد قالوا بأن الاسلام لم ينتشر بينهم إلا منذ قرنين تقريبا على يد الداغستانيين والأتراك .

لمحة تاريخية :

تذكر بعض المصادر التاريخية أن مجموعة من الشاشان قد نزحوا عن بلادهم إلى بلاد الشام سنة ١٩٠٥ تقريباً ، وتذكر بعض الاحصاءات الرسمية أن عددهم في الأردن الآن يقترب من الخمسة آلاف نسمة ، كما يوجد بعضهم في منطقة الجولان السورية المحتلة أيضا .

وهذا النزوح لايعتبر الأول في حياة هذا الشعب والشعوب القفقاسية الأخرى ، لقد كان شعب الشاشان شريكا للشراكسة في هجراتهم ونزوحهم زمن الدولة العباسية التي نازلت دولة اليهود الخزر التي كانت قائمة في منطقة القفقاس ، واستولت على أجزاء منها ، وقد استطاع بعض الشراكسة ومن بينهم الشاشان كما ذكر لنا السيد واحة ، مسؤول العلاقات الخارجية في نقابات مدينة غروزني ، أن يصبحوا حكاما لمنطقة الشرق العربي في جزء من الفترة التي أطلق عليها « فترة حكم المماليك » ، جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السادس ما نصه :

وجيجن (أو الشاشان) من فروع الشركس كما في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي سنة ١٨٧٢ م) .

ويضيف السيد واحة قائلاً : كما أننا - الشاشان والانغوش - قد شاركنا في الثورات التي قامت في منطقة القفقاس ضد القوى التي تتابعت في احتلال بلادنا ، كالفرس والأتراك والروس وغيرهم .

وبسبب هذه الثورات فإن كثيراً منا قد تشتت ونزح ، أو قُضي عليه ، وقد أصبحنا جزءاً من الامبراطورية الروسية بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل في منتصف القرن الماضي ، وقد تلت ذلك تمردات كثيرة ، منها تمردات وقعت في نهاية سبعينيات القرن الماضي ، ومنها في بداية هذا القرن (سنة ١٩٠٥ م) ، إلا أن الأوضاع استقرت فأصبحنا جزءاً من الامبراطورية الروسية حتى قامت الثورة سنة ١٩١٧ ، فأصبحنا جمهورية .

مع رئيس الوزراء :

قال لنا رئيس وزراء الجمهورية الشاشانية الانغوشية السيد موسى عبدالرحمن كريم عندما قابلناه في العاصمة غروزني : « لقد تأسست جمهوريتنا - أي الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الشاشانية الانغوشية ، ذات الاستقلال الذاتي - سنة ١٩٢٢ م ، وقد احتفلنا بالذكرى الستين لاعلانها سنة ١٩٨٢ م .

ويضيف السيد رئيس الوزراء قائلا : إن جمهوريتنا ذات حكم ذاتي ضمن الاتحاد السوفيتي ، وشعبنا - في الأساس - يتكون من فرعين هما الشاشان والانغوش ، أضيف إليهما فرع ثالث ، والفرع الأول - الشاشان - هو الأكثر عددا ، إذ يصل عدده إلى مايزيد على نصف عدد السكان ، في حين أن الفرع الثاني - الإنغوش - يصل عدده إلى ربع عدد السكان ، أما الفرع الثالث فهم مواطنون سوفييت من قوميات أخرى سوفيتية ، ينتمون إلى حوالي ٤٠ قومية ، ويمثلون ربع عدد السكان تقريبا .

● بماذا يتفق الشاشان مع الانغوش وبماذا يختلفون عنهم ؟

- إن لغتنا واحدة ، وكذلك عاداتنا وتقاليدنا تقريباً ، والاختلاف الوحيد هو في اللهجة ، فهناك بعض الاختلافات البسيطة في تقديم بعض الحروف أو تأخيرها في بعض الكلمات .

وعلقت قائلا : إن الأمر يشبه حالنا - نحن العرب - من ناحية اللغة ، فلغتنا واحدة ، لكن لهجاتنا مختلفة .

فقال : أعتقد أن الأمر كذلك .

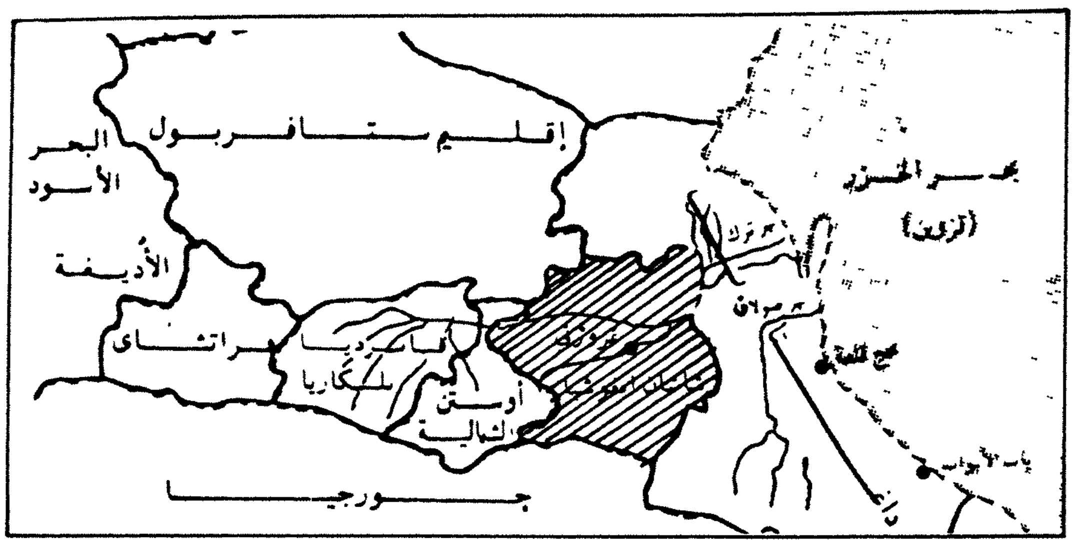
فقلت : ليسمح لي السيد رئيس الوزراء بذكر بعض المعلومات المتداولة والشائعة التي يقول بعضها بأن إعلانا ثانيا للجمهورية قد تم سنة ١٩٥٧ ، بعد صدور قرار من الحكومة المركزية السوفيتية بإعادة شعبكم من المنفى الذي كان فيه .

قال رئيس الوزراء باختصار : « إن الأمر من أخطاء الماضي ، ونحن الآن بصدد تطوير مجمل الخدمات لشعبنا ، وتوجهنا وخططنا تركز على خدمات الرفاهية للناس ، والاسراع في إنجازها » .

وقد ذكر لنا السيد أصحب الذي أشرنا إليه سابقا أن هناك أخطاء قد حصلت في الفترة الماضية ، وبخاصة زمن ستالين . فسألناه :

- ماهي هذه الأخطاء ؟

لكن السيد أصحب لم يشأ الاجابة بإضافة على هذا السؤال ، فبقي سؤالنا دون جواب شاف ، بيد أن رئيس الوزراء مضى يتحدث عن أمور الحاضر ، كالأمية التي تم القضاء عليها ، والمهارات العديدة



جمهوريات وأقاليم شمال القفقاس في الاتحاد السوفييتي من بينها جمهورية الشاشان والأنغوش ذات الحكم الذاتي

التي أصبح يجيدها الناس (فبين كل ألف شخص هناك ٩٠٠ يحملون شهادات متخصصة) ، والجامعة وكلياتها العديدة ، والمعاهد التقنية التي وصل عدد الطلبة فيها مع طلبة الجامعة إلى ٢٨ ألف طالب ، والمطبوعات الكثيرة ، والمدارس التي وصل عددها إلى ٥٩١ مدرسة متوسطة وثانوية ، بالاضافة إلى المعاهد المتخصصة ، وواصل حديثه فتكلم عن العلاقات بين العرب والسوفييت ، ومشاكل منطقتنا ، والحروب القائمة فيها ، ثم أبدى تمنياته بالوحدة والتقدم لبلادنا .

لكن جواب السؤال المتعلق بنفي شعب الشاشان والانغوش بقي معلقا . .

المنفى :

قلت للسيد واحة ـ مرافقنا الانغوشي ـ بعد انتهاء مقابلتنا مع رئيس الوزراء :ـ « ياواحة » ، إن المعلومات المتوفرة تفيد بأنه نتيجة « لتمسك شعبكم بدينه عمدت السلطات الحاكمة إلى إقصائه إلى مجاهل سيبيريا (هكذا جاء نص المعلومات في كتاب « البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ») ، وجاء في الموسوعة الميسرة مانصه : « حل الاتحاد السوفيتي جمهورية الشيشان والأنغوش بسبب تعاونها مع الألمان في الحرب العالمية الثانية »

ـ فقال : إن ذلك ليس صحيحا كله !

* فسألت : ماهي الحقيقة إذن كما تعرفها ؟

ـ قال : إن واقعة النفي صحيحة ، لكن ليس إلى سيبيريا فقط ، فبعض شعبنا قد نفي إلى جمهورية كازاخستان ، وهذا الاجراء اتخذه ستالين مع بعض الشعوب السوفيتية الأخرى التي تعاون بعض رجالاتها مع الالمان . لقد احتل الالمان كثيراً من أراضينا في الحرب العالمية الثانية ، بل لقد وصلوا إلى مشارف غروزني العاصمة ، وقصفوها بطائراتهم ، فتخاذل بعض الناس ، ومنهم بعض رجال الدين ، فتعاونوا مع الالمان ، فجاء رد فعل ستالين بنفي كل الشعب ، مع أن كثيرين منا كانوا ضمن الجيش السوفيتي ، وفي فيالق الأنصار . وكما قال لك السيد رئيس الوزراء ، فإن ماتم هو خطأ من ضمن أخطاء أخرى تمت في الماضي .

* قلت : وماهي الفترة الزمنية التي بقيتم فيها في « منفاكم » ؟

ـ قال : لقد بقينا من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥٦ ، وقد منح الناس في الجمهوريات التي نقلوا إليها البيوت ، ودخل الأطفال المدارس ، وتم تقديم كامل الخدمات .

* إن المعلومات تذكر أيضا يا (واحة) أنه قد تم تأليف فيلق « إسلامي » من بعض مواطنيكم ومن جمهوريات أخرى ، بل وقد أعلن هتلر قيام جمهوريات إسلامية في مناطقكم ، على أنقاض الجمهوريات السوفيتية ؟

ـ فأجاب واحة : إن هذه المعلومات صحيحة ،

لكن المقصود منها كان الدعاية الاعلامية ، وإظهار حسن النوايا لكسب الناس ، وكل ماكان يريده هتلر هو تأمين البترول من بلادنا ، لذلك فإنه أمر بإيقاف قصف آبار بترولنا ، على أمل أن يحتلها ، لكن هجومه أوقف على بعد حوالي ١٠٠ كيلومتر من غروزني .

* وبعد ذلك ما الذي تم ياواحة ؟

ـ انكسر الالمان ، وضاعت الدعايات الاعلامية المضللة سدى ، وعاد شعبنا إلى بلاده ، وتم الاعلان عن قيام الجمهورية السوفيتية ثانية سنة ١٩٥٧ م

* لقد دفعتم ثمنا غاليا ؟

ـ لقد سقط على مذبح الحرب العالمية الثانية ٢٠ مليون إنسان من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، ونالنا نحن نصيبنا من الضحايا والظلم الذي وقع ، بيد أن المهم هو الحاضر والمستقبل ، ووقف الحروب ، والبحث عن كل مامن شأنه توطيد السلام ، ودفع عجلة التقدم

النفط الناضب :

التقارير العالمية المنشورة عن النفط تشير إلى نقص واضح في الانتاج من المكامن التقليدية في الاتحاد السوفيتي ، ومن بينها مكامنه في جمهورية الشاشان والانغوش ، ولنمتحن هذه المعلومات طرحنا الأمر على خاتشادروف مينا سوفيتش المدير العام لشركة النفط في العاصمة غروزني ، فقال ـ

ـ إن شركة النفط في غروزني ومنطقتها من أقدم الشركات في الاتحاد السوفيتي ، فقد تأسست زمن القياصرة سنة ١٨٩٣ م ، ومنذ ذلك الزمان والبترول هو من أهم الثروات فيها ، وبعضه نوع من النفط الخفيف الخاص بالطيران وقد وصل عدد العاملين في الشركة إلى حوالي ٢٤ ألف عامل وموظف ، وكثير من الفنيين العاملين في الشركة استعانت بهم شركات أخرى في الاتحاد السوفيتي ، وساهموا بجهودهم لتطوير الانتاج في الاماكن الجديدة ، كما حصل في جمهورية جورجيا ، وفي سيبيريا ، وغيرهما ، وشركتنا تقدم كثيرا من الخدمات ، من بيوت ودور استجمام ومميزات أخرى تتعلق بتسهيل الحياة على العاملين فيها .

* هل مازال الانتاج كما كان من قبل ؟

ـ لقد قل الانتاج عما كان عليه من قبل ، لأننا خلال ٩٠ سنة كنا نستخرج النفط من عمق يصل إلى ٤ آلاف متر ونصف تقريبا ، في حين أننا بدأنا بالحفر للوصول إلى أعماق تزيد على العمق السابق بألفي متر ، لذلك قل الانتاج في منطقتنا . إن النفط ثروة ناضبة ، يجب أن نعترف بذلك ونعلنه ، وكلما زدنا الضغط في الآبار أمكن أن يتحول النفط إلى غاز ، ونحن ننتج منه الآن حوالي مليار ونصف مليار متر ، في حين أن إنتاجنا كان أكثر من ذلك بكثير

* المعلومات تقول إن إنتاجكم وصل في بداية السبعينيات إلى ٢٠ مليون طن من النفط سنويا فما مقدار إنتاجكم في هذه الفترة ؟

ـ إن إنتاجنا الآن حوالي ٥ ملايين طن نفط سنويا

* ماالذي تم بالنسبة للعاملين في الشركة ؟

ـ مازالوا في أعمالهم ، وبعضهم التحق بالشركات العاملة في سيبريا

* إذن فنقص الانتاج في المناطق التقليدية السوفيتية حقيقة صحيحة ، فمن أين يعوض الاتحاد السوفيتي هذا النقص ؟

ـ من سيبيريا ، إنها بلاد واسعة كبيرة ، وعظيمة الامكانات ، فمنطقة واحدة منها هي (سيبيريا الشرقية) ينتج فيها مايزيد على ٣٦٠ مليون طن من النفط ، وسيبيريا مرحلة طويلة ، تحتاج إلى وقت ، وإمكانات ، ليتم استغلال كل الثروات فيها

* هل يمكن القول أنه لاتوجد أزمة نفط في الاتحاد السوفيتي ؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك بكل ثقة ، إننا مازلنا نصدر نفطنا إلى الأسواق الأوروبية الغربية ، إضافة إلى أسواق دول أوروبا الشرقية الشقيقة

الزراعة والمزارع :

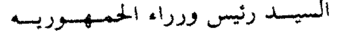
* تشتهر الجمهورية الشاشانية الانغوشية بالزراعة ، وبخاصة القمح والذرة والكرمة ونبات دوار الشمس والتفاح وأنواع من الخضار والفواكه الأخرى ، وبما أن الأرض ـ كل الأرض ـ في الاتحاد السوفيتي ملك للدولة فإنك ترى مساحات كبيرة وواسعة متخصصة بزراعة نوع واحد من أنواع الحبوب أو الخضار أو الفواكه ، بشبكة من المزارع الجماعية التي أقيمت في كل البلاد (الكولخوزات والسوفخوزات)

زرت إحدى المزارع المخصصة لتربية الحيوانات ، وقد صحبنا فيها السيد أصحب ، وقابلنا فيها مدير المزرعة السيد مراد ، وغيره من مسؤولين وإداريين .

* ساحة الجندي المجهول في غروزني . يتولى حراستها صباح كل يوم شبان وشابات ، بحركات وطقوس منتظمة

* ساعة للعب ، وساعة للجد في إحدى روضات المزرعه القريبة من مدينة نازاران





السيد رئيس ورراء الجمهوريه


السيده فاطمه بانه ورير الثقافة


السيد حسين دوشوكييف

قال السيد مراد : مساحة المزرعة حوالي ٢٢ ألف هكتار ، متخصصة في إنتاج اللحوم والحليب ، يعمل فيها ٧٥٠ عاملا ، وفيها حوالي ٥ آلاف من الحيوانات اللبونة ، من بينها ١٣٠٠ بقرة ، والعمال لهم بيوتهم في المزرعة ، وكل الخدمات متوفرة في المنطقة .

يوجد داخل المزرعة قريتان ، فيهما أربع مدارس ، ثلاث منها ابتدائية ، وواحدة ثانوية ، تتسع لحوالي ٧٥٠ طالبا ، والمدرسة الابتدائية الواحدة تتسع لحوالي ٤٠٠ طالب وطالبة ، وهناك عدة روضات للأطفال ، تابعة للمزرعة تتسع الواحدة منها لحوالي ٢٠٠ طفل وطفلة .

ويصل عدد السكان في المنطقة إلى حوالي عشرة آلاف نسمة ، ويتراوح عدد الأطفال في الأسرة مابين ٥ و ٦ أطفال ، وقد تأسست المزرعة سنة ١٩٥٧ ، ونحن نزرع فيها حبوبا وخضارا وفواكه أيضا تبعد المزرعة بضع كيلومترات عن مدينة نزاران ، وفي المنطقة مستشفى ، وفي كل قرية عيادة مع فريق طبي .

* لقد رأينا بعض الظواهر التي نأمل أن نجد تعليقا عليها لديكم « هكذا علقت »

فقال السيد مراد : على الرحب والسعة .

* قلت : لقد وجدنا على الطرق ، وفي مداخل المدن والقرى بعض الباعة ، خاصة من النسوة الكبار في السن والأولاد والبنات ، وهم يبيعون بعض الغلال ، كالبندورة والتفاح والاجاص والبطيخ والعسل وغير ذلك ، فهل الباعة يبيعون هذه الغلال لحسابهم ؟ وكيف تجمعت لهم هذه الغلال ؟ .

ـ كما تعرف فإن الأرض تملكها الدولة ، والناس أجراء فيها ، لكن هناك استثناءات معينة ، إذ يتم منح قطع من الأراضي صغيرة المساحة في خارج المدن لكثير من الناس ، لاستغلالها لحسابهم ، فيبني الناس فيها بيوتا ، يقصدونها أيام العطل والاجازات ، وفي أوقات فراغهم ، ويزرعونها بمزروعات مختلفة ، نتاج هذه المزروعات يبيعونه لحسابهم الخاص طبعا ، وهناك مساحات صغيرة من الأرض ضمن مساحة البيت في المدن والقرى تتم زراعتها ، نتاجها يبيعه الناس أيضا لحسابهم الخاص ، كما أنه يتم صرف جزء من أجر العامل من محصول الأرض التي يعمل فيها في بعض الأحيان .

ويمكن القول بأن نظام المحاصصة مطبق جزئيا عندنا ، أي أن العامل الذي يجمع عشرة أكياس من البطاطا يوميا ـ على سبيل المثال ـ يحصل على كيس واحد منها ، إضافة إلى راتبه الشهري طبعا .

كما أن العائلات الكثيرة الأطفال تحصل على مساعدات من الدولة ، ومنها مساعدات عينية ، تلجأ إلى بيع بعضها للحصول على مقابل مادي .

* وكم هو المعدل الوسطي لأجر العامل أو الفلاح ؟

ـ المعاش الشهري للعامل أو الفلاح يصل إلى حوالي ٢٥٠ روبلا في الحالات العادية ، ويمكن أن يزيد على ذلك ، أما هذا العميد ـ عميد العمال أي

أمهرهم ـ بهاء الدين قد زوييف فهو يحصل على حوالي ٤٠٠ روبل ، بسبب مهارته ، ومبادراته التي تأتي في كثير من الأحيان لصالح العمل . وتوجد في المزرعة مدرسة مهنية لزيادة مستوى أداء العاملين ، وهي تتبع نظام الدورات ، ويدرس فيها بعض عمال المنطقة وفلاحوها ، إضافة إلى غيرهم من مناطق أخرى .

حروف اللغة :

قبل الثورة سنة ١٩١٧ ، كان قليل من السكان يقرأون بالعربية ويكتبون بها ، وكانت منتشرة في الأوساط الدينية ، وما كان يتم تدريسه لهم لم يتعد بعض الدروس في اللغة والشريعة فقط ، لذلك كانت الأمية منتشرة انتشارا كبيرا في بلادنا . هذا ما قاله لنا السيد أصحب سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في منطقة نزاران .

وأضاف : إن لغتنا الخاصة كانت تكتب بحروف عربية من قبل ، لكن الأمر اختلف بعد الثورة ، فكتبناها بالحروف اللاتينية في البداية ، ثم تحولنا إلى الروسية .

* ولماذا تم تغيير الحروف من العربية إلى ماعداها ؟ هل هو موقف متكامل بدأ بالموقف من الدين وانتهى بحروف اللغة ؟

ـ التعامل مع الأديان نظمته القوانين ، ولا يوجد فرق في التعامل بين دين وآخر ، والفرد حر في معتقداته الدينية شرط أن لايخالف في أدائها قوانين البلاد ، أما بالنسبة للغة فإن الاجراءات التي اتخذناها أوصلتنا إلى القضاء الكامل على الأمية ، لقد كانت لغتنا تكتب بالحروف العربية ، وكانت بحالها آنذاك غير قادرة على استيعاب العلوم ، وتطورات الحياة التي تلاحقت ، فاضطررنا إلى تغييرها .

أما السيدة فاطمة نائبة وزير الثقافة في الجمهورية ، ومسؤولة الثقافة الجماهيرية فيها فقد قالت عندما وجهنا إليها السؤال المتعلق بتغيير الحروف العربية : أنا اختصاصية في اللغة ، ويمكن القول باختصار أن العلماء حاولوا في عشرينيات هذا القرن تطوير لغتنا المكتوبة بالحروف العربية ، كي تستوعب العلوم والتقنية الحديثة ، إلا أنهم فشلوا في ذلك ، فاتجهوا للاستعانة بالحروف اللاتينية مع الاستعانة بكثير من الموروث الثقافي الشاشاني الانغوشي ، ثم تم الاستقرار على استخدام اللغة الروسية مؤخرا .

إن السبب سبب علمي محض كما أرى .

الدين والعادات :

الكلام المتداول عن موقف السلطة السوفيتية ـ في بعض الأوساط ـ من الثقافة والفنون يركز على أنها تحاول زيادة الاهتمام ببعض الجوانب فيها ، على حساب جوانب أخرى ، خاصة المتعلق منها بالجوانب الدينية ، وتقول بأن ذلك الأمر يتم من أجل توفير البدائل التي تتوافق مع خططها وتوجهاتها .

على سؤال حول هذا الأمر سمعنا اجتهادات قالها السيد أصحب ، والسيدة فاطمة ، والسيد ستروفانوف انا تولى النائب الأول لوزير الثقافة في الجمهورية ، والسيد صوتصائف ميلكاليت مدير المسرح الوطني ، وقد تطابقت وجهات نظرهم الى حد كبير في هذا المجال وتلخيصها كالتالي : ـ

« إننا نهتم كثيرا بالعادات والتقاليد الشعبية ، ونحاول أن نعطي لها مكانتها في حياتنا ، لأن فيها جزءا من قسمات شعبنا المميزة ، وإننا نركز على الحي والحيوي الذي يمكن أن يطور الحياة ، ويغنيها ، ويعطيها دفعات تقدمية نحو الأمام ، اننا نستعين بما هو متوافق مع مانعتقد أنه ينقل شعبنا نحو آفاق التقدم . ونعتقد أن كثيرا من الشعوب تفعل مانفعل .

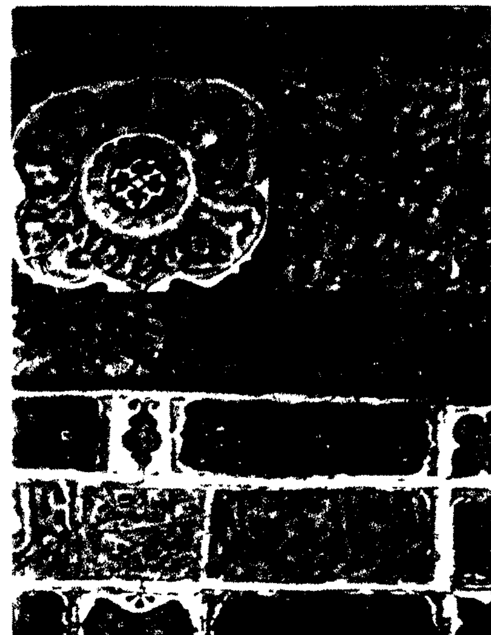
وبعض مافي التراث يعيق التقدم ، كالموقف من المرأة ، وعدم تعليمها على سبيل المثال ، وقد كان رجال الدين يغذون مثل هذا الاتجاه ، فهل يريد بعضهم منا أن نبقي على هذا التقليد ؟ انه تقليد رجعي ، هذا هو مجمل مواقفنا من كثير من الأمور والقضايا .

اننا نأخذ بما يمكنه أن يخدم الحياة ، ويطورها ، ويتوافق مع الدستور والقوانين المرعية ، أما ماعدا ذلك فانه لايعنينا في شيء ولايلزمنا ، حتى لو كان جزءا من تقاليد شعبنا القديمة ، فاننا لانتعامل بقداسة مع التقاليد ، بل نتعامل بتفتح وادراك لما يمكنه أن يطور شعبنا ، ويفتح آفاقا للتقدم في حياته .

* ماهي حقيقة « الصحوة الدينية » التي تتحدث عنها بعض الأوساط في بلادكم ، وألم تلاحظوا أو ألم تواجهوا في العشر سنين الأخيرة تحركات معينة ذات طابع ديني ؟

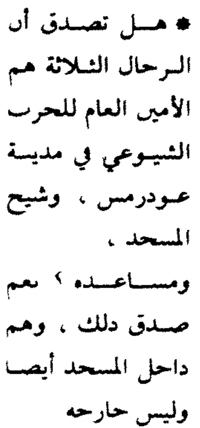
ـ عندما طرحنا هذا السؤال ووجهنا بعدة أسئلة ، واستفسارات ، لشرح معنى ما نريد أن نسأل عنه ومغزاه . ثم جاء الجواب :

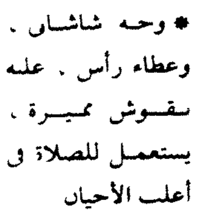
ـ ليقل الاعلام الغربي والاعلام الذي يواليه في











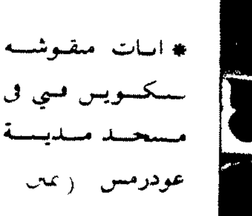


* هـل تصدق أن الرجال الثلاثة هم الأمين العام للحزب الشيوعي في مدينة عودرمس ، وشيخ المسجد ، ومساعـده ؟ نعم صدق ذلك ، وهم داخل المسجد أيضا وليس خارجه



* وجه شاشاني ، وغطاء رأس ، عليه نقوش مميزة ، يستعمل للصلاة في أغلب الأحيان

* السيد جمال ليلي يقف مع صديقين من أصدقائه أمام بيته . وبعض النساء يظهرن خلفهم (أقصى اليمين)



* ابات منقوشه سكوين في ي مسجد مدينة عودرمس (يمين

غير الغرب مايقول ، وليطلق الاشاعات ، لكننا نقول أن عجلة حياتنا تسير بوتيرة متسارعة ، لمواجهة مشاكل البناء التي تعترض طريق شعبنا ، ولايجاد وسائل الرفاه والتقدم له ، وان ماتقول به بعض الأوساط ماهو الا أضغاث أحلام يحلمون بها ، ان المتدينين موجودون ، لكنهم مواطنون يؤدون واجباتهم وأعمالهم مثل غيرهم من الناس . صحيح ان حياتنا لاتقوم حسب الشرائع الدينية ، لكنها لاتضيق بالمتدينين ، ولاتعترض على من يريد تأدية واجباته الدينية ، ان كان في المسجد أو الكنيسة أو الكنيس أو غيرها من أماكن العبادة أو في البيوت ، لكن بشرط الابتعاد عن اذكاء نار الحزازات والاختلافات الدينية ، أو مجابهة الدستور والقوانين السوفيتية .

التعامل مع الفنون :

وفي لقائنا الذي تم في المسرح الوطني مع السيدة فاطمة مسؤولة الثقافة الجماهيرية في البلاد سألناها عن الموقف من الثقافة ، وكيف يوظفونها ؟

ـ قالت : اننا ننظر للثقافة من منظور استراتيجي ، يؤكد على أهميتها كصناعة ثقيلة ، توفر الأرضية المناسبة للبنى الأخرى ، ونوفرها بصورة مجانية لجميع الناس لاسيما ماتعرضه النوادي الثقافية من مسرحيات درامية وعروض سينمائية ، وعروض فنية غنائية وغيرها .

ويوجد في الجمهورية ٣٨٠ ناديا جماهيريا ، ويصل عدد المكتبات العامة الى ٤٤١ مكتبة .

وهدف النادي الثقافي في الأساس هو التقاط المكونات الثقافية من بين الناس ثم اعادتها اليهم بصورة ثقافية فنية ممتعة ، وبواسطة هذا الأسلوب نحافظ على كثير من التقاليد الشعبية ، ويمكننا تطويرها أيضا ، فان الهدف الاساسي للنادي هو أن يكون وسيلة اشعاع ثقافي ، يتلقى من الجماهير ويعطيها ، يأخذ ماهو خام ويلتقطه ، ثم يبث الثقافة المغربلة المتطورة الموضوعة ضمن أسس علمية فنية .

ـ وأضاف مدير المسرح الوطني في غروزني الى كلام السيدة فاطمة قوله : ان المسرح الوطني قد تم تأسيسه سنة ١٩٣١ ، ويوجد في العاصمة ثلاث دور عرض مسرحية ، تعرض مايزيد على (٥٠) مسرحية في السنة ، بينها مايزيد على ١٥ مسرحية من تأليف كتاب محليين ، والبقية يتم اختيارها من بين كتابات الكتاب السوفييت ، أو كتاب عالميين آخرين ، ويوجد مسرح خاص بالأطفال .

وأكد أن دور الفرق المسرحية لايقتصر على تقديم العروض في المدن فقط ، بل يتعداها الى تقديم العروض في ساحات القرى وميادينها ، وبعض عروض الفرق يتم تقديمها في مدن سوفيتية أخرى ، وقد وصل بعضها الى موسكو عاصمة البلاد كلها ، وأكد بأن العاملين في المسرح قد تخرجوا من معاهد فنية متخصصة .

ومادمنا نتكلم عن الفنون والفرق التي تقدمها فانه يجدر بنا الاشارة الى عرض الرقصات الفنية الذي شاهدناه في مسرح الفنون بمدينة نازاران ذات الأغلبية السكانية الانغوشية (عدد سكانها حوالي ٧٥ ألفا) ، وقد اعتمد على تقديم فقرات فنية للرقصات الشعبية المنوعة ، منها محلية ومنها رقصات لشعوب أخرى من شعوب الاتحاد السوفيتي ـ قال لنا السيد بسلان مدير الفرقة وخريج قسم البالية من معهد موسكو الفني سنة ١٩٨٣ : ان عدد أفراد الفرقة يصل الى حوالي ٩٠ فردا ، بين عازف ومؤد وراقص وراقصة ، يقدمون رقصات هي عبارة عن مزيج من الفن التقليدي المحلي والفن المطور ، وبعضها يبقى عليه كما هو دون تطوير أو تحوير . وأضاف قائلا:ان الفرقة قد تم تأسيسها سنة ١٩٨٣ ، وقد قدمت بعض عروضها في عاصمة الجمهورية غروزني ، وفي موسكو أيضا ، وللفرقة برنامج سنوي لايقتصر على تقديم العروض في المدينة فقط ، بل يتضمن تقديم العروض على مسارح المصانع وفي القرى وميادينها . وقد اشترك في أداء الرقص مع الفرقة طفل عمره ٥ سنوات ، وقد أدى بعض الرقصات الفردية .

والرقص الشعبي في بلاد القفقاس عموما يعتمد على حركات عنيفة سريعة الايقاع ، تقتضي الوقوف على اصابع الارجل أحيانا ، والتوقيع المتتالي بواسطة الأرجل والأكف .

تقاليد حتى في الصناعة :

« يمكن ابراز المكونات الوطنية الخاصة في الصناعة أيضا » ، هذا ما قاله لنا السيد موسى حسين دوشكييف المدير العام لمصنع الملبوسات في مدينة غروزني . وأضاف : هناك انماط تقليدية من الملابس النسائية ، نصنعها أحيانا كما ورثناها ، وفي بعض الأحيان يضيف عليها بعض التطوير والتغيير مصمموا المصنع ، أما باقي المصنوعات فانها تخرج



السيد حاتشادروف مياسوفيتش



السيد موسى بيو





السيد اصحب مكييف

من النمط التقليدي الى النقشات والأساليب الحديثة

صحيح أن مصنعنا مازال في أول شبابه (أنشيء سنة ١٩٧٦ بعد اندماج مجموعة من المصانع الصغيرة) لكنه يملك من الخبرات مايؤهله الى تغطية احتياجات الجمهورية ، بل والتصدير الى جمهوريات أخرى من جموريات الاتحاد السوفييتي ، ويعمل فيه حوالي ٢٥٠٠ عامل وعاملة ، معظمهم متخرجون من معاهد فنية صناعية ، وننتج حوالي ١٦٠ نوعا من الملبوسات بعد أن كنا ننتج ١٣ نوعا في البداية

ومن الطبيعي أننا نواكب التطورات الحاصلة في مجالنا الصناعي ، لذلك فان التقنية الحديثة يتم ادخالها في كثير من محطات العمل . ويوجد ٩ أقسام أو على الأصح ٩ مصانع صغيرة قائمة في مدن وقرى الجمهورية الأخرى ، وهي عبارة عن فروع تابعة لهذا المصنع ، وقد اشتركنا في معارض دولية لصناعة الملابس ، وحصلنا على (ميداليات) ذهبية على تصاميمنا المتعلقة بملابس النساء .

واننا نراعي اجراءات السلامة بالنسبة للعاملين والعاملات في المصنع كما ترى ، في المصنع نقابة للعاملين فيه ، ولجنة حزبية ، ومركز تدريبي ، واستراحة للاستجمام ، ومن ضمن خططنا الطموحة بناء بيوت خاصة بالعاملين في المصنع ، وروضات خاصة بأطفالهم .

صحيح أن الدولة توفر كل ذلك الآن ، لكننا يمكن أن نساهم كادارة للمصنع - في التخفيف عن كاهل الدولة ، بايجاد بدائل مناسبة فيه ، وفوارق الأجور لاتتعدى الضعفين بين العامل المبتدىء والعامل الممتاز الذي أصبح يملك خبرة طويلة في عمله ، والمعدل الوسطى للأجرة يصل الى حوالي ١٥٠روبل شهريا .

زائر المرة الأولى :

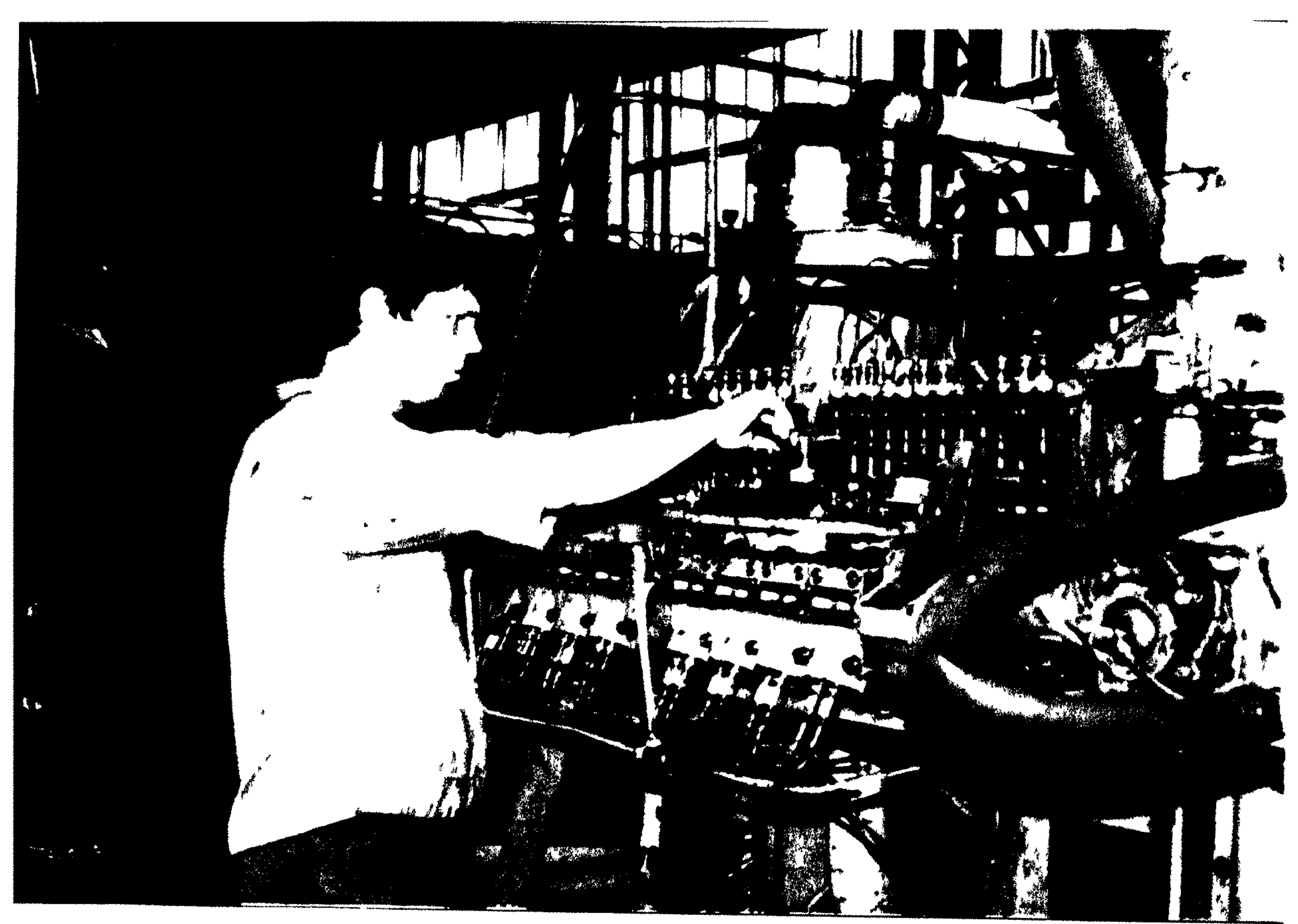
زائر المرة الأولى لاي بلد يحاول قدر الامكان الالمام بالصورة العامة للبلد الذي يزوره ، وبما أن زيارتنا لجمهورية (شيشانيا انغوشيا) كانت الأولى ، فاننا نسجل بعض الانطباعات العامة حول بعض مارأته العيون وسمعته الآذان :

- كأي بلد شرقي آخر ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، كان معتنقو الاسلام فيه هم الأكثر بالنسبة للديانات الأخرى ومازالوا كذلك ، فان بعض المظاهر التي لها دلالاتها مازالت حاضرة ، ومنها على سبيل المثال :

- تكوينات فنية ذات طابع شرقي واسلامي على شرفات البيوت والنوافذ ، كالتكوينات الهندسية وشكل الهلال ، وتكرار هذه التكوينات في عدة أشكال وعدة أوضاع .

- كتابة الأسماء والآيات القرآنية بالعربية ، أو باللغة المحلية ذات الحروف العربية على المقابر ورسم الهلال .

- استمرار ارتداء المرأة الشاشانية الانغوشية غطاء رأس يغطي رأسها ، وبخاصة النساء الكبيرات في السن ، أما الصبايا فان معظمهن يضعن منديلا أو



* عامل ومصنع لتكرير البترول بالقرب من عروزني

شريطا على جزء من شعرهن

وتعرف أن هذه الفتاة (شاشانية انعوشية) في معظم الأحيان - من المدنل او الشريط المتداخل بخصلات شعرها

- بالرغم من أن عدد سكان العاصمة عروزني لايتجاوز ربع مليون نسمة ، وان الأغلبية فيها من الشاشان ، فانك لاتجد فيها مسجدا ، بل تجد فيها كنيسة وعندما سألنا مرافقنا (واحة) ان يفسر لنا هذا الامر قال -

- ان القانون عندنا - كما في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي - يسمح لعشرين فردا فاكثر أن يتقدموا بطلب لبناء مكان عبادة ، والصرف ورعاية كل شؤونه ، فاذا ماوجدت السلطات الرسمية أن الطلب جدي ، وأن مقدميه يملكون الأهلية المناسبة منحهم الاذن بذلك ، وعلى مايبدو ان هذا الامر لم يتم في مدينتنا من قبل المؤمنين المسلمين

علقت قائلا لكننا رأينا مساجد خارج المدينة في بعض القرى المحاذية للطريق ، فهل يمكن ارجاع الامر الى ان الريفيين مازالوا متمسكين أكثر من سكان المدينة بالأمور الدينية ؟

- أجاب واحة لا أعتقد أن الأمر كذلك ، وكل ما أعرفه أنه يوجد من يصلي في المدينة أيضا ، لكنهم يصلون في بيوتهم

لم تشف الاجابة غليل الأسئلة في نفسي ، فما كان مني الا أن بحثت عن اجابات مقنعة في الكتب فوجدت أن بعض المصادر تقول بأن مدينة عروزني (وتعني بالروسية المخيف أو الرهيب) قد بناها الروس عندما احتلوا كل منطقة القفقاس ، منذ مايقرب من قرنين من الزمان ، بالقرب من مكامن النفط والغاز ، بل وكان الروس فيها أغلبية حتى سنوات قليلة ، ومن الطبيعي اذن وجود الكنائس فيها ، وبخاصة أن الدولة القيصرية كانت تتبنى الديانة المسيحية الارثوذكسية واما المسلمون الذين كانوا يدينون بدين يلاقي رعاية اقل ان لم يكن محاربا في زمن القيصرية فان اغلبيتهم كانت تتمركز في الجبال ، وبخاصة أولئك الذين حملوا السلاح منهم



* بعض خيرات الأرض تباع على الطرقات لاحظ ملابس النساء

وقاوموا السلطة ، وحين قامت السلطة السوفيتية سنة ١٩١٧ ابقت على حرية الاعتقاد الديني . لذلك تم بناء بعض المساجد في عوروبي وغيرها

الا ان ماحصل أثناء الحرب العالمية الثانية وسيحة لمواقف بعض قطاعات الشعب الشاشاني الانغوشي المؤيد لهتلر ، (لاسيما مواقف بعض رجال الدين) دفعت القيادة التي كان على رأسها ستالين لاتخاذ رد فعل عنيف ، فاصدرت الأوامر بنفي الشعب كله الى المنافي ، ثم اهمال المساجد وهناك محاولات جارية الان لترميم بعضها وبخاصة في العاصمة غروزني

ـ عندما زرنا المستشفى المركزي في مدينة (باراران) قدم لنا الدكتور كتييف متم محمد مدير المستشفى معلومات تفصيلية عن دور المستشفى ، والأقسام العاملة فيه (٢٨ قسما) ، وعدد العاملين ، واختصاصاتهم ، ونسبة الأطباء للمرضى (طبيب لكل ألف مريض وهي ـ حسب رأيه ـ من أفضل النسب عالميا) ، وذكر ملاحظة أثارت الاهتمام ، اذ أنه نفى وجود مدمنين على المشروبات الكحولية او المخدرات ، وأنه لايوجد اي قسم في المستشفى يعالج هذه الحالات ، بل اضاف بأنه لايوجد مثل ذلك في كل مستشفيات الجمهورية وسألت عن اسباب ذلك ، وهل الأمر يتعلق بالاجراءات الأخيرة التي اتخذتها السلطة السوفيتية في كل الجمهوريات للحد من الاقبال على المشروب فجاء الجواب : ان الأمر في بلادنا يعود الى ما قبل ذلك بكثير ، اذ أن المسكرات غير مقبولة ، وغير مستساغة حسب لتقاليد التي ورثناها عن ابائنا ، وأن قلة نادرة من الناس عندنا تحتسي المشروب ، الا أنها تحاول أن تستتر على نفسها ، ولاتمارس ذلك علنا »

فعلقت قائلا ان الأمر لايخرج عن نطاق الموروث الديني الذي ينهي عن المسكر

وسمعت تعليقا يقول لقد اصبح ذلك جزءا من تقاليدنا وعاداتنا

وأردنا أن نمتحن مصداقية معلومات عدم الاقبال

على المشروب ، فجلسنا في المقهى الرصيفي التابع للفندق الذي كنا ننزل فيه في مدينة غروزني ، وهناك تابعنا الرواد والرائحين والغادين ، وكانت حصيلة مالاحظناه التالي : ـ

من النادر جدا أن ترى امرأة تدخن ، ومعظم من يدخنون من الرجال (قلة قليلة ، ايضا) وهم من الشبان ، وأقل القليل منهم هو الذي يحتسي الخمر ، ومن النادر مصادفة السكارى التقليديين بترنحاتهم وأصواتهم العالية وضجيجهم في الطرق الرئيسية .

مسجد غودرمس :

تقع مدينة (غودرمس) على بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا من مدينة (غروزني) ، وهي مدينة تتربع في سهل زراعي تجد عند مدخلها عشرات النساء والاولاد والبنات ، يبيعون العسل والفواكه والخضار ، عدد سكانها حوالي ٦٠ ألف نسمة غالبيتهم من الشاشان ، وقصدنا مسجدها الذي تملأ جوانب حيطانه الأيات القرآنية الكريمة المكتوبة بلغة عربية سليمة .

قال امام المسجد الشيخ أبو بكر عبد الرشيد الذي يتجاوز عمره ٧٥ سنة : ان طول المسجد ٣٨ مترا ، وعرضه ١٢ مترا ، ومبناه عبارة عن طابق أرضي واحد ، يتسع لحوالي ألف مصل ، وقد بنى قبل سنة ١٩١٧ ، وكانت فيه مدرسة دينية ، أغلقت ، وأصبح على من يود دراسة علوم الدين أن يلتحق بمدرسة (مير عرب) في مدينة بخارى ، ونحن نقوم بتجديد البناء وترميمه بين فترة وأخرى . وحول صلاة النساء في المسجد قال الشيخ أبو بكر : « ان المذهب الشافعي لايبيح صلاة النساء في المسجد ، لذلك فانهن يصلين في بيوتهن ، وأضاف بأن من بين المصلين تجد الشيخ والكهل والشاب .

في بيت عائلة شاشانية :

استضافنا السيد جمال ليلى في بيته بمدينة غودرمس ، رجل تجاوز الستين من عمره ، له ولدان وبنت واحدة ، كلهم متزوجون ، فالفتاة تزوجت من رجل يقيم في اقليم ستفربول القريب (وهو يقع في الشمال الغربي من الجمهورية ، وتقع أوسيتا الشمالية في الغرب منها ، وفي جنوبها داغستان وجورجيا ، وفي الشمال منها داغستان واقليم ستافربول وجانب من أوسيتا الشمالية ، وفي شرقها داغستان) .

وقد أحيل هذا الرجل على التقاعد بعد بلوغه الستين ، فيما استمرت زوجته بالعمل ، وهو يعمل الآن لحسابه الخاص « سباكا » ، وكان آخر معاش حصل عليه هو ١٦٠ روبلا .

وعن بيته المبنى من طابقين قال : لقد بنيت البيت بعد أو وفرت مبالغ قليلة من عملي وعمل امرأتي ، وحصلت على قرض من البنك بمبلغ ألف روبل ، مدة سداده عشر سنوات ، بدون فوائد خلال السنوات الثلاث الأولى ، والفائدة السنوية في السنوات اللاحقة هي ٢/١ في المائة ، وقد حصلت على قرض آخر من بعض الأصدقاء ، كما ساهم بعضهم في البناء ، وهذه طريقة متعارف عليها في بلادنا ، نسميها (بلخي) ، حيث يساهم مجموعة من الأصدقاء في مساعدة بعضهم البعض في أية ضائقة تصيبهم أو احتياجات يحتاجونها . وبالقرب من بيتي بنى الولدان بيتهما بعد زواجهما ، أحدهما يعمل في مزرعة تعاونية ، ويتقاضى ٢٥٠ شهريا روبلا ، والأخر يعمل سائقا ويتقاضى ١٥٠ روبلا ، وزوجتاهما تعملان في التمريض ، أما أطفالهما الصغار فان بعضهم مسجل في الروضات ، والكبار منهم في المدارس الابتدائية .

* وعن زواجه بواحدة قال انني متزوج امرأة واحدة فقد كانت القوانين السائدة قبل الثورة تبيح الزواج بأكثر من واحدة ، أما القانون السوفيتي فانه لايبيح الزواج بأكثر من زوجة واحدة .

وحول موضوع المواريث قال : ان الارث الآن يوزع على الابناء والبنات بالتساوي ، ومن عاداتنا أن البيت يؤول بعد وفاة صاحبه الى أصغر الأبناء ، ويزوره الأبناء الأخرون أو البنات بصفته بيت العائلة ، واذا لم يكن هناك أولاد أو بنات من صلب الرجل ، فان البيت يمكن توريثه بعد ستة أشهر من وفاة صاحبه الى أقرب الأقارب ، واذا كان غير موجود فانه يؤول الى الحكومة .

* هل تصلى ياسيد جمال ؟ (وانضم الينا في هذه اللحظة السيدان أحمد وعبد الوهاب برحجي) فقالوا جميعا : نعم نصلي ، لكن الدين لايتدخل في تسيير حياتنا ، والأبناء يمكن أن نوجههم نحو مانعتقد أنه مناسب لهم ، لكنهم أحرار في اتخاذ الموقف المناسب لهم « لا اكراه في الدين » .

* من هو صاحب القرار في البيت ؟

أجاب السيد جمال : طبعا الرجل .

ونظرت لأحد الأبناء وسألته : ماذا تقول ؟

فأجاب : ان الأمر يتم من خلال المشاورة

والمداولة بين الزوج وزوجته ، مادام الأمر يتعلق بأشياء ومواقف تهمها سويا ، ان للمرأة رأيها كما أن للرجل رأيه .

* كيف تنظرون الينا ؟ وماهي انطباعاتكم عن العرب ؟

قال الرجال الثلاثة بعد تمعن ولحظة صمت : أرضكم أرض مقدسة ، انها وطن الدين والاسلام ، ونتمنى لهذه الأرض السلام والصفاء ، وكل الخير والمحبة لشعبها .

- ملحق -

أثناء زيارة بعثة مجلة العربي لمدينة عمان ارتأت مقابلة بعض الشاشان فيها للاستيضاح عن بعض المعلومات المتعلقة بعاداتهم وتقاليدهم ، فكان لقاء بالسيد موسى بينو رئيس بلدية بلدة صويلح - القريبة من عمان - سابقا ، وبأخيه المهندس سعيد وزير الأشغال الأسبق وبعض أولادهم وبناتهم . قالوا : لقد جاء آباؤنا الى صويلح حوالي سنة ١٩٠٤م . - السيد موسى من مواليد سنة ١٩١٣ ، والسيد سعيد من مواليد سنة ١٩٢٧ - وقد جاء معهم ناس من الشاشان الى الزرقاء سنة ١٩٠٣م

وأضافوا : أصلنا من بلدة بينا - والألف تلفظ واوا عندنا - وهي تبعد حوالي ٨٠ كيلو مترا عن العاصمة غروزني من ناحية الحدود الداغستانية . وقد زار أناس كثيرون من شاشان المملكة الأردنية الهاشمية بلادهم الأصلية في كثير من المناسبات ، وبعض الطلبة الشاشانيين يذهبون للدراسة هناك ، وأشاروا الى احدى فتيات العائلة وقالوا بأنها مازالت تدرس هناك في جامعة مدينة غروزني .

وعن بعض العادات والتقاليد قالوا :

« فعلا ان المدخنين قلة نادرة في شعبنا ، واحترام الكبير واجب عندنا ، وعندما دخل السيد موسى وقف كل من كان موجودا في الغرفة احتراما له ، وهذا أمر تشترك فيه المجتمعات الاسلامية والشرقية . أما بالنسبة لصلاة المرأة - حسب المذهب الشافعي - فانهم أكدوا بأنها يمكن أن تصلي في المساجد .

أما بالنسبة للعلاقة بين الأب والابن فقالوا اننا كمجتمع جبلي لانحبذ العاطفية الزائدة . وان الطفل اذا ما كبا وتعثر بحضور الجد أو الاب - على سبيل المثال - فان الأب لايمكن أن يقيله من عثرته ، بل يترك الأمر للمرأة ، كما أنه لايستحسن اصطحاب الرجل لأبنائه في رواحه وغدواته حتى ولو كان ذلك الى المسجد ، وان عالم الرجال عندنا عالم منفصل عن عالم المرأة والأولاد ، وانها بعض العادات التي مايزال بعضها مطبقا حتى الآن .

لاينتهي عند عتبة الباب :

آثرنا أن ننتقل بالسيارة بدلا من الطائرة عند انتهاء رحلتنا الى بلاد الشاشان والانغوش ، وقلنا ان الطريق البري يطلعنا على بعض المعالم في البلاد ، (تبعد غروزني عن أقرب نقطة حدود من ناحية داغستان حوالي ١٥٠ كيلو مترا) . وهكذا كان ، فرأينا الأرض الزراعية الشاسعة ، وخضرة الحقول المزروعة بالفواكه والخضراوات ترافقنا الطريق ، وأحيانا ترافقنا صفرتها بعد تمام حصاد القمح أو الذرة فيها ، وأحيانا أخرى يرافقنا منها الأخضر والأصفر معا وذلك إذا ما كانت الحقول مزروعة بنبات دوار الشمس ، فالحقول المزروعة به كثيرة .

اصر السيد واحة والسائق على توصيلنا الى مدينة مختشكلا عاصمة الداغستان ، على اعتبار أن ذلك هو أحد التقاليد المرعية في بلادهم وعلى نقطة الحدود التي لا يوجد عليها الا لوحة تشير الى ذلك استقبلتنا مجموعة من الرجال ، ورتبوا لنا جلسة ود بالقرب من مزرعة لكروم العنب وأصروا على أن نتناول بعض المأكولات والفواكه - قال لنا المرافق : ان ذلك تقليد ، ويجب أن تخضعوا لطقوسه ، ثم قالوا لنا كلمات مليئة بالحب والتعاطف والاخاء ، فأحناهم بكلمات تقطر شكرا وعرفانا لانهم سهلوا مهمتنا ، وتبادلنا معهم الأمنيات برفاه كل الشعوب وتقدمها وسيادة السلام العادل لكل أقطار العالم .

وبرز الخنجر الفضي لامعا بيد مستقبلنا الداغستاني سلطان ، وقال : هذا تقليد جبلي داغستاني انه لكم ، نهديكم اياه ، وهو رمز للدفاع عن الوطن - فعبرنا له عن شكرنا وتقديرنا ، وكان لابد من وداع ، ولسان حالنا يقول قد نلتقي وقد لانلتقي ، لكننا أعطيناكم بعض مانعرف عن بلادنا وأودعتمونا بعض ماتعرفون عن بلادكم ونأمل أن تتسع جسور المعرفة بيننا،وفي تلك اللحظة تذكرت قولا للشاعرة الشاشانية السوفيتية رئيسة اخماتوفا ، تقول فيه : « منذ القديم والقرويون الجبليون في بلدي يعتبرون أن الوطن يبدأ دائما عند عتبة باب البيت ، واليوم يقولون ان الوطن يبدأ عند عتبة الباب ، لكنه ولأي سبب كان قد لاينتهي هناك » . □



سبتة ومليلية أرض عربية

بقلم : الدكتور خالد محمد نعيم

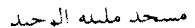
عادت مشكلة سبتة ومليلية المغربيتين والواقعتين تحت الاحتلال الاسبانى الى الظهور على سطح الأحداث ، ومع بداية العام الحالى بدأت حركة عصيان مدنى تصحبها اشتباكات دامية بين قوات الاحتلال والسكان المغاربة الذين يتطلعون الى التخلص من نير الاستعمار .

أعلن الشيخ « عمر محمد دودوح » زعيم المسلمين المغاربة فى مدينة (مليلية) المغربية ، الواقعة تحت سيطرة الاستعمار الاسبانى فى يوم ٨ فبراير من هذا العام (١٩٨٧) ـ بأن المغاربة فى المدينة قرروا تنظيم حركة عصيان مدنى ضد سلطات الاحتلال الاسبانى ، وان العصيان سيشمل الامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة جميع المحال التجارية ، ووسائل النقل والأماكن العامة والخاصة فى المدينة ، وان هذا العصيان سيستمر حتى يتم اطلاق صراح المسلمين (العرب) التسعة الذين اعتقلتهم



لجيوب سبتة لصيد عملا لمساء
يحرم منها اهل البلاد المغاربه





مسجد مليلية الوحيد

السلطات الاسبانية ، فى أعقاب حوادث العنف ، التى تصاعدت فى مليلية الاسبوع الماضى »

وكانت مليلية قد شهدت ليلة ١٨ ديسمبر ١٩٨٦ اشتباكات دامية ، بين المتظاهرين ، من السكان المغاربة المسلمين ، وبين سلطات بوليس الاحتلال الاسبانى مما أدى الى اصابة سبعة من رجال البوليس وأحد المتظاهرين ، وكانت هذه المظاهرات قد تفجرت إثر اعتقال سلطات البوليس الاسبانى (للشيخ عبد الرحمن محمد) ، أحد الزعماء المسلمين ومعه ثمانية من رفاقه الذين يقودون فصائل حركة المقاومة الاسلامية ضد الوجود الامبريالى الاسبانى فى مليلية ، ووجهت اليهم جميعا تهمة تهديد أحد أصحاب المتاجر لرفضه الاشتراك فى اضراب عام كانت قيادات فصائل حركة المقاومة الاسلامية قد دعت اليه يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨٦

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن محمد ، امام المسجد الوحيد فى مليلية من أبرز الزعامات الدينية ، فى المدينة ، التى تناهض المحاولات المتكررة والمستمرة من جانب الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية ، لتحويل المسلمين المغاربة الى النصرانية

وبذلك عادت مسألة (بقايا المستعمرات الاسبانية فى الوطن العربى) لتحتل واجهة الصدارة فى اهتمامات وسائل الاعلام العالمية ، بعد غيبة طويلة ، وكانت وكالات الأنباء العالمية ، خلال شهر أغسطس ١٩٨٦ ، قد طيرت خبرا ، بأن الحكومة الاسبانية سوف تعين ـ فى وقت قريب جدا ـ مندوبا جديدا فى مدينة (مليلية) خلفا للجنرال الاسبانى (أندريه موريبوجويار) ، الذى تتهمه الأوساط الاسبانية المتطرفة (اليمين الاسبانى) بتعاطفه مع المغاربة المسلمين فى المدينة المحتلة ، هذا فى الوقت الذى مازال (مليلية) تعيش مضاعفات ـ ردود فعل ـ اغتيال المناضل المغربى (محمد احريقة) ، على

أيدى اثنين من رجال البوليس الاسبانى ، فى شهر يوليو ١٩٨٦ ، وسيطرت بوادر القلق والتوتر على جو العلاقات المغربية الاسبانية ، وخاصة بعد تطبيق (قانون الأجانب) على المغاربة أصحاب الأرض .

وأمام تصاعد عمل فصائل حركة المقاومة الاسلامية ، داخل مليلية ، حاولت الأوساط الاسبانية أن تحتوى الأزمة القائمة فى المدينة « بأن أصدرت وزارة الداخلية الاسبانية فى ٢ سبتمبر ١٩٨٦ قرارا بتعيين (الشيخ عمر محمدى دودوح) زعيم الجالية الاسلامية فى مليلية ، مستشارا لوزير الداخلية الاسبانية ، لشئون الأقليات فى محاولة من جانب حكومة مدريد لتفريغ المقاومة الاسلامية بالمدينة ، ويلاحظ ان هذا المنصب مستحدث ، وتعد هذه هى المرة الأولى ، التى يتم فيها تعيين أحد المسلمين المغاربة ، فى مليلية ، بمنصب مهم .

وكان الشيخ عمر دودوح ، قد تزعم حركة احتجاجات عنيفة ، خلال الأشهر القليلة الماضية (يوليو أغسطس ١٩٨٦) ، للاعتراض على (قانون الأجانب) الذى عرَّض معظم سكان مليلية - البالغ عددهم عشرين ألفا من المسلمين المغاربة - للطرد من المدينة ، وكان الشيخ عمر دودوح ، قد حصل على تعهد من حكومة مدريد ، بعمل احصاء دقيق للأفراد المسلمين ، المستحقين للجنسية الاسبانية . . !

ورغم أن الأحداث الأخيرة التى جرت تكشف بوضوح عن أنه لم يحدث أى تغيير فى سياسة اسبانيا الاستعمارية تجاه الوطنيين المسلمين فى مليلية ، وأن الاسباب التى فجرتها الأحداث مشابهة للأسباب القديمة ، غير أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام ، هى تزامن هذه الأحداث الأخيرة فى مليلية ، مع انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى فى الكويت ، فى أواخر شهر يناير ١٩٨٧ .

الأصول التاريخية لمسألة مليلية وسبتة

وترجع الجذور التاريخية لهذه المشكلة ، الى نهاية القرن الخامس عشر والسنوات الأولى من القرن السادس عشر ، حيث إن هذه السنوات قد شهدت مرحلة تطور وتحول خطيرين للبلاد المغربية ، وكانت سنوات النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، قد شهدت تطورات كبيرة - أيضا - فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، أثرت على مستقبل المغرب الكبير ، وعلى مستقبل سكانه ، ومستقبل المسلمين الموجودين فيه ، والمسلمين المغاربة فى كل شمال افريقية .

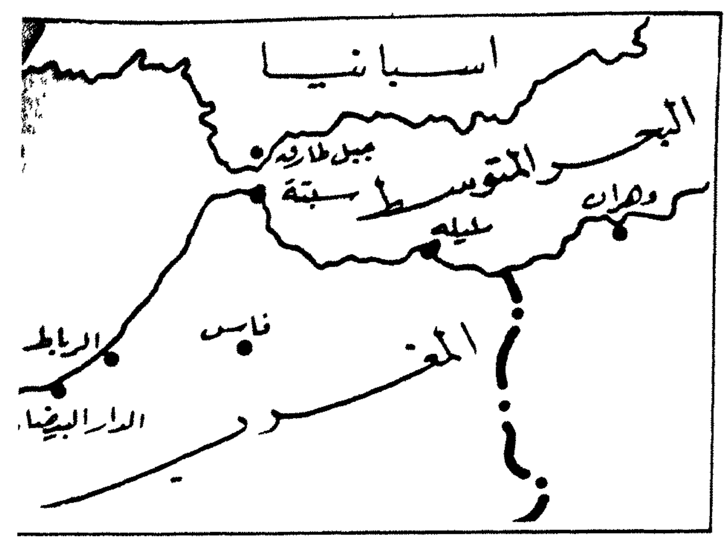
واذا كان فرسان ونبلاء - العصور الوسطى - قد حاولوا التغلب على الأقطار العربية والاسلامية ، عن طريق البر ، فإن العصور الحديثة قد شهدت محاولات متصلة من جانب أبناء الطبقات الوسطى الأوروبية ، للسيطرة على الأقطار العربية الاسلامية ، بقوة السفن ، وبقوة رؤوس الأموال ، وبقوة التجارة ، وهى الوسائل العملية الجديدة ، فى بداية العصور الحديثة .

لقد كان اتجاه (فرديناند وايزابيلا) الى توحيد اسبانيا ، يعنى انتزاع السلطة من أيدى المسلمين فى الأندلس ، ولذلك فقد كانت معركة دامية بين الاسبانيين وبين المسلمين ، حيث استخدم الاسبانيون فيها كل شدة ممكنة ، وكل تعصب يمكن تصوره ، وعندما حاولت القيادات الاسلامية الموجودة فى شمال افريقية - فى ذلك الوقت - ارسال بعض النجدات للمسلمين فى الأندلس ، كانت هذه النجدات غير فعالة ، ولم تؤد الى نتيجة لها قيمتها ، حيث كانت القوى الكاثوليكية متفوقة فى النواحى الاقتصادية والعسكرية . وفى الجانب الآخر ، كانت عوامل الضعف قد أخذت تعمل فى الامارات الاسلامية فى بلاد المغرب الكبير ، ونتج عن هذه العملية ، وعن القسوة والوحشية التى ارتبطت بها ، تدعيم نظام محاكم التفتيش فى الأندلس ، وبشكل كان يجبر المسلمين على قبول التعميد ، أو الخروج من البلاد ، وفى فترات محددة وقصيرة .

أهداف تآمرية

وكان لقرب الامارات الاسلامية المغربية ، من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وارتباط المعركة بمسألة طرد (الموريسكيين) من الأندلس أن تبلور الصراع بين الصليب والهلال ، وحتى اذا كان هدف ملوك اسبانيا من وراء هذا الصراع - كما يدعون - توجيه الرأى العام بعيدا عن المشكلات الداخلية ، وخصوصا أمام عملية بناء سلطة الدولة الحديثة ، فان هذه العملية كانت توصل - فى نفس الوقت - الى زيادة روح العداء بين المسيحيين والمسلمين المغاربة ، وتعمل بالتالى على استمرارية حالات التوتر بين الطرفين .

من هنا تجمعت الدوافع التى سيَّرت العلاقات العربية الأندلسية أو الاسلامية الكاثوليكية صوب اصطدام مسلح ، وفى كل النقط التى يحدث فيها الالتقاء .



حريطة تبين موقع كل من سته ومليلة في المعرب .

ولقد اشتملت خطة الاسبان والبرتغاليين ، على تطويق أقاليم المغرب الاسلامية ، ثم احتلال موانئه المطلة على البحر المتوسط ، وتحويلها الى المسيحية ، لقد ذهبت (الملكة ايزابيلا) الكاثوليكية الى أنها كتبت فى وصيتها ، « ضرورة قيام الكاثوليكيين بغزو بلاد المغرب ، وتحويل المغاربة المسلمين الى الدين المسيحى ، ورفع علم الصليب الاسبانى عليه ، بدلا من اعلام الهلال »

لقد قام البرتغاليون باحتلال بعض موانىء المغرب ، فاحتلوا (سبتة) عام ١٤١٦ ، ثم أخذ الاسبانيون فى احتلال (مليلية) فى عام (٨٧٦هـ ـ ١٤٩٦هـ) التى كانت جزءا من مملكة تلمسان ، وراح الاسبانيون ينفذون وصية (ايزابيلا) ، باحتلال شمال افريقية ، لتحويل مسلميه الى المسيحية ، فاحتلوا (المرسى الكبير) ، فى عام ١٥٠٥م ، وبعد أن سقطت البرتغال فى يد الاسبانيين ، أصبحت (سبتة) من ممتلكات التاج الاسبانى منذ عام ١٧٣٥م ، وهكذا غدا للاسبانيين عدة جيوب متناثرة على الساحل الغربى الممتد من المحيط الأطلسى حتى طرابلس الغرب .

موقع مليلية وجغرافيتها

ومليلية التى تسمى عند البربر (تامليلت) ، أى « البيضاء » مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط ، ويأخذ جانبها المحاذي للبحر شكل قوس نصف دائرى ، ومساحتها تصل الى ١٢,٣ كيلومترا مربعا ، ويقطنها ـ اليوم ـ حوالى ١٠٠ ألف نسمة ، وهى تبعد عن الحدود المغربية الجزائرية بنحو ١٢ ميلا ، وقد تحول أهلها الوطنيون الى أقلية ، ويصل عددهم فيها الى ٢٠ ألف نسمة من المسلمين المغاربة

ويصور (الحسن الوزان) المأساة التى حلت بمليلية يوم أن احتلها الاسبان فى عام ١٤٩٦ ، فيقول « بعث ملك اسبانيا أسطولا » بقيادة دوق (مرديناسيدونيا) ، لحصارها ، لكن السكان أخبروا به قبل وصوله ، فاستصرخوا ملك فاس ، إلا انه كان مشغولا بحرب القبائل . . فلم يبعث لهم الا بفرقة خفيفة ، مما جعل أهل مليلية ـ الذين كانوا على علم بضخامة الأسطول الاسبانى ـ يتوقعون العجز عن الصمود ، فأخلوا المدينة وفروا بأمتعتهم الى جبال (بطيوه) ، وأمام هذا الأمر أضرم قبطان الملك النيران فى جميع الدور ، وأحرق المدينة ، إما عقابا للسكان وإما نكاية بالغزاة ، ووصل الأسطول الاسبانى بعد الحريق ، ووجم الغزاة ، ولكنهم عزموا على عدم التخلي عن المدينة ، وأقاموا منها حصنا ، وبنوا الأسوار من حوله ، واتخذوا منه قاعدة حربية للهجوم ـ بعد ذلك ـ على الشاطىء الافريقى ، ولضربه بالقنابل .

ومنذ ذلك التاريخ ومليلية تحت نير الاستعمار الاسبانى !!

المشكلة عبر التاريخ

ومنذ عام ١٦٨٥ ، ومحاولات المغرب لا تتوقف لاسترداد الأراضى المغتصبة ، غير أن معاهدة لشبونة فى عام ١٦٨٨ قد أقرت ملكية اسبانيا لمليلية وسبتة وملحقاتها ، ومع مرور القرون ـ على تلك الملكية ـ تصور البعض أنه كان من الصعب على المغرب استرجاع مليلية وسبتة ، وذلك لادعاءات المستعمر الاسبانى المتكررة بأنها أصبحتا أرضا اسبانية خالصة ، وبالتالى غدا الدفاع عنها دفاعا عن العمق الاستراتيجى لاسبانيا ، مع الأخذ فى الاعتبار ان المدينتين يمثلان من وجهة النظر السياسية والجغرافية ـ امتدادا طبيعيا للتراب المغربى ، خصوصا أن المغرب يمتلك من المبررات التاريخية ما يؤكد أحقيته فى استردادهما ، فى حين أن المستعمر الاسبانى يعتبر (مليلية) من وجهة النظر القانونية « منطقة اسبانية فى الجسم المغربى الأم » .

وكان المغرب ـ ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع [illegible] فى تحرير مليلية ورؤية بقية

أقاليمه الأخرى محررة ، خصوصا أن هذه المستعمرات الاسبانية ـ قد تحولت الى قواعد استراتيجية ، لذلك فان حكومة مدريد كانت تقلل من هيبة الحكومة المغربية تجاه الأهالى ، بينما كانت اسبانيا ترى ـ وخصوصا بعد احتلال فرنسا للجزائر فى عام ١٨٣٠م ـ ضرورة توسعها فى الأقاليم الشمالية من المغرب كذلك ، والحصول على مركز متميز عن كل من فرنسا التى احتلت الجزائر ، وانجلترا القابعة فى قلعة جبل طارق ، الأرض الاسبانية !!

الحرب الأسبانية المغربية

ولما كان من الصعب على اسبانيا أن تسترجع قلعة جبل طارق من انجلترا ، فانها حاولت أن تحصل على نجاح متميز فى شمال المغرب ، قبالة جبل طارق ، يعوض فشلها فى بلادها ، لذلك أخذت حكومة مدريد ، ومنذ عام ١٨٥٨ ، تهدد باحتلال المغرب ، ثم ساقت الظروف حادثة أسر رجال الريف المغاربة لاحدى السفن الاسبانية ، فاستغلتها مدريد ، وجعلت منها ذريعة أرسلت على أثرها أسطولها أمام طنجة ، كما أخذت ترسل الامدادات الحربية الى قواعدها فى سبتة ومليلية .

وعلى الرغم من أن رجال الريف ، تركوا السفينة الاسبانية ومن عليها ، الا أن اسبانيا أعلنت الحرب على المغرب ، فى ٢٤ اكتوبر عام ١٨٥٩ ، وأيدها فى ذلك كل الرأى العام الأوروبى ، وانتشرت الحماسة مع روح صليبية فى كل اسبانيا ، وأخذ الناس يتبرعون بما يملكون للمساهمة فى مواصلة نشر (الايمان الصحيح) ـ المسيحية الكاثوليكية ـ بين سكان شمال افريقيا ، وجددت الملكة (ايزابيلا الثانية) ما قامت به (ايزابيلا الكاثوليكية) ، من منح جواهرها ومصاغها (لهذه الحرب الصليبية) فقد كانت أياما مليئة ومشحونة بالعواطف والتعصب ، وعادت بكل من اسبانيا والمغرب الى نهاية القرن الخامس عشر .

وتحرك الأسطول الاسبانى ، فى شكل طابور من أربع عشرة سفينة حربية ، تم استئجار معظمها من فرنسا وبريطانيا ، على ظهرها ٤٤ ألف مقاتل ، قاصدا شمال المغرب ، فاحتل (تطوان) فى ٦ فبراير عام ١٨٦٠ . ومع أن القوات المغربية ، بقيادة شقيقي السلطان ، لم تستسلم فى هذه الحرب رغم الخسائر الجسيمة التى وقعت فيها ، فان توقف الحرب جاء نتيجة للضائقة المالية التى وقعت فيها كل من المغرب واسبانيا ، وهى التى حالت دون مواصلة العمليات الحربية .

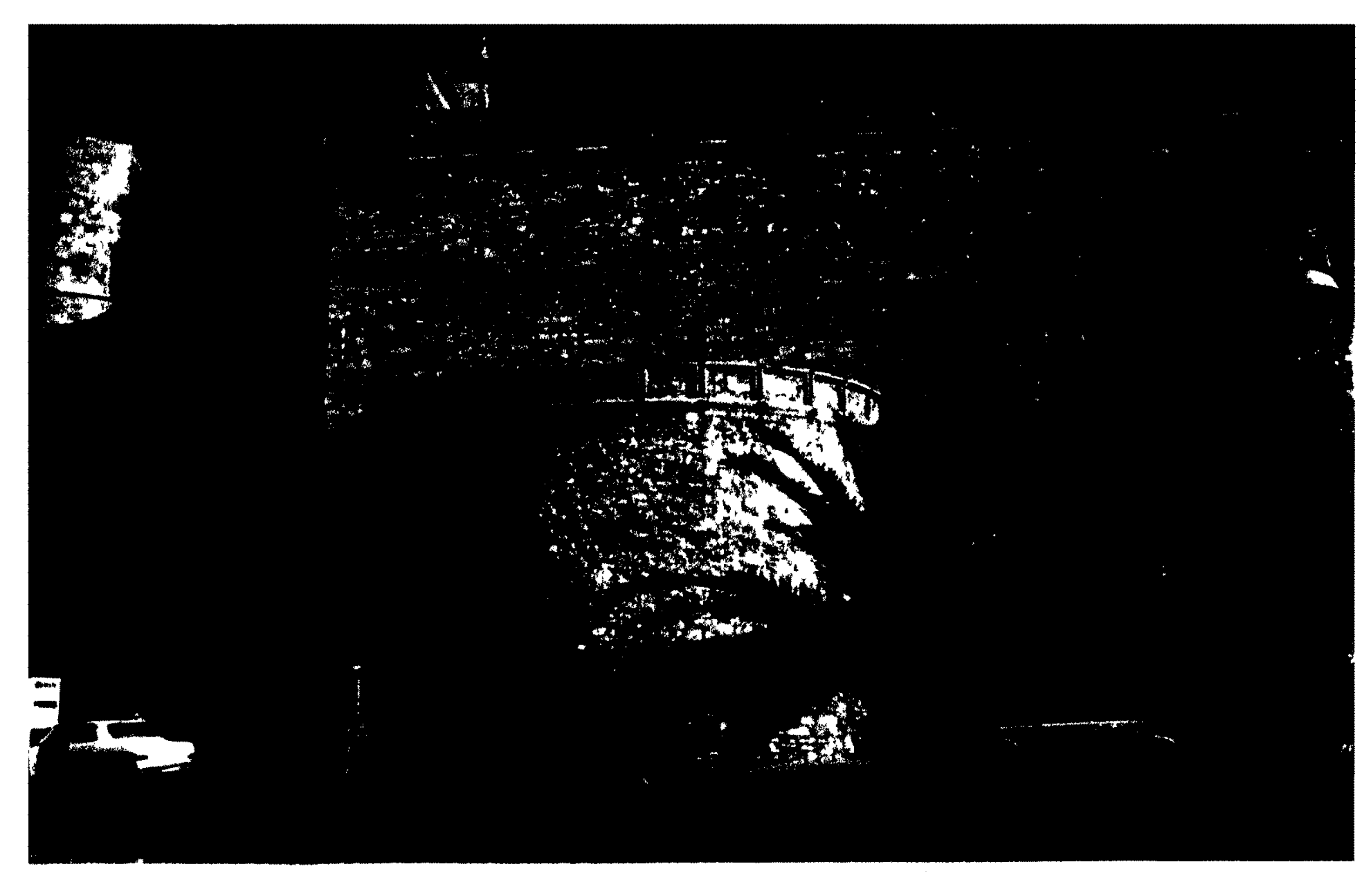
تزايد نفوذ اسبانيا فى مليلية

وعرضت حكومة مدريد الصلح على المغرب ، فى ١٦ مارس ١٨٦٠م ، ووافق المغرب فى ٢٥ مارس ، ووقعت بين الطرفين معاهدة ، كان من ضمن بنودها شروط خاصة بتوسيع أراضى القواعد الاسبانية فى مليلية وسبتة ، والتنازل عن قطعة أرض بجوار (سيدى ايفين) ، والسماح لاسبانيا بارسال (رجال بعثات التبشير) الكاثوليك الى المغرب .

غير ان الموقف ازداد تعقيدا ، بين المغرب واسبانيا ، عندما علمت حكومة المغرب الاسلامية بتحويل الاسبانيين لأحد مساجد مليلية الى كنيسة ، وبطريقة تعطى للاحتلال الاسبانى المؤقت للقواعد الشمالية المغربية شكلا دائما ، وظهر أن الطريقة الوحيدة أمام المغاربة هى الاستمرار فى الحرب ، التى لم تكن فى ذلك الوقت ، فى صالحهم .

وأخذت حكومة مدريد ، تتودد للمغاربة ، لاحتواء أزمة الكنيسة ، بعقد معاهدة تجارية مع المغرب فى ٢٠ نوفمبر عام ١٨٦٠م . وصل بها المغرب الى نقطة تحول خطيرة فى تاريخ علاقاته باسبانيا . فقد كان من نتائج هذه المعاهدة تعيين عدد من الموظفين الاسبانيين فى الموانىء المغربية للاشراف على ايرادات الجمارك ، كما عينت اسبانيا عددا من القناصل فى الموانىء ، وأصبح هناك اتصال يومي بين هؤلاء الموظفين الاسبان الذين كانوا يتمتعون بحصانة دبلوماسية ، وبين الموظفين المغاربة ، فى مليلية ، وقد سمح وجودهم بمجيء جالية اسبانية كبيرة وأعقبها وفود جاليات أجنبية أخرى .

وتتالت الأحداث بسرعة ، بعد نشوب ثورة ١٨٦٨م فى اسبانيا ، وأدت هذه الحوادث الى الاسراع فى تقليل دور اسبانيا فى المغرب ، وبشكل واضح ، غير أن اسبانيا حاولت جاهدة مع الدبلوماسية الفرنسية ، الابقاء على وجودها فى مليلية وسبتة وملحقاتها ، ونجحت فعلا فى ذلك ، ففى ٣ اكتوبر عام ١٩٠٤ تم توقيع الاتفاق الفرنسى ـ الاسبانى ، بشأن المغرب ، احتفظت اسبانيا بمقتضاه ، بنفوذها غير منقوص فى منطقة البحر المتوسط الشمالية . ومنذ ذلك الوقت غدت مليلية وسبتة وملحقاتها ، مناطق نفوذ اسبانية (مستعمرات اسبانية) معترف بها دوليا .



لوحة القسم للوجود العسكرى الاسبانى امام قلعة مليلة

المحاولات المغربية لاسترداد مليلية وسبتة

كان هذا الاتفاق قد صعد عمليات المقاومة داخل مليلية وسبتة ، اعتبارا من يوليو وحتى اكتوبر عام ١٩٠٩ ، فقد شن لفيف من زعماء الريف غارات منظمة على قوات الاحتلال الاسبانية فى مليلية ، وألحقوا خسائر بها ، ومع جسامة الخسائر فى الجانب الاسبانى لم تتوقف عمليات التوسع فى المنطقة المحيطة بمليلية ، ولكن روح الثورة انتشرت بين رجال الريف ، بمجرد أن بدأت السلطات الاسبانية تعمل على التوغل داخل المنطقة لحمايتها ، وأدى ذلك الى اصطدامات مسلحة .

لقد كان الاستعمار الاسبانى ، يميز بين نوعين من الاحتلال - عندما خيم على المغرب العربى النظام الاستعمارى - فالقسم الشمالى يعرف بمنطقة الريف ، وكان قد أخضع لنظام الحماية ، والمناطق الأخرى المتمثلة فى الجيوب الساحلية والصحراء بدعوى أن وجوده فى مناطق الحماية يستند الى معاهدات بين فرنسا ومدريد ، ولذا انسحبت اسبانيا من منطقة الريف فى مارس ١٩٥٦ ، وانسحبت كذلك - فى وقت لاحق - من مناطق طرفاية والصحراء ، أما القسم الثانى ، فقد اعتبره المستعمر الاسبانى أرضا اسبانية ، بدعوى طول الفترة التى مارست خلالها اسبانيا ادارة هذه الجيوب الساحلية ، التى احتلتها عن طريق (الغزو) ، وتعتبر مليلية وسبتة - فى رأى الاسبانيين - أرضا اسبانية لدرجة أن القارىء للدليل السياحى الاسبانى يقرأ ان « مليلية » هى أجمل المدن الاسبانية فى افريقيا

والحقيقة أن المغرب لم يتخل عن اهتمامه وعزمه على استرداد مليلية وسبتة ، وملحقاتها ، حتى يحقق وحدة التراب المغربى ، وكان الاتفاق المغربى - الاسبانى فى عام ١٩٥٦ ، وما تلاه من مفاوضات ، بمثابة خطوة ايجابية فى طريق التحرر من الاستعمار الاسبانى الذى يجثم على انفاس المسلمين المغاربة فى مليلية وسبتة ، حدث ذلك فى عهد الدكتاتور فرانكو ، ولكن بعد أن تحولت اسبانيا الى الملكية الديمقراطية ، اخذ المتشددون وهم من انصار اليمين الاسبانى ، ينادون بعدم التخلى عن المدينتين ، ويطالبون بالتمسك بهما ، مع استمرار طمس كل ما

يتعلق بالتراث المغربي الاسلامي ، وبالهوية العربية ، وذلك تحسبا لأى تحكيم دولى يحتم اجراء استفتاء لسكان المدينتين ، لاختيار انتمائهم لأى من اسبانيا أو المغرب .

ولذلك بدأت ـ ومنذ عام ١٩٥٧ ـ بطريقة مكثفة ، عمليات توطين مستمرة من جانب الاسبانيين ، فى محاولة لقلب الميزان السكانى فى مليلية وسبتة ، وتغليب عدد الاسبانيين فيهما على عدد المغاربة المسلمين ، وفى المقابل تجرى عملية ترحيل دائمة أيضا ، من جانب السلطات الاسبانية لسكان مليلية وسبتة الى المغرب الأم ، بغرض تفريغ الهوية العربية الاسلامية ، وإحداث خفض جوهرى فى عدد السكان الأصليين ، لأن حكومة اسبانيا تدرك جيدا أن المغاربة المسلمين الحاصلين على الجنسية الاسبانية ، سوف يختارون الانتماء للمغرب العربي فى أى استفتاء يجرى هناك ، وهذا الاعتبار هو الذى أوجد التوتر والقلق بين كلا الجانبين فى مليلية . إن آخر المحاولات التى قام بها أبناء مليلية أنفسهم ، لتخليص المدينة من نير الامبريالية الاسبانية كانت فى ابريل عام ١٩٧٥ ، وجاءت من داخل (المسجد) حيث التنظيم السياسى والدينى الوحيد المسموح به لأبناء مليلية ، فالسلطات الاسبانية تحرم على المسلمين المغاربة هناك ، تنظيم أنفسهم فى نواد أو نقابات أو أحزاب سياسية » وعندما انفجرت قنبلة فى أحد شوارع مليلية فى أغسطس ١٩٧٥ ، وقتلت شخصا وجرحت عددا من رجال البوليس الاسبانى ـ تعبيرا عن احتجاج الأهالى ، أخذت سلطات الاحتلال ، هذه الحادثة ذريعة لطرد عشرات من الأسر المسلمة المغربية من مليلية ، فطردت ٦٠٠ فرد ، واعتقلت السلطات الاسبانية ما يزيد عن ٤٠٠ مغربى من المقيمين بالمدينة ، وخيرتهم بين التجنس أو الطرد من مليلية .

هكذا يعيش المغاربة المسلمون فى مليلية ، غرباء فى وطنهم ، تحت تسلط الامبريالية ، محرومين من حقوق الممارسة السياسية ، والمشاركة الفعلية فى ادارة مدينتهم ، لأنهم ـ أصلا ـ محرومون من حق المواطنة ، انهم مواطنون من الدرجة العاشرة ، .

ان سكان مليلية يخضعون لقانون الأحوال الشخصية الاسلامى ، وهم فى نفس الوقت ، مطاردون من سلطات الاحتلال ، حيث تطبق عليهم السلطات الاسبانية قوانين عديدة تجيز لهم (التنصير) ـ التحول عن الاسلام الى النصرانية ـ وتمنعهم من التنقل من منطقة الى أخرى ، فماذا نحن فاعلون من أجل اخواننا العرب المسلمين ، فى الوطن العربى ؟

الأهمية الاستراتيجية لمليلية

لقد شكل قرب (سبتة) من قلعة جبل طارق ، الخاضعة لسيطرة بريطانيا ، أهمية خاصة ، فهى تعتبر نقطة انطلاق اسبانى ، لمراقبة ساحلى البحر المتوسط فى أقصى الغرب ، وفى نفس الوقت ، تمثل قاعدة متقدمة تشرف على شمال المغرب ، ومعظم الجزر المتناثرة فى حوض البحر المتوسط ، بينما تؤمن (مليلية) تغطية عسكرية لمنطقة غرب الجزائر من ناحية وهران ، وتشكل مع (سبتة) هلالا يحكم منه الاسبان مراقبتهم لمنطقة شمال افريقيا .

من هنا تعتبر مليلية وسبتة ـ اليوم ـ قواعد عسكرية اسبانية كبيرة ، وعلى درجة عالية من الأهمية الاستراتيجية ، بالنسبة لاسبانيا فى مواجهة جبل طارق ، ولذلك لم تتوقف نشاطات السلطات الاسبانية عن تشييد الاستحكامات العسكرية فى المدينتين ، وهى مستمرة فى مضاعفة اعداد قواتها العسكرية هناك ، حتى أن بعض التقارير تذكر : « أن بمدينتى مليلية وسبتة ٣٠ ألف جندى اسبانى » كما تتخذ الفرقة المدرعة الاسبانية ـ وهى أقوى قوة ضاربة من الجيش الاسبانى ـ من المدينتين قاعدة لنشاطها العسكرى وتدريباتها المتواصلة ، ويوجد الآلاف من أفرادها هناك ، وخلال ديسمبر عام ١٩٨٦ ، تم تزويد المدينتين بمعدات ثقيلة وأنظمة عسكرية متقدمة للرادار .

ان مليلية ، التى أدت دورا مهما خلال الحرب الأهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، مدينة مغربية عربية اسلامية ، فعندما نشبت الحرب الأهلية فى اسبانيا ، كانت الشرارة الأولى قد انطلقت من مليلية ، عندما تمردت الحامية الاسبانية فيها بقيادة الجنرال فرانكو ، ضد حكومة الجبهة الشعبية الجمهورية ، ومن مليلية انطلق فرانكو الى الحكم فى اسبانيا وظل يحكم قرابة أربعين عاما ، لقد شارك عشرات المئات من أبناء مليلية المسلمين فى هذه الحرب الى جوار قوات فرانكو الاسبانية ، وسقطوا بالمئات قتلى بسبب حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان عدد المغاربة الذين جندوا فى قوات الجنرال فرانكو ، كان يزيد عن ١٤٪ من عدد سكان هذه البلاد ، فقد كان تعداد سكان منطقة

الريف يتجاوز المليون نسمة بقليل ، (حسب احصاء عام ١٩٣٤) ، وهذا العدد لا يمكن بأى حال من الأحوال ، أن يخرج من الرجال الجاهزين للقتال ، أكثر من ١٧٥ ألف رجل ، ولكن القيادة العامة لجيوش فرانكو ، كانت قد أصدرت بيانا في يناير عام ١٩٣٧ حددت فيه عدد الجنود المغاربة ، فى كافة المواقع الحربية المختلفة داخل اسبانيا ، بـ ٥١٠٠ جندى فقط ، بالاضافة الى طابور كامل من الحرس الخليفي ، حرس خليفة صاحب الجلالة سلطان المغرب ، الذى كان يتألف من ألف جندى وضابط كلهم من المغاربة .

واستمر فرانكو فى تجنيد المغاربة ، حتى وصل عددهم فى جيوشه إلى ١٣٥ ألف جندى وضابط ، حسب احصاء يناير عام ١٩٣٨ ، وهذه الأرقام حقيقية ، لأنها مأخوذة من احصاءات الاسبانيين أنفسهم

وتحدث كثير من الناس عن قبول المغاربة للتجنيد ، فى صفوف قوات الجنرال فرانكو ، وقالوا . « ان المغاربة يساعدون فرانكو رغبة فى تخليص بلادهم من الاستعمار الاسبانى ، اعتمادا على الثوار الاسبان فى هذه الغاية « فقد كان فرانكو قد وعدهم بالاستقلال اذا ما تولى هو السلطة فى اسبانيا ، ولم يحدث أن أوفى فرانكو بوعده ، فمازالت (مليلية) التى صنعت تاريخ اسبانيا خلال عقد كامل ، مستعمرة اسبانية ، وكأنهم يعاقبونها على سماحها لفرانكو أن يتحرك منها ، وبعديد من رجالها ، ليصنعوا التاريخ فى اسبانيا !!

لقد تحولت (مليلية) اليوم الى (واحة للهدوء) بالنسبة للاسبان ، ان مليلية وسبتة ، وجزيرة حجر باديس ، وجزيرة الحسيمة ، والجزر الجعفرية ، كلها أراض مغربية ، وسكانها من المسلمين ، أسهمت بقدر متفاوت فى صنع التاريخ الاسبانى فى خلال عقد من الزمن ، ومع ذلك لا تزال تعيش تحت السلطية الامبريالية الاسبانية ، انها آخر معاقل الاستعمار الأوروبى التقليدى فى الوطن العربى ، فمتى تتحرر وتحصل على استقلالها وتعود الى وحدة التراب المغربى ؟

ان العرب والمسلمين عامة ، وكذلك فرنسا ، يؤيدون (الحركة الوطنية الاسلامية داخل مليلية) ، ولكن التأييد وحده لا يكفي ، فهل من عمل ايجابى لتحرير هذه المستعمرات المغربية العربية الاسلامية ؟ □

مراحل محاولات استعـــادة سَبتة ومليليّة

لم ينقطع المغرب أبدا عن المطالبة باستردّاد مدينتي سبتة ومليلية والجزر المحتلة

في مارس ١٩٥٦ طالب المغرب باسترجاع الجيوب المحتلة ، وجدد طلبه رسميا عام ١٩٦٠ ، طالبا الدخول في مفاوضات مع اسبانيا وكان رد اسبانيا أن لها حق الملكية على الجيوب بحجة الاستيلاء عليها عن طريق الغزو أولا ، ثم تعزيز هذا الواقع بمعاهدات واتفاقيات مع المغرب ثانيا

ادعاءات اسبانيا لا ترتكز على أي اساس قانوني ، حيث ان احتلالها للثغور هو احتلال استعماري محض قام به البرتغاليون قبلها ، وحتى الاتفاقيات التى انتزعتها اسبانيا من المغرب بالقوة ، وفي ظروف صعبة من تاريخه لم تحترمها ، اضافة الى أن الأراضى المحتلة توجد داخل التراب المغربى ، وتكون الحدود الطبيعية لترابه الممتد على سواحل البحر الأبيض المتوسط

لا يمكن بأي حال اعتبار السكان الحدد الذين دفعتهم اسبانيا الى هذه المناطق لاستيطانها سكانا أصليين ، بناء على الفصل ٧٣ من ميثاق منظمة هيئة الأمم المتحدة

تغيير الطابع العرقى للجيوب المحتلة ، سواء عن طريق الطرد ، أو تغيير الجنسية ، أو التنقل ، لا يمكن أن يشكل قاعدة لتطبيق مبدأ حرية تقرير المصير

هناك اتجاهان متعارضان ، فبالنسبة للجانب المغربى يجدد التعبير في كل مناسبة عن مغربية المدينتين ، ويربط استعادتها على الصعيد الرسمى ، بموضوع استعادة اسبانيا لجبل طارق من انجلترا ، وتصفية الجيوب المحتلة يعتبرها المغرب حقا شرعيا ثابتا ضمن اطار الاراضى التى لم تزل خاضعة للاستعمار ، ويجب تحريرها تنفيذا لمبدأ استكمال وحدة التراب المغربى

ابتداء من سنة ١٩٥٦ صدرت من القاهرة عدة بلاغات عن لجنة المغرب العربى تطالب اسبانيا برد مجموع الاراضى المغربية المحتلة

أكد الملك محمد الخامس مرات عديدة أن المغرب متمسك باسترداد أراضيه التى انتزعت منه في أحوال

استثنائية ، أو بمقتضى اتفاقيات ديرت في الخفاء

أول مطلب رسمي قدمه المغرب لاسترجاع ما تسميه اسبانيا باراضي السيادة ، يرجع تاريخه الى عام ١٩٦٠ ، حيث قام ممثل المغرب بالأمم المتحدة وطلب من المنظمة الدولية الاعتراف بحقوقه المشروعة حول مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما

في شهر سبتمبر ١٩٦١ صرح الملك الحسن الثاني في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في بلغراد « ان المستعمر الاسباني ما زال يحتل اقاليم كاملة بجنوب ارضنا و راضي وقواعد بالشمال سبته ومليله » وعلى اثر هذا التصريح قامت الدوائر الاسبانية بعدة اجراءات بعسفية ضد المغاربة المقيمين بالمدينتين وكذلك حملات مسعورة ضد المغرب ، مما جعل حكومة المغرب تصدر بلاغا يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٢ تؤكد فيه عزم المغرب القوي لاستعادة مدينتي سبتة ومليلية المسلوبة المغربية

بعد ان يئس المغرب من الاعتماد على المجتمع الدولي ، رفع الى هيئة الأمم المتحدة شكواه ضد اسبانيا في فبراير ١٩٧٥ مطالبا اسبانيا بالجلاء عن جزائه المحتلة ، واتبعها بمذكرة جديدة في ٧ مارس ، تريد بطلبه توضيحا ورد على محاولات اسبانيا قلب الحقائق وتزوير التاريخ

وسط هذا الجو المتأزم ارسلت اسبانيا باخرتين حربيتين وباخرتين عسكريتين محملتين بالجنود الى المدينتين ، بالاضافة الى عدة اصنافات ومصفحات

وطائرات هيلوكوبتر ، واستنكر الرأي العام المغربي هذه الأعمال الارهابية ، وصادفت هذه الأحداث انعقاد مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية بأديس أبابا ، حيث عرض وزير خارجية المغرب عرضا مفصلا لأعمال اسبانيا التعسفية وتدخل كل رؤساء الوفود مؤيدين وجهة نظر المغرب

في أغسطس ١٩٧٥ تأزم الوضع بالمدينتين ، ووقعت مظاهرات وانفجارات خلفت عددا من القتلى والجرحى بمدينة سبته ، وقامت سلطات المدينة باعتقال ٤٠ مغربيا ، وخيرت فدائيهم بين اختيار الجنسية الاسبانية او مغادرة المدينة ، وبالفعل تم طرد عشرات العائلات الذين لجأوا الى تطوان وضواحيها

في جلسة ثلاثين لاجتماع الامم المتحدة في ديسمبر ١٩٧٥ ، صرح رئيس الوفد المغربي بمسح مقاطعات ... قائلا ان اسبانيا لا ... حوار ... شكله ...

كذلك الحسن ... عديدة مطالبه المغرب باسترجاع سبتة ومليلية والجزر ، وصرح في ندوة بواشنطن في ٥ نوفمبر ١٩٧٦ ردا على سؤال حول المدينتين « ... ان سبته ومليلية مدينتان مغربيتان ويجب ان نتفاوض مع اسبانيا في جو مليء بالسلم والتفاهم وحسن الجوار والصداقة »

نفذ وزير الدولة المغربي للشئون الخارجية امام مجلس النواب في ديسمبر ١٩٨ زيارة رئيس الحكومة الاسبانية للمدينتين محتلتين ، وقال « ان المغرب سيعمل للقضاء على رواسب الاستعمار بالوسائل السلمية ، وان المغرب لن يتخلى عن ستة ومليلة مهما كانت نوعية التعاون الاسباني المغربي »

قال الملك الحسن ردا على سؤال بتاريخ ٩ يناير ١٩٨٥ « ان الحل لمشكلة سبتة ومليلية لا يمكن أن يكون الا حلا سياسيا ، والدليل على هذا أن المجموعة الأوروبية وضعت تحفظا فيما يخص قضية سبتة ومليلية عند دخول اسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة ، ان الحل لا يمكن أن يكون الا حلا سلميا ، اللهم الا اذا كان للاسبانيين مبادرة غير سلمية ، أي مبادرة عسكرية ، وانذاك سيضطر المغرب للدفاع عن نفسه »

من أبرز تصريحات الملك الحسن ما أعلنه في ندوته الصحفية يوم ٧ مارس ١٩٨٦ حين قال « ان المغرب هو الذي يحرر بلده ، وان الأرض مغربية ، والمغرب هو الذي سيحررها ... ونؤكد أننا نريد أن نسترجع سبتة ومليلية بالطرق السلمية ، قبل أن يتطور الأمر الى أبعد من ذلك »

مسجد ... في ... عن سبته قبل ان ...




مجلة الأسرة والمجتمع
ذات
الرّداء
الأبيَض
داء القطط
أكثر الأمراض
انتشارًا



ذات الرداء الأبيض

استطلاع : وفاء طه ناجى

تصـوير : طالب الحسيني

على الرغم من أن التمريض جزء لا يتجزأ من حياة الأسرة في كل مكان من العالم . . وعلى الرغم من حاجتنا جميعا ـ عند المرض ـ الى يد حانية ترعانا . . وقلب عطوف . . يبعث فينا الأمل . . ويبشرنا بالشفاء ، إلا أن الممرضة مازالت تعاني ـ في مجتمعنا العربي ـ من النظرة السلبية الى دورها في خدمة المريض .

وفي الكويت مرت على مسيرة التمريض عشرون عاما أو تزيد ، لم يكن الدرب فيها ممهدا أمام الفتاة الكويتية التى اختارت ان تلبس الرداء الأبيض وتعمل في تلك المهنة النبيلة .

في بداية الستينيات . . لم يكن سهلا على الفتاة الكويتية أن تتقدم لدراسة التمريض ، فقد كان الاشتغال بتلك المهنة ـ لما فيها من اختلاط بالغرباء ، واضطرار للسهر في نوبات الخفارة ـ يعني خروجا على التقاليد العربية المحافظة . وكانت معظم العائلات الكويتية تنظر الى العمل التمريضي على أنه سلسلة من المتاعب النفسية والجسدية ، فتشفق على بناتها من الالتحاق به . . أما اليوم فقد تغير الحال ، وتقدمت الفتاة الكويتية لتنهل من ينابيع العلوم والآداب ما شاءت ، وتشهد مقاعد الدراسة التمريضية أعداداً من الطالبات تزداد عاما بعد عام ، فالإقبال جيد إذا ما قورن بالوضع الذى كان سائدا منذ عشرين عاما ، وقد أصبح في الكويت الآن أكثر من مصدر لتخريج الكوادر التمريضية ، فبالإضافة الى معهد التمريض هناك قسم للتمريض في معهد العلوم الصحية للبنات يتبع التعليم التطبيقى ، كما أنشئت مؤخرا كلية للعلوم الطبية المساعدة تتبع التعليم الأكاديمى الجامعى ، ويدرس فيها طلاب من الجنسين .

وفي السنوات الأخيرة . . خصصت الكويت أسبوعا للتمريض ، تحتفل به في شهر مايو من كل عام ، مما يدل على زيادة الاهتمام بالعاملين والعاملات في هذا الميدان المهم من ميادين الخدمات الطبية .

فما هى قصة التمريض في الكويت ؟ للاجابة عن هذا السؤال ، قامت « العربى » بجولة في بعض المرافق الصحية ، وكان لنا أكثر من لقاء مع مسئولين عاملين في هذا الميدان .

معهد التمريض

في البداية . . كان لقاؤنا مع شيخة المذن مديرة معهد التمريض والحاصلة على درجة الماجستير في التمريض ، وهى أول مديرة كويتية للمعهد . . حدثتنا عن رحلتها مع المهنة والمعهد فقالت : « عندما أعلنت للأسرة عن رغبتى في دراسة التمريض ، لم تلق تلك الرغبة التشجيع الكافي ، فلم يكن مفهوم العمل التمريضي واضحا لدى الأهل في ذلك الوقت ، وظل أبى يردد على مسمعى المتاعب التى تنتظرنى بمجرد أن أتسلم العمل ، ثم مالبث أن وافق على التحاقى بمعهد التمريض ، وكان ذلك في عام ١٩٦٣ ، أى بعد عام واحد من انشاء المعهد . وتخرجت ضمن الدفعة الثانية التى لم يزد عدد الكويتيات فيها عن سبع فتيات خريجات .

وبعد أن قضيت فترة في العمل ممرضة في قسم الأطفال بمستشفى الصباح ، قررت استكمال دراستى ، وتغلبت على العقبة الأولى التى واجهتنى ـ حينئذ ـ وهى صعوبة الحصول على إجازة دراسية من وزارة الصحة،فاستقلت من عملى بعد سبعة أشهر فقط من بدايته ، أما العقبة الثانية فقد تمثلت في ضرورة اجتياز امتحان معادلة شهادتى بشهادة الثانوية العامة ، وبعد نجاحى في الامتحان سافرت الى مصر ، وحصلت على درجة البكالوريوس في التمريض من جامعة القاهره عام ١٩٧٤ .

وعدت للعمل ـ مرة أخرى ـ في قسم الأطفال في مستشفى الصباح بالكويت،ثم رغبت في اتمام دراستى العليا ، فغادرت الى الولايات المتحدة وحصلت على درجة الماجستير في التمريض سنة ١٩٨٠ . وعملت بعد عودتى نائبة لمديرة معهد التمريض لمدة أربع سنوات،ثم أنيطت بى ادارة المعهد في عام ١٩٨٤ .



الممرضة : « وجه مشرق ، وابتسامة صافية » .

وتسأل « العربي » شيخة المذن عن الدراسة في المعهد فتقول :

« . . بالاضافة الى دراسة العلوم التمريضية ، ندرس الآن مواداً ثقافية عامة موازية للمواد المقررة في المدارس الثانوية العامة ، مما يتيح لطالبة المعهد أن تعادل شهادتها بالثانوية العامة وتتابع دراستها الجامعية بعد التخرج . فتلك هي العقبة الوحيدة ـ تقريبا ـ أمام خريجات معهد التمريض المتوسط لاستكمال تعليمهن الجامعي ـ أما تلك المواد فهي : الاجتماعيات واللغة العربية ، وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية الاسلامية ، بالاضافة الى مادتي الكيمياء والفيزياء . وستتخرج أول دفعة تتبع ذلك النظام في العام الدراسي ٨٨/ ٨٩ ، ونأمل ان تتمكن المتخرجة من الحصول على شهادة المعادلة مع الدبلوم فتكون بذلك مؤهلة للدراسة الجامعية دون صعوبات .

وتتابع الأخت شيخة حديثها قائلة : وبالنسبة للمواد التمريضية ، فان برنامجنا التعليمي يقدم مواد دراسية على مستوى عال وبارز بين برامج التعليم التمريضي التي تدرس في منطقة الخليج العربي ، وقد استحدثت مواد اختصاصية جديدة بدأ تدريسها منذ عام ١٩٨٤ وهي : التمريض الجراحي ، وتمريض أمراض النساء والولادة ، وصحة المجتمع التي تشتمل على برنامج تعليمي واسع في الطب الوقائي ، أما بالنسبة للقبول في المعهد فالباب مفتوح لكل من أنهت دراستها الاعدادية . وهذا حسب قرار الأمانة العامة الصحية لدول الخليج العربي . وبعد اضافة المواد الدراسية التي تدرس للصف الأول الثانوي العام ـ التربية ـ أصبح من الممكن قبول المتقدمة من الصف الأول الثانوي في الصف الأول ـ تمريض ـ ويشترط المعهد عند القبول أن تتعهد الفتاة بعد التخرج بالعمل في الجهة التي تحددها لها وزارة الصحة ، وحسب احتياجات المستشفيات والمستوصفات .

وتسأل « العربي » شيخة المذن عن أفضل وسيلة لتشجيع الفتاة الكويتية على دراسة التمريض بما يفي باحتياجات البلاد في هذا المجال الحيوي .

فتجيب : « ان أفضل طريقة لمضاعفة عدد طالبات التمريض تكمن في تعزيز ثقتهن بقيمة المهنة . . ونشر الوعي بأهمية الممرضة،وفتح المجال أمامهن للدراسة والتزود بالمعلومات التمريضية الحديثة . فكلما ارتفع المستوى العلمي والثقافي للممرضة ، ارتقت مكانتها في المجتمع ، مما يدفع الكثيرات الى دراسة التمريض . أما من يعتقد في جدوى المكافأة المالية التي تمنح للطالبة الكويتية فهو مخطىء . وقد أثبتت التجربة ذلك ، ان مهنتنا تحتاج لمن يحبها ويؤمن بها،ويطمح الى تطوير نفسه طوال مزاولته لها .

وفي نهاية لقائنا تحدثت شيخة المذن عن المشروعات الجديدة لتطوير الخدمات التمريضية ، من خلال المعهد وتطبيقها في المستشفيات فقالت : ان مشاريع التمريض تنبع من متطلبات الخدمات التمريضية ، ومن زيادة الاهتمام بصحة المجتمع ، فنحن نعد مزيدا من برامج الطب الوقائي ، للتوسع في هذا العلم الحيوي ، هذا بالاضافة الى تعليم طالباتنا أحدث الطرق التمريضية وفق برامج متطورة يقمن بتنفيذها بعد التخرج . وتنتظم الخريجة الجديدة في دورة تدريبية قبل التحاقها بالعمل وقد أنشئت وحدة خاصة لهذا الغرض تتبع وزارة الصحة العامة .

وقبل ان نغادر المعهد الى الوحدة التدريبية قالت لنا احدى الطالبات الكويتيات : « رغم أنني الآن في السنة الثانية بالمعهد ، إلا ان والدي مازال يأمل أن أترك دراسة التمريض وأبدأ من جديد في إحدى المدارس الثانوية العامة » . وهذا يؤكد أن المسيرة مستمرة رغم النظرة الباهتة التي ينظر بها بعض الآباء الى عمل الممرضة .

وحسب آخر الاحصائيات في المعهد فقد ارتفعت نسبة الكويتيات كثيرا في السنوات الأخيرة ، ففي العام الدراسي ٨٦/ ٨٧ بلغ عدد الكويتيات حوالي مائة طالبة بعد أن كان لا يزيد عن ثماني طالبات عند افتتاح المعهد في عام ١٩٦٢ .



المرضة هي « أم » تمنح الصغير الأمان بلا حدود

« التدريب .... أولا »

وفي وحدة التدريب التمريضي حيث تضع الممرضة قدميها على بداية الطريق ، التقت العربي بالآنسة عواطف القطان رئيسة الوحدة والحاصلة على الماجستير في التخطيط الصحى ، لتحدثنا عن طبيعة عملها في التدريب فقالت : « .. أنشئت الوحدة التدريبية في عام ١٩٧٦ ، بهدف أساسى هو اعداد الممرضة نفسيا للتعامل الأفضل مع المرضى ، وتدريبها عملياً داخل المستشفى والمستوصف وفق برنامج - دقيق - ، يختلف حسب نوع التخصص ، بالاضافة الى محاضرات خاصة للتعريف بالبيئة الكويتية ، وطبيعة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم - وتعقد للممرضات غير الكويتيات - قبل تسلمهن العمل . فمازالت مهنة التمريض في الكويت تعتمد على نسبة كبيرة من العمالة غير الكويتية ، ونحن نأمل - في القريب العاجل - أن نرى تزايداً في عدد الكفاءات الوطنية ، وذلك لن يتم إلا بتشجيع من الأهل لبناتهم الراغبات فى دراسة التمريض ، وتفهم الزوج لطبيعة العمل التى تقتضى أحيانا بقاء زوجته خارج المنزل أثناء « الدوام » الليلي ، فالأمر ليس معيبا ولكل عمل ضروراته الموجبة . ولو فكر كل منا في أن المريض قد يكون واحدا من ذويه ، كأن يكون والده ، أو والدته أو أي فرد من أفراد أسرته ، فلابد حينئذ أن يشعر بالامتنان لمن يسهر على راحة مريضه . أما النظرة السلبية لدور الممرضة ، فلا تعنى إلا مزيدا من الاعتماد على الغير ، هؤلاء اللاتي لا تربطهن صلة بعاداتنا وتقاليدنا ، بل ولا يتكلمن لغتنا العربية التى تعد عاملاً أساسياً في خلق جسور الود والاطمئنان بين المريض والممرضة .

وتسأل « العربي » الأخت عواطف القطان عن أنواع التدريب داخل الوحدة فتجيب : « إن برامج تدريب الخريجات هنا تنقسم الى نوعين :

أولا : برامج تدريبية تشرح مبادىء العمل التمريضي ، وحلقات نقاش يطرح فيها موضوع واحد - وهو غالبا ما يكون عن مرض بعينه - يشترك في مناقشته أطباء وممرضات ، ويحاولون الإجابة عن الاستفسارات التى تثار بشأنه ، ولا تزيد مدة تلك الحلقة عن يومين وتتكرر في العام الواحد حسب الحاجة . وقد بلغ عدد الذين اشتركوا في حلقات العام الماضى أكثر من ٥٠٠ ممرضة . ومن المنتظر أن يرتفع هذا العدد في العام القادم الى حوالى ٨٠٠ ممرضة .

ثانيا : برامج عملية تتدرب فيها الممرضات على طبيعة عملهن قبل ممارسته بشكل نهائى . ويتم ذلك بالتعاون مع المستشفيات والمستوصفات القائمة في أنحاء متفرقة من الكويت .

وتنهى عواطف القطان حديثها قائلة : « ونحن حاليا ننظم ندوات تنشيطية تخصصية بهدف تجديد معلومات الممرضة وتطويرها لكى تساير التقدم الذى يشهده العالم في هذا المجال . ولدينا من ناحية أخرى برامج لـ « الادارة الوسطى » مهمتها إعداد ممرضات لتقلد مناصب قيادية كمساعدات رئيسات ، أو مشرفات فنيات أو مسئولات أجنحة . وهى أحدث برامج الوحدة - تقريبا - التى تنتظم فيها الممرضة قبل تسلمها العمل القيادى ، وقد زودت قاعات


ابنة الكويت تتخطى « الحواجز » وتثبت كفاءتها

المحاضرات والمختبرات في الوحدة بأحدث الوسائل البصرية والسمعية التي تساعد المتدربات على حسن الاستيعاب . ورغم ذلك فإن بعض الخريجات كن لا يصلن الى تلك القاعات ، ويمكثن في البيت بعد الحصول على الشهادة قالت لي إحدى المتدربات . في مهنة « دستورها » العطاء بلا حدود : يتردد البعض في المسير ويسمي هذا العطاء الانساني « متاعب » .

هموم الملائكة

وكان لابد أن نلتقي « بملائكة الرحمة » ونتعرف على شئونهن وشجونهن مع مهنة التمريض .

وفي المستشفى الأميري ـ أقدم مستشفيات الكويت تقريبا كان « للعربي » لقاء مع السيدة لطيفة الحمدان رئيسة الممرضات ، التي عملت ممرضة في جناح الأمراض الباطنية (نساء) فترة من الزمن قبل تسلمها الادارة لتحدثنا عن بعض المتاعب التي صادفتها أثناء عملها فقالت :

« إن أكثر متاعبنا تأتي من الرؤية السلبية لدى الأهل في تقويمهم لعمل الممرضة،تلك الرؤية التي تنتقل عدواها الى الفريق الطبي أثناء العمل ـ أقول هذا وأنا على يقين من أن حالنا اليوم أفضل كثيرا مما كان عليه في الماضي ـ ، وأحب أن أؤكد ان أخطاء البعض يجب ألا يعاقب عليها الكل ، وهذا مبدأ ينطبق على كل المهن دون استثناء،فالحكم على الممرضة ـ الذي قد يصل الى حد القسوة أحيانا ـ يدفع الكثيرات الى الانسحاب من العمل . . وهنا تتضاعف المشكلة،والنتيجة اننا نخسر العناصر الوطنية التي نَبْذُل الجهد الكبير من أجل انضمامها الى أسرة التمريض . وإن كانت لي أمنية في هذا المجال ، فهي أن تحظى الممرضة بالتقدير الكافي الذي يتيح لها ان تحقق الهدف النبيل لعملها في خدمة المرضى وخاصة ان الباب مفتوح امام بنات الكويت لتنمية قدراتهن والارتقاء بمستوى المهنة .

ويقول عبدالنبي حجي من المستشفى الاميري :

كثيرا ما يتعرض الممرض أو الممرضة الى مطالبة ملحة من المريض بملازمة فراشه دون باقي المرضى مهما كانت حجة الآخرين للرعاية . فإذا لم يلب طلبه . . غضب وسخط ، وأذكر أنني حملت مريضا على كتفي الى قاعة التصوير بالاشعة حتى أشعره بمدى اهتمامي به بعد ان تأخرت عليه بسبب استقبال مريض جديد

اما الأخت صفيه عبدالله رئيسة ممرضات الفروانية فتقول : يطلب ـ احيانا ـ بعض اهالي المرضى امتيازاً خاصاً بزيارة مريضهم دون التقيد بمواعيد الزيارة الرسمية ، وكثيرا ما تحدث احتكاكات بسبب ذلك قد يبدو الامر في نظر البعض بسيطا ولكن بسبب اصرار مسئول الزيارة على الالتزام بالمواعيد ، يغضب كثيرون

التمريض . . . والعلوم التطبيقية

ومن متاعب المهنة ، نعود الى مقاعد الدراسة مرة أخرى في قسم التمريض بكلية العلوم الصحية،وهو أحد الأبواب المفتوحة امام الفتاة الكويتية لخوض ميدان الدراسة العملية ، حيث التعليم الذي يجمع بين النظرية والتطبيق،ويشكل أولوية في خطة التنمية الحديثة التي تطمح إلى توفير أيدٍ عاملة وطنية وتلتقي « العربي » بعميد الكلية د . عبدالرحمن المحيلان الحاصل على الدكتوراة في « فسيولوجيا الاجهاد الجسماني » ليحدثنا عن أهداف ونظام الدراسة في القسم فقال : « أنشيء المعهد في عام ١٩٧٤ بهدف رئيسي لكل اقسامه وهو توفير الكوادر

الوطنية لسد حاجة البلاد في مجال الخدمات الصحية ، وفي عام ١٩٧٨ أنشئت شعبة التمريض ، لتقبل الطالبات الحاصلات على الثانوية العامة بقسميها العلمي والأدبي،ليتخرجن فيها ممرضات

قادرات على العمل في جميع المجالات الصحية في مرافق الدولة المختلفة . أما نظام الدراسة في القسم حاليا،فهو يعتمد تدريس المواد النظرية الاكاديمية والعلمية التطبيقية ، ويتم التدريب العملي للطالبات في مختبرات الكلية ، اما التدريب الميداني فيتم في المستشفيات والمؤسسات الصحية والغذائية .

وتحصل الخريجة على شهادة . . « دبلوم كلية العلوم الصحية » وهو أعلى من دبلوم معهد التمريض المتوسط التابع لوزارة الصحة العامة الذي يخرج كوادر تمريضية متوسطة . والدولة في حاجة ماسة للمستويين ، واذكر هنا ان خريجة معهد التمريض يمكنها الالتحاق بقسم التمريض في الكلية لاستكمال دراستها ، والحصول على مستوى أعلى .

وتسأل « العربي » ، د المحيلان عن رأيه في تردد الفتاة الكويتية في الاشتغال بالتمريض ، وكيف يمكن التغلب على ذلك ؟ فيقول : علينا أن نلوم انفسنا أولا ـ كمجتمع يرى الممرضة في صورة باهتة ـ وكأن لها دوراً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه ، أو أن عليها ان ترضى بقدرها في أن تعمل دون تقدير لجهدها . اذا تغيرت تلك النظرة . . فلن تكون هناك مشكلة تردد الكويتيات في قبول العمل التمريضي .

وعن المشروعات الجديدة الخاصة بالتمريض في الكلية يقول : د . المحيلان نحن بصدد انشاء احدث شعبة في الكلية وهي « شعبة التمريض المدرسي » حيث تتضاعف الحاجة الى ممرضة أو ممرض المدرسة ، الذي يعد محورا اساسيا في مجال الخدمة الوقائية والعلاجية في محيط المدرسة ، كالتطعيم والاشراف الصحي على الطلاب ، وسوف يتم افتتاح هذه الشعبة بالتنسيق والتعاون بين الهيئة العامة للتعليم التطبيقي ووزارة الصحة العامة .



« الحب » دستور المهنة في التمريض

وفي نهاية حديثه قال : د . عبدالرحمن المحيلان : « يبقى لدى طموح شخصي وهو أملي في أن يتم توحيد الجهد في مجال التعليم التمريضي ولن يكون ذلك الا بانشاء كلية واحدة متخصصة للتمريض ، تجمع بين مستويات التعليم المختلفة ـ المتوسط والثانوي والجامعي ـ ويكون على الممرضة بعد التخرج أن تحصل على اذن « بمزاولة المهنة يجدد بمدة معينة ، ولا يجدد لذلك الا اذا اضافت الممرضة

جديدا الى معلوماتها بما يسهم في تطوير عملها التمريضي ، سواء كان ذلك الجديد هو الحصول على مؤهل أعلى أو حضور مؤتمر له علاقة اساسية بمهنتها . . أو اعداد دراسة حديثة ذات فائدة في مجال التمريض وهو حلم أرجو ان نتعاون لكي نجعل منه واقعا

وقبل أن نترك الكلية . . لاحظنا ان معظم المتقدمات ، هن من الطالبات اللاتي لم يحصلن على درجات عالية في الثانوية العامة ، وبعد أن اغلق التعليم الثانوي العام ابوابه ، امامهن ، فتح لهن التعليم الصحى ذراعيه . اكدت لنا مجموعة من الطالبات ان التمريض في كلية العلوم الصحية استقبلهن أحسن استقبال فأصبح حلم كل واحدة منهن ان ترد الجميل باستكمال دراستها والعمل بأقصى طاقتها في ميدانه ، بعد ان تأكد لها من خلال الدراسة انه ـ أي التمريض ـ مهنة انسانية « تستحق ان تحرص كل فتاة على العمل بها » .

امتيازات خاصة . .

وفي نهاية الجولة ، كان « للعربي » حديث مع د. نائل النقيب وكيل وزارة الصحة ، عن دور الوزارة في اجتذاب العناصر الوطنية،وما يقدمه المسئولون لتطوير العمل التمريضي في الكويت فقال :

« اذا نظرنا الى واقع التمريض في الكويت اليوم سنجد انه مثل بقية الخدمات الصحية الاخرى ـ قد قفز قفزة هائلة على طريق التطوير مقارنة بما كان عليه الحال منذ عشرين عاما . . ومازالت امامنا على الطريق خطوات كثيرة حتى يكون للتمريض ـ بصفة خاصة ـ المكانة اللائقة به كمهنة لها اهميتها ، أما ما نقدمه في وزارة الصحة اليوم فهو كثير ، كالامتيازات المادية والمعنوية للفتاة اثناء الدراسة وبعد التخرج . . وأقصد بتلك الامتيازات المكافآت المالية التي تحصل عليها الطالبات في معهد التمريض ، والزيادة في اجور العاملات بالمستشفيات والمستوصفات في المناطق النائية ، اضافة الى الفرص التي تتيحها الوزارة للمرضات والممرضين الكويتين لاستكمال دراساتهم العليا في جامعات عالمية متخصصة ، وارسالهم لحضور المؤتمرات التي تبحث في موضوعات ذات علاقة وطيدة بمهنة التمريض . اما ما يتردد احيانا من اقتراحات باعفاء الممرضة الكويتية من بعض الواجبات الوظيفية (مثل « دوام » الليل ـ أو العمل في المناطق النائية) كتشجيع لها على الانخراط في العمل بعد التخرج ، فهذا ما أرفضه تماما . ان مهنة التمريض مهنة متميزة ، وللعمل فيها « طبيعة خاصة » ولا يجوز إلغاؤها أو حذف جزء منها .

والذي أتمناه هو ان يتقبل الناس في مجتمعنا العربي تلك المهنة السامية ويكفي ان الانسان- أشرف المخلوقات - محور العمل فيها .

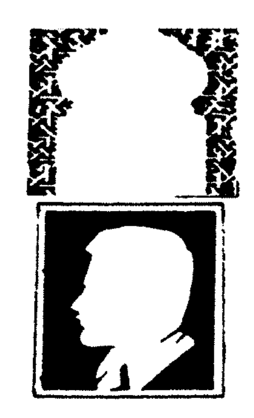
وينهي د . نائل حديثه قائلا : ويقع علينا ـ نحن المسئولين ـ عبء تطوير أية مهنة ـ والتمريض احداها ـ فاذا ركزنا جهدنا على اتاحة فرص التعليم حسب احتياجات الدولة وليس خضوعا لرغبة الاشخاص ، عندئذ يكون الأمل كبيرا في تغيير النظرة نحو التمريض وتوفير الكوادر الوطنية اللازمة من الممرضين والممرضات .

بقى لنا ان نؤكد على ان التمريض في الكويت جزء اساسي من الخدمات الصحية التي تقدمت كثيرا في السنوات الاخيرة ، وأن الجهد الذي تقوم به الممرضة هو « توأم » لمهمة الطبيب ـ وقد أكد لي طبيب كبير أن نجاح عملية جراحية يصبح بلا قيمة اذا تعرض المريض للاهمال اثناء العناية التمريضية .

فأذا أقبلت الفتاة الكويتية على دراسة التمريض ، فذلك ليس خروجا على التقاليد العربية الاسلامية المحافظة ، وانما هو استكمال للدور الذي لعبته المرأة المسلمة منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) . فقد كانت رفيدة الأسلمية أول مسلمة تضمد جراح المصابين في غزوة أحد ، وكانت نسيبة بنت كعب تسقي العطشى وتداوى الجرحى في معركتي بدر وأحد .

والفتاة الكويتية عندما تعمل اليوم بالتمريض فهي تكمل المسيرة وتدخل الميدان وهي مسلحة بالعلم والثقافة ، فتشارك بوجودها في تنمية قطاع من أهم الخدمات في الكويت الحديثة .

الأسبوع الثالث للتمريض في الكويت ١٢ - ١٨ مايو



هو..

خيـال

شيء رائع ومهم أن نتمتع بسعة الخيال ، وقديما قال أحدهم عبارة قرأتها يوما في احدى المجلات وما زلت أؤمن بها ، قال ان الانسانية تدين بتطورها لبشر ذوي خيال واسع وخصب .

وأنا قد منحني الله قدرا من سعة الخيال والذكاء ، لكن شأن كل الذين غيروا تاريخ الانسانية ، من أصحاب الخيال الواسع اصطدموا بجامدي العقول وكذلك ـ أعيش أنا ، فبيني وبين زوجي خلافات لا تنتهي بسبب ما أسميه سعة خيال.

عالمنا الذي نعيش فيه اليوم .. عالم يهتم بالمظاهر .. ويفتن بها ، ولأنني أدرك هذه الحقيقة ، وأعرف أن الناس تمنح قدرا أكبر من الاحترام للذين تحيط بهم هالة كبيرة من المظاهر ، فقد حاولت بسعة خيالي أن أحيط أسرتي الصغيرة بهذا القدر الذي منحنا مكانة وهيبة لدى الناس ، فصار أقربائي من أكبر العائلات ، وأهلنا ذوي مناصب رفيعة ، وبعض أصحاب النفوذ أقارب لوالدتي .. وكثير من الاملاك والعقارات الشهيرة صارت ملكا لأقارب لنا .. ولأنني أقول هذا بثقة كبيرة وشديدة ، وأتعمد أن أدس حكاية ما هنا .. وواقعة طريفة هناك ، وأقحم فيها بعض الأسماء المعروفة والمشهورة ، فقد أصبحت هذه الحكايات التي ابتكرها خيالي الخصب حقيقة في حياتنا ، وأنا أدرك أن الناس تصدق بسهولة ، وأن أحدا منهم لن يذهب لشخص أو عائلة ندعي قرابتها ليسألها ، وبدأ كثير من أصدقائي يطلبون مني وساطات أو خدمات ، ولا أجد حرجا في أن أعتذر لهم جميعا ، فأقاربي لا يحبذون الوساطة ، بل ان أحدهم قد أحرجني يوما عندما طلبت منه أن ينقل شقيق صديقة لي من مكان ناءٍ الى قلب العاصمة ، فما كان منه الا أن نقله الى مكان أبعد ، ومن بعدها أقسمت أنني لن أحرج نفسي مع صديقة ، وبدلا من أن يستاء مني الناس والأصدقاء لخذلانهم .. فانهم يكبرون في هذه الصراحة .. وهكذا بقدر قليل من سعة الخيال وخصوبته ، تمتعت وسط أصدقائي بقدر من الثناء والاكبار ونظرات الاعجاب والانبهار الدائمة في عيونهم ، وتكالبهم على توثيق علاقتهم بأسرة تنتمي الى فئة علية المجتمع .

هي



هي..

كَذِب

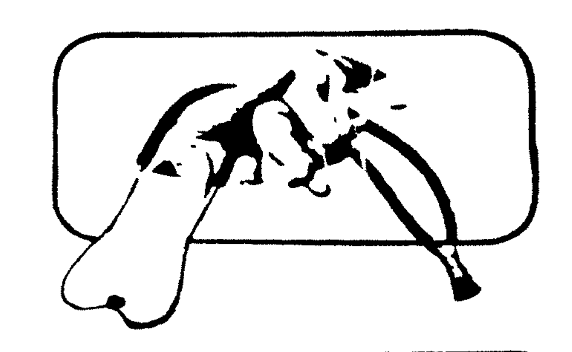
● أسوأ ما يمكن أن يصيبنا أن نغير مسمى الأشياء لكي ننفي عن أنفسنا نقيصة الخطأ ، فنسمي النفاق مجاملة ، والكذب سعة خيال ، والأشد سوءا أننا نظل نمارس كذبنا حتى نصدق أنفسنا .

وتمارس زوجتي لعبتها هذه ، موهمة نفسها أن الأمر مجرد سعة خيال . . ونوع من اكتساب الوجاهة والجاه ، وحاولت كثيرا أن أقول لها ان هذا ليس الا كذبا ، وأن الكذب نقيصة تصيب كرامة الانسان ، وأننا عندما ننسب لأنفسنا ما ليس لنا فإننا ندين أنفسنا ، وكأننا نقول أن وضعنا الحقيقي به عيب ، أو اننا نشعر بالدونية تجاه أنفسنا ، وفوق كل هذا ، حاولت أن أشرح لها وأوضح هذا التغيير الذي حدث لمجتمعنا العربي ، وكيف أن الوجاهة الاجتماعية المستمدة من الانتماء للأسر لم تعد شديدة الأهمية ، وأن الثقافة الاجتماعية العربية بدأت أشكالا من الاحترام الاجتماعي لعائلات رصيدها سمعة طيبة أو مكانة علمية ، أو أخلاق عالية يتميز بها أفرادها ، وأن مظاهر الجاه المستمدة من الثراء فقدت بريقها ، خصوصا بعد أن ظهر عديد من المهن الهامشية التي أصبحت تثرى وتحقق مالا وفيرا . . بأقل قدر من الجهد ، ولكنها لم تتفهم هذا أبدا . . ظلت أفكارها حبيسة الجاه الاجتماعي والوجاهة الاجتماعية ، الى أن حدث أن تزوج زميل لي في العمل . . ودعوته هو وعروسه الى العشاء في المنزل عندي احتفاء بهم . .

وجاء العروسان وجلسا معا ، وبدأت زوجتي تسرد على مسامع الضيوف قصصا وحكايات عن أقربائها الوهميين ، وعن أملاكهم من عقارات وأراض . . وتطرقت بالحديث الى التفاصيل التي يمدها بها (خيالها الواسع) ، فبدأت تسمي أسماء أشخاص رجال وسيدات ، وتنبهت الى أنني قد نسيت أن أقول لها ان العروس ابنة واحدة من العائلات الشهيرة التي تدعي زوجتي قرابتها ، وبدأت أحاول أن أثني زوجتي بلباقة عن الاستطراد في الحديث ، أو تغيير مسار الحديث ولكنها ـ كعادتها ـ لم تترك لي فرصة ، واستمرت في روايتها العجيبة . . وبدأت ألحظ علامات الدهشة على وجوه الضيوف . . وفجأة انفجرت العروس في ضحك هيستيري . . لم تقدم له سببا فيما بعد . . وبعد انصراف ضيوفنا . . قلت لزوجتي ما أعرف . . فثارت وبكت واتهمتني انني قد دبرت هذا المقلب ، لضيقي من سعة خيالها ، ولأن عقلي جامد وأفقي محدود . . ولم تقلع بعد .

هو





طبيب الأسرة

بقلم :
الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية



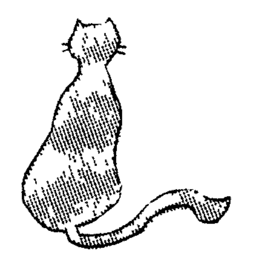
داء القطط
أكثر الأمراض انتشارًا

ربما كان اسم (التوكسلابلازما) غامضا على الناس ، غير مألوف في مسامعهم ، لكنه اسم لمرض من أكثر الأمراض انتشارا بين الانسان والحيوان على السواء اما الاسم المتفق عليه في محافل اللغة العربية وعامعها فهو (المصورات الذيفانية) ، وقد أجري استقصاء في جواتيمالا بشأن هذا المرض ظهر منه أن ٩٤ بالمئة من سكانها مصابون بعدوى هذا المرض . كما ظهر من استقصاء آخر في بريطانيا أن خمسين بالمئة من المتبرعين بالدم الذين فحصت دماؤهم مصابون بعدواه أيضا ، وهو ينتشر بين عامة السكان بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ و ٣٠٪ ، وهو مرض غامض الهوية ، غير واضح المعالم ، نظرا لحداثة اكتشافه ، ولأنه ينتشر بين الناس دون أن يؤدي إلى أعراض ظاهرة للمريض أو الطبيب على السواء . ووجه الخطر فيه عندما يتسلل من الأم الحامل التي قد تصاب به خلال شهور الحمل الستة الأخيرة ، فيتسرب طفيل هذا المرض عبر حاجز المشيمة ، ليتوطن خلايا الجنين النامية ، فيدمرها وبخاصة خلايا العين أو المخ أو الكبد أو الرئتين ، مما يؤدي إلى مرض خلقي معوق خطير كالتسلل الدماغي أو التخلف العقلي أو العمى أو ما إلى ذلك .

و (التوكسلابلازما) الذي كانت بداية كشف أسراره عام ١٩٠٨ عبارة عن طفيل من فصيلة وحيد الخلية ، أو مايعرف علميا باسم « البروتوزوا » ، وهو يشبه في تركيبه طفيليات الأميبا المسببة للدسنتاريا أو بلازموديوم الملاريا ، وشكل هذا الطفيل هلالي ، وحجمه صغير لايتجاوز ٢٤ ميكرونا طولا ، وسبعة ميكرونات عرضا ، (الميكرون = جزء من ألف من المليمتر) ، كانت بداية اكتشافه في حيوان أمريكي قارض يسمونه (جونداي) **Gondi** ، ولهذا اكتسب هذا الطفيل اسم **Toxoplies Magondii** . وبملاحقة هذا الطفيل ثبت أنه يصيب أغلب الحيوانات

بالاضافة إلى الانسان ، إذ قد يصيب الكلاب والأغنام والأبقار والأرانب ، بل قد وجدوه في الصراصير أيضا ، لكن الانسان يصاب به عبر الحيوانات ، وبخاصة القطط المريضة التي يعشش هذا الطفيل في أمعائها ، ويتوالد ، ويتكاثر جنسيا بالتزاوج ، ثم ينطلق مختلطا ببراز هذه القطط ، ولهذا سماه بعضهم (داء القطط) ، لأنها المصدر الأهم الذي ينقل عدواه إلى الانسان ، لكن الانسان لايعدي غيره من البشر باستثناء الأم المصابة التي تعدى جنينها إذا ما كانت حاملا في فترة العدوى النشطة وطفيل هذا المرض يدخل الجوف مختلطا بالطعام أو الشراب ، وسرعان مايتسلل إلى الدم ليعشش فيه مدة أسبوعين أو ثلاثة ، ثم ينفذ إلى داخل الخلايا الحية للأنسجة ، ويستقر داخلها ، ليتكاثر وينمو ، إلى أن يموت أو يبقى مدى الحياة ، فإذا ما مات فإنه يتكلس ويتحجر ، واذا قدرت له الحياة فانه ينتقل الى خلية أخرى ليستعمرها ، ويدمرها ، وفي كلا الحالين يثير في الجسم حساسية ونزعة إلى مقاومته ، فتتولى الأنسجة المناعية المختصة إنتاج أجسام مضادة له ، هي السر في بلواه .

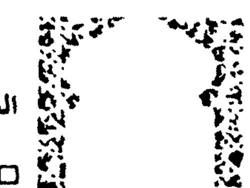
هذا المرض لايظهر أعراضا سريرية ، تدل عليه ، ولذا يصعب كشفه ، غير أن وجه الخطورة - كما أشرنا - هو عندما يداهم خلايا الجنين ، فيولد الطفل وهو يحمل أسباب العدوى،لكنه عند الولادة تبدو عليه أي أعراض واضحة ، بل تظهر أعراض



فيما بعد على صورة تبقعات دموية ، ونزيف تحت الجلد ، وهو ما يعرف باسم مرض الفرفرية (purputa) كما تتضخم الكبد ، ويبدو على الطفل اصفرار الجلد والعينين ، وهو ما يعرف باليرقان ، ثم ينتهي الأمر بضعف البصر ، من جراء التهاب الشبكية ، أو ربما بضمور إحدى العينين ، وبعض الأطفال قد ينتهي به الأمر إلى ضعف عقلي ، أو شلل دماغي ، وربما تخشبات ونوبات صرعية ، غير أن الملامح الأولية التي قد يلاحظها الآباء والأمهات هي تأخر ظهور الاستجابات العاطفية عند الطفل ، مع نوبات من التشنج بين حين وآخر دون سبب أو مبرر

ولسنا بصدد الحديث عن وسائل تشخيص المرض مخبريا ولا الخوض في أنواع العلاج ، لأن الأهم هو أسباب الوقاية منه ، وبخاصة أن أهل الاختصاص يؤكدون أن نسبة تتراوح بين ربع سكان العالم ونصفهم يقعون تحت رحمة هذا المرض دون إدراك ولما كانت القطط التي تعاشر الناس وتشاركهم أسباب حياتهم هي مصدر الخطر الأول والأهم في نقل العدوى ، كان من الأوجب تحاشي تربية القطط ، أو اللعب معها لأن المرض أكثر انتشاراً في المناطق التي تصحب فيها الحيوانات عامة والقطط خاصة الإنسان ، كما في الريف مثلا الذي تزيد نسبة الاصابة فيه عن المدن ، وكما في المناطق الحارة التي ينتشر فيها هذا المرض ، بينما يصبح نادراً عند سكان المناطق الثلجية كالاسكيمو مثلا ، وهكذا .

لقد أصبح مرض (التوكسلابلازما) في عرف الطب مبررا لاجهاض الحامل قانونا ، إذا ثبتت الاصابة به ، كما هو الحال مع الحصبة الألمانية ، وذلك احترازا من احتمال ولادة إنسان معوق ، يكون عالة على المجتمع ، لانفع منه ولا فيه .



بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

● السيد ج . ع . أ - . عمان - الأردن :
- لاعلاقة لارتداء النظارة أو العادة السرية أو الاسراف في القراءة بضعف البصر وهو أمر في الغالب خلقي أو موروث ننصحك باستشارة طبيب مختص ماهر في العيون .

● السيد ج . م - عمان - الأردن :
- الذكاء أمر موروث ، تصقله التربية ، وقد يؤثر عليه المرض الذي يصيب الدماغ مباشرة أو بطريق غير مباشرة ، وماعدا ذلك فلا قيمة له .

● السيد وهده احميدو - الحسيمة - المغرب :
- لايتوفر أي علاج لما تسأل عنه فلا تشغل نفسك بالأمور التافهة .

● السيد س . هـ . هـ . - القاهرة - مصر :
- يبدو أنك مشغول بأمور جانبية بعيدة عن واجباتك التي تتناسب مع سنك ، وهذا سر معاناتك .

● الأخ المعذب - البقاع - لبنان :
- البواسير لها درجات متفاوتة ، ولكل منها علاج مناسب ، والطبيب الجراح هو المختص القادر على تحديد العلاج المناسب ، بعد الكشف على المريض ، ومن المؤكد أن العمليات الجراحية هي آخر المطاف في سلسلة العلاج ، وقد حققت نجاحا كبيرا في استئصال المشكلة .

● السيد ز . ش . ي - ادلب - سوريا :
- هناك معاهد ومراكز صحية لعلاج عيوب النطق ، ولا بد من فحصك بواسطة لجنة طبية مختصة لتقصي سبب المعاناة ، وبعد ذلك يسهل العلاج ، وتنتهي معاناتك بإذن الله .

● السيد ع . ن - القاهرة - مصر :
- قصر القامة أمر موروث غالبا ، ويتأثر بالحالة الصحية للطفل ، وبتوازن تغذيته ، ويتوقف النمو في الطول غالبا في سن العشرين .
وإن القول بأن الرياضة تزيد طول الانسان قول لايعتمد على أساس من الصحة .

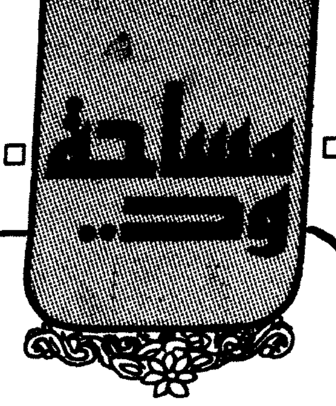
● الآنسة ع . م - دمشق - سوريا :
- ربما كانت ظاهرة زيادة الشعر أمرا موروثا ، ونحن لانعرف له علاجا حاسما ، وإنما ننصح باستشارة طبيب الأمراض الجلدية مادام الافراز الهرموني طبيعيا .

● السيد جمعان مقبل بن كدة - حضرموت - اليمن الديمقراطية :
مرض السكر بدرجات متفاوتة ، لكنه مرض مزمن ، بينما التهاب الكبد مرض عابر ، والأفضل هو مراجعة طبيب السكر المختص لتنظيم الغذاء بما يناسب درجة السكر وحدة إصابة الكبد ، وهذا أمر شخصي جدا .

● الآنسة الهام - المغرب :
- نأسف إذ لايوجد عقار لازالة الشعر أبديا ، وننصحك بمراجعة اختصاصيي الأمراض الجلدية ، فهم يلجأون إلى إزالة الشعر بالكهرباء بين حين وآخر .

● السيد / م . م . ع . - مصر :
- إن ما تعاني منه هو رد فعل نفسي ، ووهم ، لا علاقة له بأية عادة تمارسها أو مارستها من قبل ، فاستشر طبيباً ، واطمئن ، فإن ماتعانيه عارض عابر .





الحب في زمن الكوليرا

أحبها وهو في التاسعة عشرة من عمره ، كان فتى فقيرا غاية الفقر ، يعمل في مكتب برقيات على جهاز لاسلكي ، وكانت هي في السابعة عشرة من عمرها ، طالبة بالمدرسة . أنفق أياما طوالا وهو يسير خلفها في رحلة الذهاب ورحلة الاياب ، وقضى أوقاتا طوالا أمام بيتها ، يرقبها وهو جالس تحت شجرة ممسكا في يده ديوان شعر . وعندما تمكن من أن يعطيها أول رسالة له فوجئت أنها تقع في سبعين ورقة ، ولم يتجاوز حبهما هذا سوى تبادل الرسائل إلى أن علم والدها بالأمر ، فثار جنونه ، فقد كان حلمه دوما أن يزوجها زواجا يتحرك بها من طبقتها هذه إلى طبقة أخرى ، وتحققت أمنية والدها فتزوجت طبيبا من إحدى الأسر العريقة . ورغم كل العذاب الذي عاشه موظف « التلغراف » البسيط فقد أخذ على نفسه عهدا أن ينتظرها ، ممنيا نفسه بأن زواجها سيفشل ، أو يتوفى زوجها ـ موفور الصحة ـ قضاء وقدرا ، وظل ينتظرها خمسين عاما .

زمن الانتظار هذا هو نسيج الرواية الرائعة « الحب في زمن الكوليرا » ، آخر ما أبدعه (غابرييل جارسيا ماركيز) ، وقد قدم ماركيز خلال رحلة الخمسين عاماالتي ظل فيها بطل روايته ينتظر القضاء والقدر ـ عرضا مذهلا في دقته ودفئه وصدقه عن الشوارع العفنة ، وأصداء رصاص الحرب الأهلية ، والتخلف ، والفقر ، وغاص في قاع المجتمع فقدم شرائحه ، وقصص حب لاتنتهي ، وعذابات لا آخر لها ، وأحلاماً ، وسلطة ، وتجارة ، وصعّد مشاعر أبطاله الذين نسجهم ببراعة فائقة إلى قمم الأمل ، ثم إلى قاع اليأس ، حتى لحظات الحزن الحقيقية عندما انتابت بطلة روايته بموت زوجها ـ بعد خمسين عاما ـ قدمها ماركيز بدقة جراح . قد تعامل مع المشاعر وفق القانون الانساني كيف بدأ حزنها عفيا ، وكيف أحست أن زوجها الراحل يقطن داخلها ، ثم شروعها في التخلص من حاجاته لكي تتخلص من مطاردته لها ، وكيف تأجج الحزن ليخمد ، ويورثها الوحدة والفراغ اللانهائى ، حتى مشاعرها عندما عاد ذلك الفتى الفقير الذي كان سيدخل حياتها من جديد كصديق لم يقدمها ماركيز بسهولة ليحل عقدة روايته .

الرواية في جملتها عمل إبداعي رائع ، ثري بالمشاعر والدفء ،فيه لوحة رائعة متكاملة عن الحياة في مجتمع أمريكا اللاتينية ، إنها شهادة صادقة على عصرها وزمانها ، وإبداع جديد يضاف الى رصيد روائع الأدب العالمي ، ويُفجر داخلنا أحاسيس ومشاعر رائعة ، وقدرا من المعايشة يتصل بالقاريء الى حد يجعله يشعر أنه يتنفس في المكان ويراه ويمشي به .

سبق صحفي

قصة الكاتب التركي الساخر : عزيز نسين

ترجمة : عبد اللطيف عبد الحميد

اقتحم كلب باب هيئة تحرير أكثر الصحف شهرة في البلد . وبما أن العاملين لم يعتادوا على دخول الكلاب الى هيئة التحرير ، هكذا وبكل بساطة ، لذا فقد اندفعوا وراءه . أما الكلب فسرعان ما أدرك أنهم سيمسكون به ، ويقذفون به خارج الباب ، لذلك توقف وقال :

ـ دقيقة ، من فضلكم ياسادة .

انعقدت ألسنة المتعقبين وراءه ، فما الذي يمكن فعله مع كلب يتحدث بصوت انساني ؟ هل عليهم أن يتحدثوا معه كالكلاب ، أم بشكل انساني ، وباحترام . ؟ .

وعلى أي حال سألوا الكلب عما يريد ، فأجابهم بأنه يريد مقابلة رئيس هيئة التحرير .

ـ انه في الاجتماع .

ـ اذن مع صاحب الجريدة .

ـ هو الآخر في الاجتماع .

ـ اذن مع أحد الموظفين المسؤولين .

كان الجميع في الاجتماع الصباحي ، يناقشون العدد الأخير للجريدة . أعلن الكلب أن لديه خبرا خارقا وعاجلا ، وألح كي يسمحوا له بالدخول الى قاعة الاجتماع .

ودفع أحد المستخدمين الباب ، فدخل الى قاعة الاجتماع ، وقد جلس أعضاء هيئة التحرير ـ وعددهم أربعة عشر عضوا ـ حول طاولة ، وتوجه المستخدم لصاحب الجريدة قائلا :

ـ هناك كلب يرغب في الحديث اليكم ياسيدي .

فصرخ صاحب الجريدة مع أنه انسان متزن جدا :

ـ أي كلاب أخرى بعد !؟ . .

أجاب المستخدم باحترام :

ـ لا أعرف من أي سلالة هو ، انه كلب جميل ، ذو شعر متجعد ، يحمل طوقا في عنقه ، وهذا يعني أن له صاحبا ، وهو من الجنس اللطيف ، هكذا بالضبط . . . أي أنه كلبة .

فضحك الجميع ماعدا صاحب الجريدة ، فقد حافظ على هيبته الجدية .

ـ أنت تعرف بأن لدينا اجتماعا .

ـ لقد شرحنا لها كل شيء لكنها تقول ان لديها خبرا هاما وخارقا ، وأنها ترغب في مقابلتكم بأسرع مايمكن .

ـ دعها تدخل .

فتح المستخدم الباب ، وأدخل الكلبة ، فقالت :

ـ اعذروني لهذا الازعاج ، لو سمحتم ، لقد جئتكم بخبر هام جدا .

وعند عبارة « خبر هام » استعد الجالسون ـ وكلهم صحفيون محنكون وبارعون في العمل الصحفي ـ للاستماع ، حتى أنهم نسوا دهشتهم من قدرة الكلبة على الحديث بصوت انساني . وسألها رئيس التحرير : ما هو خبرك ؟ .

ـ لقد عضني انسان !! .

وقهقه جميع الحاضرين ، بما فيهم صاحب الجريدة .



ـ يبدو أنك لا تعرفين لغة البشر وحسب ، بل وقوانين الصحافة أيضا

واستدارت الكلبة الى الوراء ، وهي تشير الى أثر العض على فخذها الأيسر . وعلق رئيس التحرير .

ـ هذا معروف للجميع منذ أمد بعيد

واندهشت الكلبة قائلة .

ـ ما المعروف ؟

ـ ان الجريدة يهمها واقعة عض الانسان للكلب ، لكن لايهمها عض الكلب للانسان .

« ولم يسمح صاحب الجريدة للكلبة بأن تواصل حديثها ، بل قاطعها قائلا :

ـ مثل هذه الحيل لاتنطلي علينا ، فمن الواضح أنك تبحثين عن الشهرة ، ولعلك تحلمين بنشر صورتك في الجريدة ، لا جدوى من ذلك يابنيتي .

وعند قوله للكلبة « يابنيتي » أمام أعضاء هيئة التحرير احمر وجهه رغما عنه ، لأنه اعتاد أن يخاطب النساء العاملات في الجريدة بهذه الكلمة ، ثم تابع حديثه بعد لحظات من الارتباك :

ـ نعم ، هكذا اذن ، كفاك أن تنبحي كذبا ـ انسان يعض كلبه ؟! أي جريدة ستنشر مثل هذا الخبر ؟! . . . على أي حال باستطاعتك أن تنشري اعلانا اذا كان لديك نقود

ـ انك مخطىء في ظنك بي تماما ياسيد ، فأنا لا أسعى اطلاقا الى الشهرة ، ولست متعطشة لاثارة ضجة ، صدقني من فضلك ، لقد عضني انسان فعلا

ـ وما الذي تبغينه اذن ؟ .

ـ ألا يجوز أن يكون الانسان الذي عضني مسعورا ؟ وربما يعض كلابا أخرى ، فإذا نشرت الجريدة مثل هذا الخبر كان ذلك بمثابة تحذير للسكان من الخطر ، ومن عضات جديدة ، ثم ألا يجوز أن يكون هناك وقت كاف ليتم انقاذ ذلك الانسان ، وتقديم اللقاح له .

ـ وكيف نعثر عليه ؟

ـ انه صاحبي .

ـ صاحبك ؟ واعترت صاحب الجريدة الدهشة .

ـ نعم ياسيد .

ـ عجيب !! ، ومن سيصدقك ؟

ـ انني أقول الحقيقة ، وبإمكانك أن تجري اختبارا .

ـ يبدو أنك أغضبت صاحبك الى درجة لا يستطع معها تمالك أعصابه ، فعضك .

ـ لم يعضني وحدي فقط ، بل لقد عض زوجته أيضا .

وتوجه صاحب الجريدة بالكلام الى الجالسين قائلا :
- أعتقد ، أن من حق الانسان أن يعض زوجته ، أو أي امرأة تنوب عنها ، أليس ذلك صحيحا يا أصدقائي ؟ . .
ورد عليه أحد أعضاء هيئة التحرير على الفور قائلا :
- طبعا ، يمكن أن تحدث بين الزوج والزوجة أشياء أكثر تطرفا .
وسألها أحد الحاضرين قائلا :
- وهل عض صاحبك زوجته في غرفة النوم ؟
- لا ، بل بعد خروجها من (المرحاض) مباشرة .
وعلق صاحب الجريدة قائلا :
- هذه المسألة لاتخضع للزمان أو للمكان .
وقالت الكلبة بلغة تنم عن التأكيد .
- لقد هجم عليها كالمسعور ، وعضها
وتابعت الكلبة حديثها .
- لكن لعابه قد سال .
وقال رئيس هيئة التحرير محاولا الاقناع :
- ان لعاب الانسان يمكن أن يسيل في مثل تلك الحالات .
ثم قال وهو يحاول حسم النقاش :
- لاياسادة ، لايمكن أن يكون هذا الخبر مادة صحفية ، فالجميع يعرفون .
وقاطعته الكلبة قائلة :
- أنا أدرك أن الناس مقتنعون بأن الانسان لايمكن أن يعض الكلاب ، وعندما يعض الكلب الانسان لايعتبر ذلك سوى ظاهرة عادية . لكن فكروا ، ألا يمكن أن يحدث العكس،لتكن تلك من أندر الحوادث ، لكن أليس من الجائز أن يحدث ذلك فجأة ؟
- ماقصدك ؟ .
- أن يسعر الانسان ، ويعض الكلاب .
وابتسم صاحب الجريدة برفق وقال :
- كفاك خداعا .
وتدخل رئيس التحرير في الحديث قائلا :
- وهل تخافين أن تصبحي مسعورة بعد ذلك ؟
- انني لست خائفة على نفسي ، فصاحبي قد اهتم بي وأعطاني لقاحا ، ولن أصبح مسعورة ، لكنني خائفة على الكلاب الأخرى ، واذا كان الناس مثلكم لايصدقون بأن الانسان يمكن أن يصبح مسعورا ، ويعض الكلاب ، واذا كانوا مثلكم لايشكون بمعلوماتهم ، واذا كانوا واثقين من معرفتهم بكل الأشياء ، فإن أحوالنا - نحن الكلاب - ستكون سيئة ، كالعادة ، وستبدأ المعركة ضد الكلب ، ثم يقتلون الكلاب .
وبالرغم من تأكيدات الكلبة لم يرغب صاحب الجريدة بنشر الخبر وطرد الحيوان المسكين الى الخارج .
فاتجهت الكلبة الى جريدة أخرى ، ليست شهيرة ، لكنها رصينة ذات ميول فلسفية ، وقد قوبلت الكلبة بعدم فهمهم لها حتى في هذه الجريدة .
وطافت الكلبة بكل الجرائد والمجلات ، لكنها لم تتمكن من اقناع أحد ، بأن انسانا قد عضها ، بل لقد اتفق الجميع على رأي يقضي بأن الكلبة تريد أن تصبح مشهورة .
وبعد أن فقدت الأمل في ايجاد من يفهمها في عالم الصحافة ، توجهت كلبتنا الى مدير الاذاعة ، رغبة منها في انقاذ الكلاب من الهلاك ، لكنه لم يرغب حتى في سماع مالديها ، اذ أعلن فورا بأنه لم يسمع في حياته مايشبه ذلك ، ولهذا السبب فان أحدا لن يصدق خبرا عن انسان يعض كلبة . ولم تستطع الكلبة أن تبرهن له ، مع أن كل ماتريده فقط هو منع انتشار وباء الكلب .
وأخيرا فقد مدير الاذاعة صبره وصرخ قائلا :
- اذا كنت ترغبين بنشر خبرك ، فادفعي المال لقاء ذلك ، وليكن خبرك في قسم الدعايات ، لا في قسم الحوادث !! . . .
- وهل يصدق الناس الدعايات أكثر من الأخبار ؟
- لا ، طبعا ، لكن المستمعين سيعتبرون ذلك فكاهة ، والفكاهة تجتذب الناس دائما .
- فقالت الكلبة بحزن ومن أين لي بالمال ؟ المال عند الناس ، لاعند الحيوانات ، وهنا يكمن الفرق بين بني البشر والحيوانات ، فالانسان حيوان مالي .
أما رأي مدير التلفاز فكان : ان أحدا في البلد لن يصدق امكانية عض الانسان للكلب ، فالجميع يعرفون أن مايحدث عادة هو العكس .

واعترضت الكلبة قائلة :
ـ لكن ، لماذا أنتم ـ بني البشر ـ لاتشكون فيما تعتبرونه غير قابل للجدل ؟ ألا يمكن أن تكونوا مخطئين ؟ وهل من الصعب جدا أن تهتموا ببحث موضوع تعتقدون دائما ، أنكم تعرفونه جيدا ؟ .
ـ ولماذا نضيع الوقت في البحث أو الشك في مسألة ما ، خاصة اذا كنا نعرفها ؟ . . .

فكرت الكلبة طويلا بما يجب أن تفعله ، وفي آخر الأمر ذهبت الى وزير الصحة ، ولو لم تتمكن الكلبة من الكلام ، لما استطاعت الدخول الى الوزارة بأي حال من الأحوال ، وحدثت الكلبة الوزير بالتفصيل عن جوهر القضية ، وشرحت له كل شيء ، وأخبرته بأنه يجب اتخاذ اجراءات فورية ، والا فإن وباء الكلب سينتشر ، وستهلك كلاب لاذنب لها قطعا .

فابتسم الوزير بعد سماعه كلامها وقال :
ـ حتى أنت أدركت أن الواقعة بذاتها ـ وهي عندما يعض الانسان الكلب تعتبر سبقا صحفيا ؟ هل تعتقدين ـ ياترى ـ أن الناس أغبى منك ؟

وفجأة قطب الوزير حاجبيه بشكل مرعب وصرخ :
ـ انقلعي !! . . انقلعي من هنا ! . . .

لوت الكلبةَ ذيلها ، وقفزت الى الشارع ، وذهبت الى وزارة الثروة الحيوانية ، ثم الى الادارة المركزية للخدمات البيطرية ، والعيادات البيطرية بل لقد ذهبت حتى الى مستشفى المصابين بداء الكلب وفي كل مكان ، كانوا يقولون لها نفس القول :
ـ من قديم الزمان والجميع يعرفون ، ولن يصدقك أحد،وعادت الكلبة حزينة الى البيت ، وخلال ذلك الوقت انتشر وباء الكلب في المنطقة ، وأصبح من الصعب التمييز بين العاض والمعضوض ،وهل الناس عضت الكلاب ، أم الكلاب هي التي عضت الناس ، أم أن الجميع قد عض بعضهم بعضا . ؟ .

واتخذت السلطات الرسمية الاجراءات اللازمة فقامت بتلقيح الناس ، أما الكلاب فصارت السلطات تقضي عليها ، وأصبح بيت تلك الكلبة خاويا ، فصاحب البيت وزوجته لم يأخذا اللقاح في الوقت المناسب فمرضا ونقلا الى المستشفى .

وفي عتمة الليل هربت كلبتنا من المدينة ، محاولة ألا يراها أحد ، وفي الطريق صادفت الكلبة بيتا يسكنه عالم طاعن في السن ، وعند هذا العالم كلب حبيب مسن ، وبما أن هذا الكلب قد ترعرع في كنف صاحبه العالم ، فقد أصبح ذكيا ومشهورا وسط الكلاب،وقد كان يلقب بلقب (المفكر) بين تلك الكلاب

نظر الكلب (المفكر) عبر النافذة الى الطريق ، فرأى الكلبة ، وكانا يعرفان بعضهما سابقا ، ثم نبح مناديا اياها :
ـ الى أين تركضين ؟
ـ أريد الحصول على تأشيرة خروج للسفر الى الخارج !! . . .
ـ ألا يعجبك العيش هنا ؟
ـ وكيف لا ، انه وطني ، لكن من الغباء أن أموت بسبب حماقة لاشأن لي بها .
ـ اذا كنت تخافين من أن يصطادوك فإن كل شيء سينتهي قريبا ، وبإمكانك أن تنتظري اما في بيتك ، أو هنا .
ـ لا ، لست هاربة من الموت ولامن الخوف .
ـ ماذا اذن ؟ .
ـ المسألة هي أن الجميع هنا يعتقدون بأنهم يعرفون كل شيء .
ـ هذا يمكن أن يعني بأن أحدا لايعرف شيئا .

ونبح « المفكر » بتأمل وسأل :

والى أين ستذهبين ؟ .
ـ بودي ، لو أجد مكانا يكون فيه الناس لايعرفون كل شيء ، وما يزالون يشكون في معلوماتهم .

وانتعش (المفكر) وقال :
ـ لعلها مسألة مثيرة ، ان لدى صاحبي مكتبة جيدة ، تعالي نبحث في المعاجم والخرائط والمصورات عن مكان كهذا ، يسكنه أناس بمقدورهم أن يشكوا .

وبحثا طويلا في المكتبة ، لكنهما لم يجدا المكان المطلوب ، فقال المفكر وهو يغلق آخر مجلد للمعجم :
ـ لايوجد على الأرض مثل هذه الأماكن .
ـ وما العمل اذن ؟ .
ـ يبدو أنه يجب علينا أن نذهب الى أفراد سلالتنا ، واذا نجونا ننتظر بصبر تلك الأوقات التي سيبدأ الناس فيها بالشك في معارفهم المطلقة . □



بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

في صفحتنا اللغوية السابقة (العربي/ العدد/ ٣٤١/ ابريل سنة ١٩٨٧) أجبنا عن سؤالين آخرين من خمسة اسئلة وجهها الينا السيد/ أحمد عبدالله حمدان العوريفي (الزرقاء/ الأردن) ، وهنا نلخص السؤال الأخير ، ونجيب عنه

الأنانية والأنوية :

قرأت في مرجع لأحد الباحثين الضليعين عندنا في الاردن اعتراضا على استعمال كلمة « الانانية » التي يراد بها حب الذات وايثار النفس ، وصحّحها باستعمال كلمة « الأنوية » المأخوذة من « أنا » ، وقد خطّأ بشكل سافر التلفظ بـ (الأنانية) واعتبرها غريبة عن العربية ، فما وجه الصواب ؟

- ونسرع فنقول : الكلمتان « الأنوية » و « الأنانية » كلتاهما مصدران صناعيان فصيحان في النسبة الى «أنا» ، وينبغي ان نفرق معنىً بين كلمتين هنا ، هما « حب الذات » و « وإيثار النفس » ، فحب الذات فطرة في كل كائن حي ، وهو قوامه في الحياة ومساكه بها ، فهو الذى يحفزه الى حفظ كيانه ، ويغريه بالتآلف مع نوعه ، بل غير نوعه في الأحياء الراقية ، وهو - لذلك - فضيلة حيوية طبيعية سوية ، ثم أخلاقية ، وقد أحسن حكيمنا المتنبي حين فسر بها النقيضين الأخلاقيين : شجاعة الشجاع وجبن الجبان معا ، وفطن بنفاذ بصيرته الى مالم يفطن اليه كثير من المثقفين المحدثين الذين يقفون عند المظاهر ، فقال :

اری کلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبًا
فحبُّ الجبانِ النفسَ أورده التقى
وحبُّ الشجاعِ النفسَ أورده الحربا
ويختلف الرزقان والأمرُ واحد
الى أن يُرى إحسانُ هذا لذا ذنبا

ومن هنا نعرف أن كلمة « نكران الذات » كلمة « خنفشارية » لا حقيقة لها في الحياة ، حتى عند المنتحرين ، أو عند الفدائيين .

ولكن فطرة حب الذات قد تنحرف عن سوائها أو تختل لسبب ما ، فينشأ عن ذلك انحصارها في حدودها ، ويتعطل فيها الاحساس بالواجب الاخلاقي نحو الغير فيما ينتابه من نفع وضر ، أو خير وشر ، وهذه هي الأثرة ، وهي مرض أخلاقي أو حيوى يستحق العلاج ، ان كان ذلك في وسع الطب ، ولا سيما حين يكون واجبُ الفرد الأخلاقي واجبَ جماعته كلها كما هو الحال في الجماعات القبلية أو الريفية ، قبل ظهور الحقوق الفردية أو

الشخصية ثم انتشارها في المجتمع عند الأمم المتحضرة .

والأمر أسهل من ذلك لغويا في بيان فصاحة « الأنوية » و « الانانية » فكل كلمة ثالثها الف تقلب ألفها واوا عند النسب ، فيقال : أنا انوى وأنوية ، كما يقال : « نوى ونووى ونووية » ، واما زيادة النون مع الف عند النسب الى كلمة ، فكثيرة في لغتنا . وينبغى ان يلاحظ ان العرب توسعوا كثيرا في التصرف عند النسب فقالوا مثلا : روحية وروحانية ، وصمدية وصمدانية كما قالوا : برانية وجوانية ووحدانية . واذن فلا داعي للتعجل في رفض كلمة ومطاردتها لا سيما حين تكون عربية الأصل والصيغة . والمهم هو معنى الكلمة هنا وموضع استعمالها اصطلاحيا وقد وضحنا ذلك في صفحة لغوية عنوانها « الأنانية والأثرة » نشرت في العدد ٢٩١ (فبراير سنة ١٩٨٣) .

وجاءتنا اسئلة من السيد/ فخري رمضان محمد الأغا (دبي/ دولةالامارات العربيةالمتحدة) وهذان سؤالان منها ، ومع كل سؤال جوابه .

طاق وأطاق :

١ - « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ما معنى يُطيق ، وما الفرق بين « طاق وأطاق » .

هذا نص قرآني في موضوع الصيام ، ومعظم المفسرين يرون أن الآية نزلت في حق الشيخ الهرم والمرأة العجوز ، وقاس عليها الفقهاء الحامل ، والمرضع إذا خافت على نفسها أو رضيعها ، والله تعالى كما قال في الآية « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، ولذلك أباح الإفطار في الفريضة (صيام رمضان) للمريض والمسافر ، وأباحه للعاجز عنه بسبب الشيخوخة ، ولمن تحس أنه يضرها أو يضر صغيرها من حامل ومرضع . ولا شك أن الصيام مجهد لكل بنية حية على كل حال ، ولكن الصحيح المقيم يستطيعه وإن أجهده ، ولا يضره شيئاً وإن ضايقه .

والطاقة لغةً هي الاستطاعة أو الوُسع أو الإمكان ، ولكن هذه كلها نسبية ، ولهذا يرى بعض المفسرين أن الوسع يعني القدرة على العمل في سهولة ، والطاقة تعني القدرة عليه مع الشدة « المشقة » ، فالمراد في الآية من يقدرون على الصيام مع المشقة والعنت ، وهذا الرأي أدنى إلى القبول لاتفاقه مع اليسر دون العسر .

وقد فسرت « الفدية » في الآية بأنها « طعام مسكين » .

وهذا هو المختصر المفيد لمعنى هذا النص القرآني ، وهناك أكثر من قراءة له ، ثم إن للمفسرين كلاماً طويلاً في تفسيره يملأ صفحات (يراجع ذلك في موقع الآية من التفاسير الآتية :

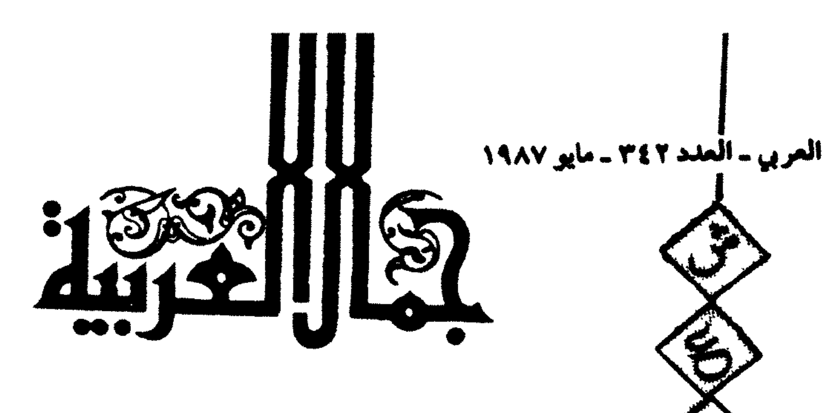
(جامع البيان للطبري ، والتبيان للطوسي ، ومجمع البيان للطبري ، والكشاف للزمخشري ، والتفسير الكبير للرازي ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ، وروح المعاني للألوسي .)

ولا فرق في المعنى بين « طاق » و « أطاق » ، نقول : طاق الشيء ، يطوقه ، طوقا ، وطاقة . كما نقول . أطاقه ، إطاقة - بمعنى قدر عليه □

رئيس ورئيسي :

٢ - متى نقول : « رئيسة » ومتى نقول : « رئيسية » ؟

هاتان الصفتان صحيحتان على سواء ، وإن كان بعض المتشددين من معاصرينا ينكرون الثانية بمعنى الأولى ، وقد كتبنا في تصويب ذلك « صفحة لغوية » ذكرنا فيها أكثر من خمسين شاهداً فصيحاً (العربي العدد ٣٠٧ / يونية سنة ١٩٨٤) .



هكذا غنى الآباء

وصف زلزال

لحافظ ابراهيم

حافظ ابراهيم شاعر قومي ، كان يلقب « شاعر النيل » ولد نحو سنة ١٨٧٢، كان وحيد أبويه ، وحين كان في الرابعة توفي أبوه دون ثروة ، فذاق آلام اليتم والفقر ، وقد كفله مع أمه خاله . دخل في صباه بعض الكتاتيب ثم مدرسة ابتدائية ، وقبل ان يتم المرحلة الثانوية في المدرسة الخديوية اشتغل كاتبا عند بعض المحامين ، ثم دخل المدرسة الحربية،وعقب تخرجه فيها اشتغل في وزارة الحربية ثم الداخلية ، ونقل الى السودان حين كان الجيش المصري هناك ، فلما حدثت ثورة السودان سنة ١٨٩٩ اتهم فيها فأُحيل على الاستيداع ، ثم المعاش ، واتصل عندئذ بالاستاذ الامام محمد عبده فنال كثيرا من عطفه وعلمه ، ثم عين مديرا للقسم الادبي بدار الكتب المصرية سنة ١٩١١ وبقي فيها الى ما قبل وفاته بشهور سنة ١٩٣٢ .

ترجم رواية « البؤساء » لفكتور هيجو ، وكتابا في الاقتصاد بمشاركة الشاعر خليل مطران ، وله ديوان طبع كاملا بعد وفاته عدة طبعات .

كان واسع الاطلاع على الادب العربي ، غزير المحفوظ من شعر القدماء ، كثير الاستشهاد به في احاديثه ، كما كان من أمراء النكتة والفكاهة بين معاصريه في مصر ، فكانت مجالسه موضع اعجاب وسرور من اخوانه « ومسينا » التي يتوجع الشاعر لها هنا - بلدة في جنوبي ايطاليا ، وقع زلزالها سنة ١٩٠٨ وقصيدته فيها ٥٩ بيتا ، اجتزأنا منها بما أوردناه ونلاحظ فيها رنة خطابية ، وقد كان شاعرنا من اجمل الناس القاء للشعر ، ومن الافضل أن تردَّد الأبيات جهرا ، ولا تُعبرَ في صمت .

نَبِّئاني إن كُنتُما تَعْلَمانِ	ما دَهى الكَوْنَ أيّها الفَرْقَدانِ[1]
غَضِبَ اللهُ أم تَمَرَّدتِ الأر	ضُ فأنحَتْ على بني الإنسانِ ؟[2]
ليسَ هذا سُبْحانَ رَبي ، ولا ذا	كَ ، ولكنْ طَبيعةُ الأكْوانِ
غَلَيانٌ في الأرْضِ نَفَّسَ عنه	ثَوَرانٌ في البَحْرِ و (البُرْكانِ)

رَب ، أينَ المفرُّ والبَحْرُ والبرُّ على الكَيْدِ للوَرَى عامِلانِ ؟

ما (لمتّين) ؟ عُوجِلَت في صِباهَا ... ودَعَاها من الرَّدَى داعيان

خَسفَتْ ، ثم أغْرِقَتْ ، ثمّ بادَتْ ... قُضيَ الأمْرُ كلُّه في ثَوانِي

وأتَى أمْرُها فأضْحَتْ كأنْ لَمْ ... تَكُ بالأمْس زينةَ البُلْدَانَ

بَغَتِ الأرضُ والجِبالُ عليها ... وطَغَى البحرُ أيّما طُغْيان

تلكَ تَغْلي حِقْداً عليها فتَنْشَـ ... ـقُّ انْشِقاقاً منْ كَثْرَة الغَلَيان

فتُجِيبُ الجِبالُ رَجْماً وقَذْفاً ... بِشُواظٍ منْ مارجٍ ودُخان(٣)

وتَسُوقُ البِحار رداً عليها ... جيشَ مَوجٍ نائِي الجناحَين دَاني(٤)

فاستَحالَ النَّجاءُ ، واستَحْكَمَ اليأ ... سُ ، وخارَتْ عَزائمُ الشُّجْعَانِ(٥)

وشَفَى الموتُ غِلَّهُ من نُفُوسٍ ... لا تُبالِيه في مَجَال الطِّعان(٦)

رُبَّ طفْلٍ قد ساخَ في باطن الأرْ ... ضِ يُنادي : « أمي ! أبي ! أدْرِكانِي ! »

وفَتاةٍ هَيْفاءَ تُشْوَى على الجَمْـ ... ـرِ تُعاني منْ حَرِّهِ ما تُعاني

وأبٍ ذاهلٍ ، إلى النّار يَمْشِي ... مُسْتَمِيتاً تُمْتَدُّ منه اليَدان

باحِثاً عن بَناتِه وبَنَيه ... مُسْرِعَ الخَطو مُسْتَطِير الجَنَان(٧)

تأكُل النَّارُ منه ، لا هُوَ ناجٍ ... مِنْ لَظَاهَا ، ولا اللَّظَى عنه وانِي(٨)

غَصَّت الأرضُ ، أتْخَمَ البَحْرُ ممّا ... طَوَياهُ منْ هذه الأبْدان(٩)

وشَكَا الحُوتُ لِلنُّسُورِ شَكاةً ... رَدَّدَتْها النُّسُورُ للحيتان

قد أغارَا على أكُفٍّ بَراها ... بارِيءُ الكائِنات للاتْقان(١٠)

كيف لَم يَرْحَمَا أنامِلَها الغُـ ... ـرَّ ، ولَمْ يَرْفُقَا بِتلْكَ البَنانِ ؟(١١)

لَهْفَ نَفْسي وألْفَ لَهْفٍ عليها ... مِنْ أكُفٍّ كانتْ صَناعَ الزَّمان(١٢)

مُولَعاتٍ بصَيْد كلِّ جَميل ... ناصِباتٍ حَبائِلَ الألْوانِ(١٣)

حافراتٍ في الصَّخْرِ أو ناقِشاتٍ ... شائِداتٍ رَوائعَ البُنْيانِ

مُنْطِقاتٍ لِسانَ كلِّ جَمادٍ ... مُفْحِمَاتٍ سَواجِعَ الأفْنانِ(١٤)

مُلْهِماتٍ منْ دقّة الصُّنْعِ مالاَ ... يُلْهَمُ الشِّعْرُ مِنْ دَقيقِ المعَاني(١٥)

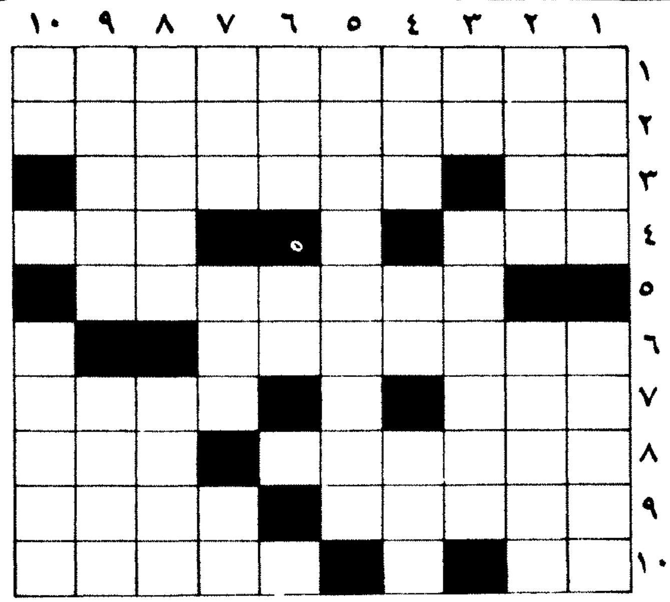
فَسَلامٌ عليكِ يومَ تَوَلَّيْـ ... ـتِ بِما فيك منْ مَغانٍ حِسانٍ !

وَسَلامٌ عليكِ يومَ تَعُودِينَ كما كنت جَنَّةَ الطُّلْيَانِ !

---

(١) الفرقدان : نجمان . (٢) أنحت على بني الانسان ـ جاءتهم بالعذاب . (٣) الشواظ : لهب لا دخان فيه والمارج الشعلة الملتهبة . (٤) نائي الجناحين : بعيد الجانبين : الداني القريب : (٥) استحكم : اشتد . خارت : ضعفت . (٦) الغل : الحقد . (٧) مستطير الجنان : ذاهب القلب . (٨) اللظى : حر النار . وانى : بطيء . (٩) غصت : امتلأت . أتخم : امتلأ جوفه . (١٠) براها : خلقها . (١١) البنان ـ الأصابع . (١٢) الصناع : الماهرة في العمل . (١٣) الحبائل : الأشراك . (١٤) سواجع الافنان : الحمائم المغردة فوق الأغصان . (١٥) اشتهرت ايطاليا بالبراعة في الفنون التشكيلية الجميلة المشار اليها هنا من رسم ونحت وعمارة .

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع . والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم .

الكلمات الأفقية :

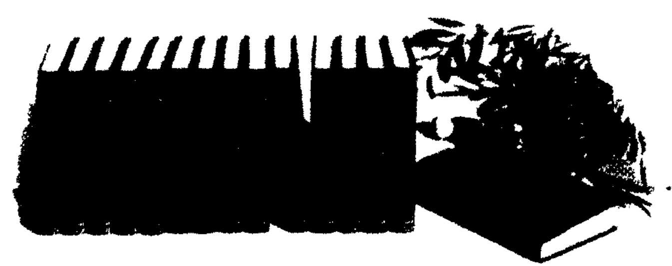
١ . بلدة حدث فيها التحكيم بين الامام علي ومعاوية
٢ . من أسماء بئر زمزم
٣ . للنداء ، جحود او عناد
٤ . عامية بمعنى قوي أو شديد ، نقطة في القبة السماوية
٥ . جبان للنسوة
٦ . شاعر فارس عاصر المتنبي
٧ . رفع صوته بالبكاء مقلوبة ، حقير
٨ . انتشرت مبعثرة ، قدم وَوَرَد رسولاً
٩ . قطيطة ، مظلم
١٠ . ضمير إشارة ، من بني عامر

الكلمات الرأسية :

١ . مشي على اليدين والرجلين ، ملك يمني جاهلي
٢ . موافقة او مودّة ، قصير
٣ . علقم ، سلطنة شمال غربي بورنيو
٤ . مشى على غير هدى ، امتنع عما لا يجمل ، شَقَ
٥ . اقليم عربي سليب
٦ . بمعنى لم ، اي معكوسة
٧ . تَنَقّل في البلاد ، كثير السمن ، تجدها في غاب
٨ . كن في عجلة من أمرهن ، هيام
٩ . تهيئة مقلوبة ، ينهي الصوم
١٠ . حرف مكرر ، صفة لنسيج فاخر

حل مسابقة العدد ٣٤١ ابريل ١٩٨٧

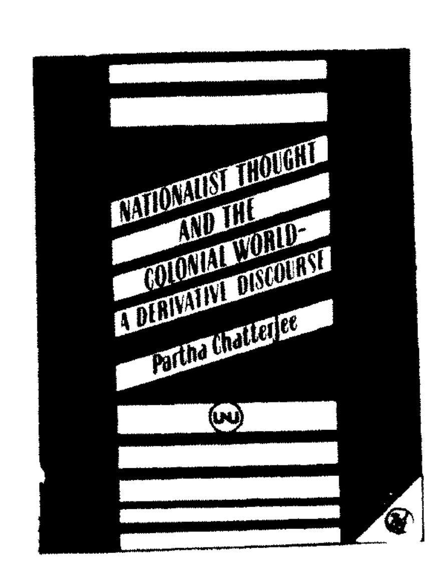
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	س	ت	ر	ا	ت	ي	ح	ي	ه
٢	ن	ا	ح	ا	ل	ع	ر	و	س	■
٣	ي	ر	ا	د	ق	ن	■	ن	ا	د
٤	ل	ت	■	ي	ص	ق	ر	■	و	■
٥	ا	ر	ح	و	ا	ن	ي	■	ر	ق
٦	■	■	ر	م	م	■	ا	ن	■	ي
٧	ح	ش	و	■	■	ب	ص	ع	■	ص
٨	م	ح	م	و	د	ت	ي	م	و	ر
٩	ر	ر	■	ش	ب	و	■	■	ا	ي
١٠	ه	ي	ت	■	ا	ل	ص	ف	و	ه

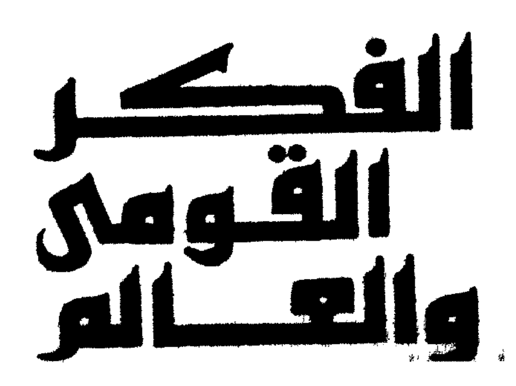


مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : بارثا شاترجي   عرض وتعليق : جمال وردة





الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع . والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
										١
										٢
■							■			٣
			■	■		■				٤
■								■	■	٥
	■	■								٦
				■		■				٧
			■							٨
				■						٩
					■		■			١٠

الكلمات الأفقية :

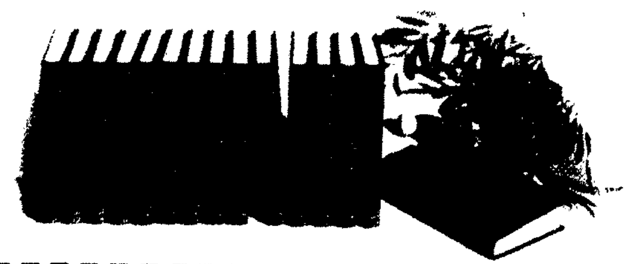
١ . بلدة حدث فيها التحكيم بين الامام علي ومعاوية
٢ . من أسماء بئر زمزم
٣ . للنداء ، جحود او عناد
٤ . عامية بمعنى قوي أو شديد ، نقطة في القبة السماوية
٥ . جبان للنسوة
٦ . شاعر فارس عاصر المتنبي
٧ . رفع صوته بالبكاء مقلوبة ، حقير
٨ . انتشرت مبعثرة ، قدم وَوَرَد رسولاً
٩ . قطيطة ، مظلم
١٠ . ضمير إشارة ، من بني عامر

الكلمات الرأسية :

١ . مشي على اليدين والرجلين ، ملك يمني جاهلي
٢ . موافقة او مودّة ، قصير
٣ . علقم ، سلطنة شمال غربي بورنيو
٤ . مشى على غير هدى ، امتنع عما لا يجمل ، شَقّ
٥ . اقليم عربي سليب
٦ . بمعنى لم ، اي معكوسة
٧ . تَنَقّل في البلاد ، كثير السمن ، تجدها في غاب
٨ . كن في عجلة من أمرهن ، هيام
٩ . تهيئة مقلوبة ، ينهي الصوم
١٠ . حرف مكرر ، صفة لنسيج فاخر

حل مسابقة العدد ٣٤١ ابريل ١٩٨٧

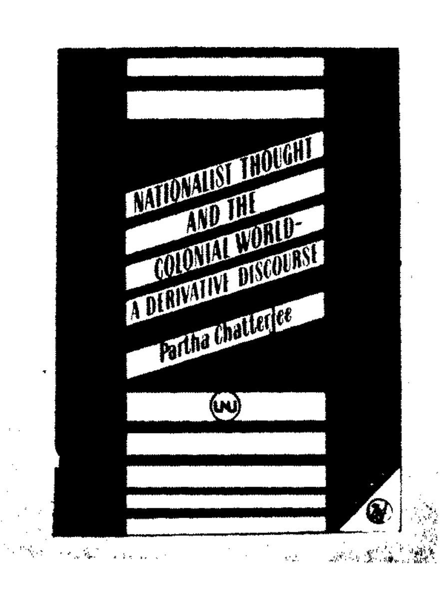
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
ه	ي	ج	ي	ت	ا	ر	ت	س	ا	١
■	س	و	ر	ع	ل	ا	ج	ا	ن	٢
د	ا	ن	■	ن	ف	د	ا	ر	ي	٣
■	و	■	ر	ف	ص	ي	■	ت	ل	٤
ق	ر	■	ي	ن	ا	و	ج	ر	ا	٥
ي	■	ن	ا	■	م	م	ر	■	■	٦
ص	■	ع	ص	ب	■	■	و	ش	ج	٧
ر	و	م	ي	ت	د	و	م	ج	م	٨
ي	ا	■	■	و	ن	ش	■	ر	ر	٩
ه	و	ف	ص	ل	ا	■	ت	ي	ه	١٠



مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : بارثا شاترجي   عرض وتعليق : جمال وردة







يقال ان جاليليو في أواخر أيامه ذكر أنه في حالة وجود عقبات بين نقطتين فان أقصر خط بينهما قد يكون متعرجا ، وهي مقولة فيها الكثير من المرارة والسخرية ، ولكن استعارتها بحذافيرها تبقى أمرا مقبولا في العلوم السياسية الدولية . ولكن هل تصلح هذه المقولة لقضايا حرجة أخرى ؟؟ والسياسة نفسها أليست تطبيقا لأهداف ومبادىء يفترض فيها الوضوح والمصداقية حتى لا تحتمل أي تفسير ثالث ؟

إن المبادىء دائما واضحة ناصعة ، ولكن تبقى النظريات شيئا والتطبيق شيئا آخر ، حتى الأهداف النبيلة تتخذ في مسارها قنوات أخرى مغايرة تبدو نتائجها وكأنها النقيض تماما لتلك الأهداف والنوايا . قنوات يختلط فيها الحلم مع الوهم ، والمطلق والنسبي مع الحقائق وأنصافها . ويظل عالمنا المتناقض رغم ذلك سجلا لأهداف تتحقق ، وأنظمة تقام ، وقوانين تصاغ وقيم تكرس .

الطبقي والقومي :

في بداية هذه الدراسة عن أيديولوجية الفكر القومي في العالم الثالث ممثلة في التجربة الهندية ، يلمح المؤلف « بارثا شاترجي » الى صعوبة فهمها اذا استعملنا في تحليلاتنا الطريقة الرياضية البحتة ـ طريقة النقطتين الثابتتين والربط بينهما بخط مستقيم .

لقد عرف العالم نمطا طبقيا من الثورات ، كالثورة البرجوازية الفرنسية ، والثورة الروسية البروليتارية ، ولكن ماذا عن ثورات العالم الثالث من أجل الاستقلال والبناء الداخلي معا ؟ انها ثورة على جبهتين ، ضد الاستعمار من جهة ، وضد قوى التخلف من جهة أخرى . اختلف المفكرون والفلاسفة في تفسير ظاهرة نشوء القوميات ، بالرغم من مساوئها في الغرب حيث كرست معاني التنافس والصراع ومفاهيم العنصرية والشوفينية وصولا الى الاستعمار والامبريالية . وأدت بالتالي الى ظهور النازية والفاشية .

ولكن ماذا عن الشرق ؟ هل القوميات فيه مجرد تقليد أعمى لبدعة غربية ؟ أم ضرورة تاريخية وحتمية ؟ يقول « جون بلا منتاز » هناك نوعان من القوميات ، تبدو القومية في كليهما وكأنها ظاهرة فكرية ، ولكنها لا تلبث أن تتخذ طابعا سياسيا ، النوع الأول هو ما يعرف بقوميات أوروبا الغربية عموما والثاني قوميات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . فمع التقدم السياسي والفكري والاقتصادي في بريطانيا وفرنسا بدأت الشعوب الأوروبية تنظر بعين الاعجاب ثم الحسد الى هاتين الدولتين ، ثم تطور الاعجاب الى نوع من التعصب والشوفينية في مجال التنافس الدولي . لقد كانت مفاهيم التقدم الفكري والحضاري وراء انبعاث هذه الحركات الأوروبية ، وبدأت كل أمة تفتش في تاريخها عن موطىء قدم صلب تستطيع الارتكاز عليه للانطلاق من جديد ، وأصبح مفهوم التقدم شعارا عالميا لمعظم الحركات القومية في القرن التاسع عشر ، أما القوميات الشرقية التي كانت حديثة العهد بالتقدم الحضاري فكان صراعها مزدوجا ، فالجهل والتخلف يجب أن يتحولا الى مادة حضارية تساعد في عملية التحول السياسي والحضاري ، لأن العملية ليست تقليدية بحتة ، فذلك يعني طمس شخصيتها القومية المميزة تماما عندئذ .

يقول بعض الرافضين ان القوميات هي مجرد مذهب سياسي ابتدعته أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر ولظروف اقتصادية بحتة ، وهذه الأفكار تبدو شاذة بالنسبة للعالم الثالث،وغريبة عن فطرتها وطبيعتها،وتبقى مجرد أفكار مستوردة تماما كغيرها من السلع الأوروبية الأخرى . ان المذاهب القومية في نظرهم ليست الا تكريسا للعنف والتعصب وسياسة العداء والكراهية للاخرين ، وممارسة لمفاهيم الاستعلاء والفوقية التي تدعيها كل أمة وكأنها هي الأفضل والأرقى من بين أمم الأرض وشعوبها . ولكن يبقى من الظلم ربط هذه العلاقة التعسفية بين قوميات نشأت على التنافس والتناحر الاقتصادي ، وانتهت بمحاولة تدمير العالم على يد النازية ، وبين قوميات تريد الحرية لشعوبها .

ان القوميات الغربية قامت من أجل مصالح الطبقات المالية التي أرادت توحيد مجتمعاتها سعيا وراء اقامة قوة سياسية مركزية لحماية أهدافها التجارية والمالية ، فهذه الطموحات الصناعية الكبيرة لا يمكن أن تقوم داخل مجتمعات مفككة مشتتة ، بل لا بد من ضم الصفوف لحماية هذه الطموحات ، ولكن القوميات في العالم الثالث كانت على عكس هذه المفاهيم تماما ، فقد كانت ضرورة الزامية وحتمية للتحرر الوطني ، وليس لاستغلال غيرها من الشعوب . فلا يمكن لأمة مشتتة مبعثرة أن تقوى على النهوض لمقاومة الاستعمار بغير توحيد أوصال هذا الجسد الممزق . فالدعوة التوحيدية كانت لأهداف نبيلة ، وليس من أجل استعمار الآخرين ونهب خيراتهم .

رحلة البحث عن الذات :

لقد انتهجت التجربة الوطنية في الهند طريقا جديدا للتحرر . فلقد بدأ العالم الثالث رحلة البحث عن الذات في أعماق تاريخه وتراثه وصولا الى الركائز الأيديولوجية الخاصة بهذه القومية أو تلك ، وتبلورت هذه النظرية الهندية عبر ثلاثة رموز فكرية وسياسية ، كان الرمز الأول لهذه الأيديولوجية القومية المفكر الهندي « بانكيم شاندرا » (١٨٣٨ ـ ١٨٩٤) والذي يعتبر بحق الأب الروحي للفكر القومي الهندي ، وعلى غرار المفكرين الاصلاحيين بدأ « شاندرا » يبحث عن أصل الداء لهذا الضعف الذي أصاب أمته ، وجعلها أمة مستضعفة مغلوبة على أمرها ، فقد بدأ بتفنيد المزاعم الغربية عن افتقار الأمة الهندية للقوة والشجاعة ، فالقضية في رأيه أبعد من ذلك ، فهناك ـ حسب اعتقاده ـ سببان رئيسيان وراء تخلف الهند وضعفها : أولهما افتقار الهنود الى الرغبة الجادة في التحرر ، ويعتبر « شاندرا » تاريخ الهند مجرد سلسلة من الصراعات ـ بين ملوك وأمراء ـ بعيدة كل البعد عن المشاركة الجماهيرية لتلك الصراعات ، ولا نستطيع القول ان الأمة الهندية قد هزمت في تلك المعارك ، لأنها لم تشارك أصلا فيها ، فلم تكن في يوم ما طرفا فاعلا في هذه الأحداث ، أما السبب الثاني فهو كثرة الانقسامات الطائفية والدينية داخل المجتمع الهندي الواحد . والسبب في خضوع الهند ليس افتقارها الى القوة « المادية » كما يقولون ، بل الى القوة الفكرية والثقافية . ان الفلسفة الدينية الهندوسية قامت اساسا على مبدأين خطيرين يشكلان معا الموقف السلوكي الرافض للقوة ، والمتمثل في مبدأ الايمان المطلق بالحياة الأخرى ، وهذا التخاذل والتكاسل والعزوف عن العمل الدنيوي يعزى الى هذا السلوك الديني المبالغ فيه . ثم مبدأ الجبرية والايمان الاعمى بالقضاء والقدر الذي يلغي أي دور انساني ولو بسيط لمعنى المسؤولية الشخصية . فكل شيء مقدر ولا خيار للانسان . وهذا المفهوم المتطرف أفقد الانسان الهندي معنى الالتزام وجرده من حق الرفض لمعاني القهر والاضطهاد،وهكذا أصبحت الهند بلا تاريخ بشري . فالاحداث تصنعها الآلهة ، والقوى الخارقة الأخرى ولا دخل للانسان فيها .



بريق الغرب المزيف :

ثم جاء « غاندي » ليكمل مابدأه « شاندرا » بمحاولة الاجابة عن نفس السؤال اللغز ، لماذا الهند أمة مستضعفة ؟ ولكن بتركيز اكثر على الضعف الهندي ، وليس فقط بوضع اللوم على الغزاة الفاتحين ، كما فعل سلفه « بانكيم شاندرا » .

يقول غاندي ان الانجليز لم يستولوا على الهند ولكن نحن قدمناها لهم ، بتمزقنا وبصراعاتنا الداخلية التي أنهكت قوانا ، وجعلتنا أمة مغلوبة على أمرها . فالتخلف وعدم التكيف الحضاري ليسا وراء هزيمتنا ، ولكنه ذلك الوهج الأوروبي الساطع الذي أعمى بصيرة البعض في الهند ، فانساقوا وراءه فاصبحوا خاضعين له . لقد كان غاندي رافضا لكل اوجه الحضارة الغربية ، وبكافة صورها وجوانبها ، وظل يعتبرها المصدر الرئيسي لكل ويلات العالم وشروره وآثامه .

يقول غاندي « حتى لو نجح هؤلاء في طرد الانجليز من الهند واصبحت بلادنا مستقلة فان الحكم سيبقى انجليزيا ، بفضل هؤلاء الغافلين المبهورين ببريق الغرب المزيف » . لقد رفض غاندي « كل المفاهيم الغربية عن التقدم والتمدن واعتبرها مصدرا لشقاء الانسان ، لأنها بدورها قد جعلت الانسان عبدا لشهواته ، وترفه ، واشباع رغباته الخاصة التي لن تنتهي ابدا ، فلقد حولته الى مجرد مستهلك جشع وأيقظت في داخله روح الوحش ، وذلك بتغذية مفاهيم التنافس والصراع وماسينتج عن ذلك من حروب ومعاناة وامراض .

إن هذه النظرة الاستغلالية قد فتحت الباب على مصراعيه للانتاج الصناعي الهائل الذي أصبح مصدرا للظلم الاجتماعي والاضطهاد الطبقي . لقد نظر غاندي الى الآلة كخصم بشع للانسان ، ورفض فكرة التصنيع الآلي فهي على حد قوله احدى أدوات القهر الطبقي والتدمير الانساني ، وقد بالغ غاندي في ذلك كثيرا ، منساقا وراء شفافية احلامه وبراءتها « انني ابكي كلما قرأت تاريخ الهند الاقتصادي ، ويعتصر قلبي ألماً كلما فكرت فيه من جديد » لقد كانت الآلة وراء افقار الهند ، ومن الصعب تقدير الاضرار التي سببتهالنا « مانشستر » . لقد كانت مانشستر وراء انقراض الحرف اليدوية الهندية « فمن أجل الخلاص من هذه الشرور الاجتماعية للصناعات لم ينتقد غاندي سلبياتها وعيوبها فقط ، بل رفض الفكرة من اساسها ، ودعا بالمقابل الى تغيير شامل في المعايير الاخلاقية التي بدورها ستغير من مفاهيمنا الاستهلاكية ـ « يجب أن يكون هناك حدّ لجشع الانسان ونهمه » . ويعتبر غاندي الاستعمار وجها آخر لعملية الانتاج المتصاعد الذي أصبح يبحث عن اسواق جديدة لانتاجه ، والمواد الأولية لزيادة هذا الانتاج ، فليس الاستعمار مجرد حروب من اجل المجد الوطني والمغامرات والتباهي ، فلقد خضعت الأخلاق في العهد الامبريالي الى معايير اقتصادية بحتة . كما أن التصنيع سوف يفسد في النهاية هذا التوازن القائم بين القرية والمدينة ، وسوف يغير من طبيعة العلاقة بينهما . ولن يكون هذا التغيير لصالح القرية طبعا . إن المدينة ستفقد القرية استقلالها وتجردها من قدرتها الانتاجية،ويقول إن نهرو يؤيد فكرة التصنيع ، لأن التأميم سوف يحميها من شرور الرأسمالية ، ولكن هذه المساويء ستبقى صفات لازمة للصناعة ، مهما حاولت الاشتراكية القضاء عليها . ويرفض غاندي مايعرف بالمدنية

الحديثة ، وهو في الحقيقة رفض للمجتمع البرجوازي القائم على مبدأ الملكية الفردية ، ومبدأ الطبقية ، وعلى مبادىء وقوانين « ماندفيل » و « سميث » الاقتصادية .

أما الرمز الثالث فكان البانديت نهرو الذي كان أقل تطرفا من « شاندرا » في آرائه التراثية والأصولية كما كان اكثر عمقا ، وبعدا عن روحانيات غاندي ونزعاته العاطفية . لقد كان نهرو أول من ربط بين القضايا السياسية والاقتصادية للمجتمع الهندي . فاذا لم تكن الأهداف السياسية واضحة وحاسمة في اذهان الجماهير فأي محاولة اصلاحية لن يكتب لها النجاح ، وسيكون مصيرها الفشل ، ولقد اتسمت آراء نهرو بالنضوج السياسي والاجتماعي .

بدعة امبريالية :

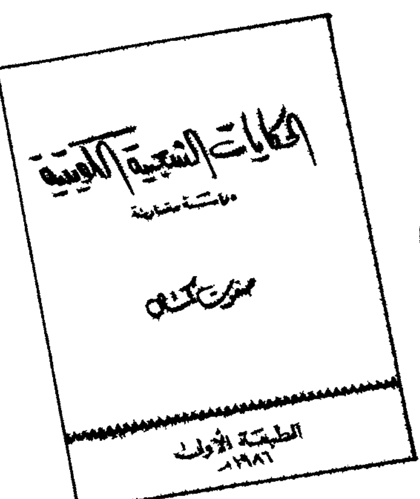
وفي كتابه « تاريخ الهند » يقول : « ان الهند لم تركع يوما للغزاة الفاتحين عبر تاريخها الطويل بل كانت تقاوم ، تنجح مرة وتفشل أخرى ، وكانت مقاومتها ذات شقين . طرد من تستطيع طردهم واستيعاب من لا تستطيع » . كما رفض نهرو فكرة تقسيم العالم الى شرق وغرب واعتبر ذلك بدعة امبريالية صرفة ، فبعض مفكري الغرب ، حتى المحدثين منهم ، مازالوا يبشرون بهذه النظرية المجحفة ، معتبرين الفكر اليوناني القديم هو التراث العالمي الوحيد والأصيل للحضارة الغربية ، رافضين ومسفهين كل فكر آسيوي قديم ، رغم أن الحضارة الهيلينية كانت اقرب الى مثيلاتها في الهند والصين من أي بلد أوروبي آخر . فقد كانت لها جميعا نفس الرؤية الوثنية القديمة للامور من حب للطبيعة ومباهج الحياة ، وحب الفن والحكمة . ان الفرق الوحيد بين الشرق والغرب اليوم هو ان الغرب مجتمع صناعي ، والشرق مجتمع متخلف .

يقسم نهرو تاريخ الهند الى مرحلتين مهمتين اولها حضارة « وادي اندوس » القديمة التي استمرت حتى القرن الحادي عشر وتميزت بنهضة شاملة في حقول المعرفة كالفلسفة والآداب والفنون والرياضيات ، وكان للهند وقتها علاقات تجارية وثقافية مع معظم بلدان العالم . ثم بدأ الوهن والضعف تدريجيا ، وان كان اثره واضحا في الشمال اكثر من الجنوب ، اما المرحلة الثانية فتبدأ مع الفتح الاسلامي في القرن الحادي عشر ، وبلغت هذه المرحلة ذروتها ابان حكم الامبراطور المغولي « اكبر » . لقد بدأ في الهند في عهده مجتمع جديد قائم على تعدد الثقافات والأجناس من عربية وفارسية وتركية وافغانية ، وشهدت هذه المرحلة ازدهارا عظيما في الهندسة المعمارية والآداب والموسيقا وحتى في العلوم الفلسفية والدينية .

وقد تحقق الحلم الهندي القديم بتوحيد البلاد شعبا وحكومة ، ولأول مرة على يد الامبراطور « أكبر » ولكن هذه التعددية الثقافية الجديدة لم تستطع ان تغير الكثير من البنية الاجتماعية الهندية لأن هذا الحماس كان مرتبطا بشخص هذا الامبراطور الديناميكي الذي عادت الهند بعد وفاته الى جمودها وسباتها العميق ، فيما كانت اوروبا تشهد يقظة ثورية وجذرية في مجتمعها خلال هذه الفترة الزمنية نفسها .

ان مايلزم الهند هو أن تتفهم روح العصر وتعايشه ـ فعلى الهند أن تتعلم من الحضارة الغربية ، ففيها الكثير ، وعلى الغرب أن يتعلم أيضا دروس الحياة ، فاوروبا ليست كل العالم . لقد كان نهرو كغيره من مفكري الشرق ـ يحلم بهذا التزاوج المثالي بين العلم والاخلاق ، بين الأصالة والتحديث بين الاقتصاد والديمقراطية ، وكان يرى في هذه الايديولوجية العلاج الشافي لكل أمراض الهند من فقر وجهل وطائفية . واذا كانت هذه الأيديولوجية الوطنية قد تحولت فيما بعد الى ايديولوجيات حكومية على يد بعض الطبقات الحاكمة فان مرحلة مابعد الاستعمار سوف تتجاوز حتما هذا النمط من التنظيرات الأيديولوجية ، بحثا عن طريق جديد آخر للحياة . □

من المكتبة العربية



الحكايات الشعبية الكويتية

بقلم :
الدكتور عبدالحميد يونس

أتيح لى أن أحضر ندوة خاصة بتجديد التراث القومى ، وأن أشارك مجموعة من المتخصصين فى الفروع المختلفة ، التى تبرز ملامح تراثنا العربى . وأدركت مدى الاهتمام بالجانب الشعبى من هذا التراث ، الذى أصبحت له المراكز ، التى تعمل على جمع المواد ، التى حقق بها الشعب العربى ، على اختلاف ربوعه وأوطانه ، ملامح قوميته ، على مدى العصور . وهى ملامح لها عراقتها ومسايرتها للتطور ، وتوسعها فى الوطن العربى بأسره .

ولقد أفدت من تجربتى فى مواجهة التراث الشعبى ، وأدركت مكانته من ذخيرة الحضارة الانسانية ، بصفة عامة ، والعربية ، بصفة خاصة . وكلما واجهت بيئة ، عملت على التقاء الشعوب اتضح لى قوة التشبث بالقومية ، بل وفطنت الى وجود فرص ومناسبات تجمل هذا التراث الشعبى يتمثل الكثير من الزاد الثقافى ، الذى تثمره الأسفار والرحلات وما إليها . وهذه « الكويت » تكشف عن وجود المحلية والقومية والعالمية فى تراثها الشعبى .

وأصبح المركز الخاص بتراثها الشعبى من أوضح الملامح التى تشخص هذه الظاهرة . واهتمامى بكتاب « الحكايات الشعبية الكويتية » لا يعود الى موضوعه فحسب ، وانما يعود الى أن مؤلفه صفوت كمال سار معى على الدرب نفسه ، فقد بدأنا خطواتنا الأولى فى الاهتمام بالتراث الشعبى . وكانت دراسته لعلوم الاجتماع والنفس ، والأنثروبولوجيا ، دافعا للتركيز على الأدب الشعبى ، باعتباره وثيقة عريقة وحية فى تأكيد الجانب ، الذى يعنى بالفولكلور . وقد أوفدته الدولة الى بولندا للتخصص فى مناهج البحث . وعاد ليعمل مشرفا على البحوث الميدانية فى المركز . وواصل جهده فى جمع وتسجيل وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية . ثم أعير الى دولة الكويت عام ١٩٦٦ خبيرا للفنون الشعبية .

وقد أصدر عدة دراسات منها « مدخل لدراسة الفولكلور الكويتى » ، وكتاب « الأمثال الكويتية » مع دراسة مقارنة بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ أحمد البشر الرومى ، وقد صدر فى أربعة مجلدات . وبعد

عودته الى مصر عام ١٩٨٤ عكف على تأليف كتابه عن « الحكايات الشعبية الكويتية » بعد أن عمل على جمع المادة من الرواة وتصنيفها ودراستها بالمنهج المقارن .

مركز لقاء حضاري

ومشاركتى مع صفوت كمال جعلتنى أشفق على اختياره للحكايات الشعبية الكويتية ، وجميع المتخصصين يكادون يجمعون على أن هذا التخصص فيه قدر من المجازفة ، لأنه يعتمد على المواجهة الواقعية من ناحية ، والرواية الشفوية ، من ناحية أخرى . والكويت دولة عربية لها سيادتها ومكانتها فى الوطن العربى . وموضعها الجغرافى جعلها كغيرها من البيئات التى تجاور شعوبا أخرى تختلف عنها ، تتشبث بانتمائها . . الى العروبة . ويعترف المؤلف ، وهو يكشف عن مقومات الحكايات الشعبية الكويتية بهذه الحقيقة ويقول : « فالبيئة العربية جغرافيا وتاريخيا ، كانت ـ ومازالت ـ مركز لقاء حضارى على مر العصور ، منذ أقدم حقب الزمان الى الآن ، سواء كان ذلك متمثلا فى حضارة الرافدين والنيل أو حضارة ديلمون واليمن . . أو حضارة فينيقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط أو حضارة جزيرة العرب والحضارة الاسلامية فى المغرب الكبير . . فقد ظلت تلك الحضارات فى تواصل ثقافى حى و تزواج بشرى ، بعضها مع بعض ، وبعضها مع غيرها من حضارات الهند وفارس واليونان ، وما انبثق عن تلك الحضارات من اشعاعات ثقافية وتتابع حضارى وتواصل ثقافى ، ظلت ذاكرة الشعوب تحفظها وتحافظ عليها » .

وتتسم الحكايات الشعبية فى العالم كله بغلبة الخيال على الواقع ، سواء أكان ذلك فى تتبع التاريخ ، أو تصور الطبيعة الجغرافية ، مع تنوع ظواهرها من بحار وسهول وجبال . ولعل البحر يعد من أبرز مقومات الخيال الشعبى فى الكويت ، ذلك لأن حياة الانسان على سطح البحر ، إنما يكتنفها الغموض وتصبح مجموعة من العجائب والغرائب . وتظل فيها ملامح أسطورية ، تعيش فى ذاكرته ، ويصدرعنها فى تصوراته ، وقد تتشابه فى آداب الشعوب ، على تباعد أوطانها ، وقد تنتقل من مكان الى آخر ، ويسجل المؤلف أن هذه التصورات لا تعتمد على تجارب الانسان الواقعية وإنما تعتمد كل الاعتماد على موروثه الثقافى ، وحسبنا أن نذكر شاهدين ، أولهما حكاية « البحار الغريق » وهى من أقدم الحكايات المصرية ، ومدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف ليننجراد . وثانيهما حكاية البحار الكويتى ، التى يذهب الرواة الى أنها حكاية واقعية حدثت بالفعل ، وكان لأبطالها وجود فى الواقع مثل أحداثها ، ومما يثبت أهمية الدراسة المقارنة ما نجده فى آداب الشعوب من أخيلة ، حفرت لها مكانا بارزا فى روائع الابداع الأدبى فى مجال القصص العالمية ، ففى المأثورات الشعبية موضوعات عديدة عن كائنات البحر ، سواء كانت من عرائس البحر التى نصفها من أعلى نصف حسناء ، ونصفها الأسفل سمكة أو غير ذلك من كائنات خرافية . كما تروى حكايات عن جنيات البحر وملكة البحور السبعة ، وعن عشق البحارة لجنيّات البحر ، وعشق جنيات البحر وملكة البحر للبحارة والصيادين » .

ويرى الكاتب الكبير الأستاذ حسين فوزى أن القصة البحرية هى « حكاية يصور المؤلف حدوثها فى داخل البحر أو فوق سطحه ، أو على سواحله وجزائره ، يكون البحر حاضرا فى ذهن المؤلف والقارىء وأشخاص القصة كلهم أو بعضهم ، وللبحر أثر واضح فى حوادثها وعلى أشخاصها » .

البحث عن طائر مفقود

وليست هذه المجموعة المنوعة والكثيرة من الحكايات الشعبية الا تركيزا لآفاق بعيدة ارتادها رحالة مغامرون ، ومن أهم المحاور التى لابد من

اكتشافها ، الاعراب عن الحياة عبر الزمان والمكان ، وهي الأسطورة والرمز والتشبيه ، عندما يواجه المرء العجب والاعجاب في وقت واحد . وفي الخيال الشعبي رموز للحيوانات ، التي تصور سلوك كل جنس منها كالسبع والنمر والذئب وكالنسور والعصافير . وفي الحكايات الشعبية والكويتية نجد تشخيص عالم الحيوان ، لكي يشارك في أحداث الحكايات ولكي يوجه الانسان التوجيه الأخلاقي المنشود ، ونجد في هذه الحكايات ما يشبه المناظرة ، وما يستهدف الاختبار في حياة الانسان . وهذه الظواهر موجودة عند كل الشعوب ، ويكفينا أن نذكر الأسفار الخمسة أو « البانجاتنترا » وكليلة ودمنة .

ولقد عرض صفوت كمال لهذه الظاهرة في دراسته المقارنة بين الحكايات الشعبية كما سجلها في الكويت ، وكما وازن بينها وبين ما اشتهر منها في الأدب العربي بخاصة . ولم يكتف المؤلف بالمصادر والرواة ، ولكنه أفاد أيضا ممن قضوا في الكويت فترة من الزمن وهو يسجل حكاية رواها له المرحوم الأستاذ زكي طليمات وكانت عن حكاية ديك . وانتهى الى أن هذه الحكايات الشعبية لها طابع انساني فان « علاقة الانسان بطائر أو حيوان تدور حولها حكايات كثيرة ، فهروب طائر أو غيابه هو عنصر موجود في أكثر من حكاية لأكثر من مجتمع . كما أن « البحث عن طائر مفقود » هو عنصر شائع أيضا في كثير من الحكايات التي تدور أحداثها حول الطيور . . كما أن الديك يقوم بدور أساسي في حكايات عديدة عالمية سواء في انقاذ أهل الدار بتنبيههم عن قدوم لص أو انقاذ الغنم من ذئب يسعى للهجوم عليها ، أو تنبيه قوم الى قدوم أعداء لهم ، وغير ذلك من عناصر يلعب فيها الديك دور البطولة » . ولم يفت مؤلف « الحكايات الشعبية الكويتية » أن يفيد من هذه الأصول الشرقية المتنوعة ، وأن يتعرف على الملامح ، التي تدل على هذه الأصول في التراث القصصي الكويتي .

وأكدت « الحكايات الشعبية الكويتية » أنها مثل مجموعة ألف ليلة وليلة لا تستهدف السمر ، ولا اجتذاب المستمعين لها بالغرابة والخروج على الواقع أو المعقول ، ولكنها تقصد أهدافا يتطلبها المجتمع . واستخلص المؤلف من دراسته التحليلية ما يمكن أن يصور « أنماطا من السلوك الاجتماعي للانسان » ... كما تقدم تلك الحكايات صوراً متنوعة من أنماط العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة ، سواء كان ذلك فيما ينشأ بين الأم (الحماة) وزوجة ابنها (الكنة) من أشكال الصراع النفسي والاجتماعي ، أو ما ينشأ بين الاخوة وبخاصة أخوات الزوج من الغيرة بينهن وبين زوجة الأخ . . أو ما يحدث بين الزوج وزوجته من سوء فهم نتيجة مكيدة تدبرها زوجاته الأخريات ، أو ما تزرعه امرأة عجوز في نفس الزوج من سوء ظن وشك بزوجته . . كما تحمل تلك الحكايات أيضا مضامين اجتماعية ترتبط بأحكام القيم التي تسود أنماط السلوك الاجتماعي والأخلاقي » .

وأدبنا المعاصر ينزع الى الحداثة ، وينظر الى تأثير الأدب الغربي في تحقيق هذه الغاية . ومن هنا نجد أن الكثيرين من النقاد ، عندما يعرضون لرواية أو قصة أو دراما تستهدف ظواهر أو مشكلات أجتماعية ، يتصورون أن ذلك إنما كان من تأثير الأدب الغربي ، مع أن تراثنا العربي يحفل بكل هذه القضايا . والتفت القليلون الى الأنماط الاجتماعية الشعبية ، فاستلهموها ، وكانوا بذلك يجمعون بين الأصالة ، من ناحية ، وبين الحداثة ، من ناحية أخرى .

الشطار

ويقول المؤلف ان هذه الحكايات تعتمد « في وجودها الفني والانساني على فعل الانسان نفسه ، وما يضمره من دوافع خلف هذا الفعل » .

وفي الحكايات الشعبية العربية ما يشخص الحيلة

والبراعة في تحقيق الهدف ، وعرفت هذه الحكايات بأنها تعرض لمن كانوا يعرفون باسم « الشطار » . وقد غلب هذا اللقب على كثيرين من الأبطال . واشتهر الكثيرون منهم في بغداد والقاهرة ومن النماذج التي تتماثل في حبكتها الفنية مع حكايات الشطار وخدعهم ، كما يقول صفوت كمال ، قصة « حرامي بغداد » و « الحماة والكنة » .

ومايزال للحكايات الشعبية هدف ايجابي وهو « العظة » لأنها كانت ، وماتزال ، من أهم الأجناس الأدبية في المأثور الشعبي . ونجد ذلك واضحا في الحكايات الشعبية الكويتية ، ويفرد لها الاستاذ صفوت كمال صفحات من كتابه . ويقرر ان « هذا النمط من القصص الوعظي ، الذي يعطي تصويرا للمقولات الدينية هو من أهم جوانب الحكايات الشعبية ، وكان له قصاصون متخصصون وقام بدور كبير في نشر التعاليم الدينية الاسلامية . . وقد ارتبط هذا الشكل من القصص أيضا بالوعظ ، فالواعظ هو القاص ، وكان لا يمكن تصور قصصي بغير وعظ ، حتى وان كان الوعظ مجرد تبرير للقاص ، كي يجمع الناس اليه ليقص عليهم » .

وهذه الدراسة ، التي سجلت جانبا من التراث الشعبي الكويتي ، عملت على التحليل الفني ، الذي كشف عن جانب مهم من جوانب النفسية الجماعية . ولقد عرض لظاهرة لها أهميتها في هذا الجنس الأدبي ، وهي أن معظم الحكايات الشعبية يعتمد على بطل واحد رئيسي ، حوله أو معه أبطال آخرون مساعدون له .

كما تتشكل أحداثها أيضا من أفعال هؤلاء الأبطال . . والابطال المساعدون في الحكايات الشعبية ، كغيرهم في الروائع العالمية المشهورة « قد يكونون من عالم الانسان أو من عالم الجان او عالم الحيوان . . . وقد تتحول عناصر الربط أو الأبطال المساعدون في بعض الحكايات الى عناصر أساسية والى أبطال أساسيين في حكايات جديدة تتداخل فيها عناصر ثانوية من حكاية أخرى » .

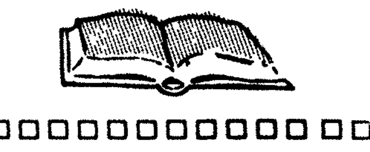
وهذا الجهد الكبير الذي قام به الاستاذ صفوت كمال في الجمع والتصنيف والدراسة المقارنة ، للحكايات الشعبية الكويتية لا يدل على الهواية والمثابرة وحدهما ، وانما يدل على التخصص الدقيق في مجال « الفولكلور » .

وليس يكفي أن نعرض له في مقال واحد ، لأنه يتطلب تأملا ، يستوعب المقومات الثقافية والاجتماعية والفنية ، لهذا الجنس الأدبي الحي المتطور . والمشكلة الاساسية التي أشار اليها المؤلف لابد من العناية بها في هذه المرحلة التي تحولت فيها الحياة الانسانية من التطور الى الطفرة وهذه المشكلة هي معاونة الشعب على تنقية تراثه من الشوائب ، ومن التشبث في الفكر بالخرافة وبما يثير السلوك بالانحراف عن مسايرة العصر . . ان الخروج على المعقول يجب أن يعني لمتلقي الحكاية الشعبية أنه مجرد أسلوب فني . يضاف الى هذا كله أن يدرك ما في الحكايات الشعبية من رموز تتجاوز الخيال . . ومنهج الدارس المتخصص للتراث الشعبي أن ينقب عن التراث وأن يسجله وأن يجمعه ، كما يفعل دارس الآثار ، لاستكمال البنية الثقافية للمجتمع ، وأن يقدمه للنقاد وللمبدعين الذين ينتخبون منه ما يستحق الاستلهام . □

---

* كل آمالي معقودة على أن أنسى الناس ، وأن ينساني الناس !

(شارلي شابلن)



مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : آثار الأندلس
المؤلف : طارق خالد الحجي
الناشر : دار المنار للنشر ـ الكويت
عدد الصفحات : ١٥٨
سنة النشر : ١٩٨٥

يضم هذا الكتاب الى جانب مادته الفنية والتاريخية عددا كبيرا من الصور لآثار العرب في أسبانيا .

ورغم أن عنوان الكتاب يوحي بالحديث عن الآثار التاريخية الموجودة في منطقة الاندلس ، جنوبي اسبانيا الا أن مادة الكتاب لاتنسى الآثار العربية والاسلامية الأخرى ، سواء في وسط وشمالي أسبانيا أو البرتغال .

ويقدم الكاتب عرضا لأهم مراحل التاريخ العربي حتى خروج العرب من الانـدلس ، ومعلومات مبسطة عن أهم المعالم الأثرية التي خلفوها .

■■

الكتاب : ساطع الحصري : رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي .
المؤلفة : تاتيانا تيخونوفا
الناشر : دار التقدم ـ موسكو
سنة النشر : ١٩٨٧

يتناول هذا الكتاب الصادر في الاتحاد السوفيتي باللغة العربية فكر المفكر القومي العربي الكبير ساطع الحصري وعمله ، وقد قامت الكاتبة بتأليفه ابتداء كأطروحة دكتوراة ، ثم نشرته ككتاب ، والكاتبة تعمل باحثة في معهد الاستشراق بموسكو .

وقد قدمت فكر ساطع الحصري (١٨٨٠ـ١٩٦٨) بمنهجية جديدة من منظور ما كان عليه الفكر الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي في بداية هذا القرن ، كما ناقشت في فصول أربعة حياة هذا المفكر العربي وأعماله ، ومقومات الأمة كما يراها ، ثم فصل رائع في الوحدة والقومية بين النظرية والتطبيق ، ثم زاوية ساطع الحصري التي سمتها المؤلفة الزاوية الجديدة في المجتمع والثقافة .

ولا شك أن هذا الكتاب ـ ان لم يكن بمادته فبمنهجه ـ يبحث زاوية جديدة غير مطروقة في فكر ساطع الحصري وعمله .

■■

الكتاب : محمود بيرم التونسي في تونس ـ مدخل عام لحياته وآثاره
المؤلف : حسناوي الزارعي
الناشر : على نفقة المؤلف (تونس)
عدد الصفحات : ١٦٠ صفحة
سنة النشر : ١٩٨٦

يبحث هذا الكتاب فترة مهمة من حياة محمود بيرم التونسي ، هي فترة اقامته الأولى في تونس من آب (أغسطس) الى كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ ، وفترة اقامته الثانية فيها من كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٣٢ الى نيسان (ابريل) ١٩٣٧ ، ويبحث في الفصل الثالث عناصر « بيوغرافية » في حياة بيرم

بتونس الثلاثينيات ، أما الفصل الرابع الذي يحمل عنوان « الانتاج البيرمي فكرا وفنا » فيقدم حصرا للصحف التي نشر فيها بيرم ، ولآثاره الابداعية ، وتحديدا شاملا للمصادر والمراجع التي تناولت سيرته ، أو جوانب من فنه ، ويحلل المؤلف البيئة الثقافية والسياسية التي عاش فيها بيرم خلال فترتي إقامته ، الأولى والثانية ، أي فترة ما بعد الحرب الأولى ، وفترة الثلاثينيات ، ليستخلص أن بيرم التونسي هو فنان ملتزم بقضايا واقعه الاجتماعي والسياسي التزاما لا حد له ، ولأنه كذلك فان الانطباع الذي يظل دائما عالقا بأذهاننا هو أن آثار هذا الفنان تكاد تكون مرآة صافية الصورة لعصره بكل أضوائه وظلاله ، ولشخصيته بكل تجلياتها وخفاياها » .

■■

الكتاب : نحو توازن بين السياحة والبيئة .
تأليف : أرتور هولو
ترجمة : عصام عسيران
الناشر : ادارة السياحة في وزارة الاعلام/ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٦
عدد الصفحات : ١٧١ من القطع الكبير

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية حصل بها المؤلف على شهادة الدكتوراة ، بعد خبرة طويلة حصلها خلال سنوات عمله الطويل في مجال السياحة في بلده بلجيكا .

وخلال بحثه عن توازن بين السياحة والبيئة يدخل المؤلف في نقاشات وسجالات مع السياحة لمفهومها التقليدي ، ويحاول أن يرسي « علما » ، أو على الأقل الماما منهجيا بعناصر السياحة ، لتخليصها من المفهوم التجاري النفعي الذي التصق بها ، ويستحضر المؤلف كذلك عددا من الأمثلة التي لبعضها صلة بوطننا العربي ، مما يجعل نقله الى العربية اضافة مهمة الى أدبيات السياحة التي تشكو من نقص في لغتنا العربية .

■■

الكتاب : لقَاح
المؤلف : رشيد بوجدرة
الناشر : مجلة آمال الجزائرية ـ الجزائر
سنة النشر : ١٩٨٦

رشيد بوجدرة روائي جزائري كبير معروف ، كتب رواياته باللغة الفرنسية ، ثم ترجمت الى اللغة العربية . وفي هذه المجموعة الشعرية التي تحمل عنوان « لقاح » ، والتي تضم ٤٧ قصيدة ينتقل بوجدرة من كتابة الرواية الى الشعر ، مؤكدا بذلك تمرسه بأساليب الكتابة ، وحذقه بأكثر من لون أدبي .

تحمل قصائد « لقاح » قيمة ابداعية متميزة ، فهي تنسجم مع الخط الواقعي النقدي الذي سار عليه في رواياته الناجحة ، لكنها تنفرد بأسلوبها الشاعري الصافي الذي يكشف عن شاعر كبير في ثوب ذلك الروائي الذي نعرفه

■■

الكتاب : خطوات في التيه ـ مجموعة قصصية
المؤلف : محمد زنيبر
الناشر : دار النشر المغربية ـ الرباط
عدد الصفحات : ١٣٢ صفحة
سنة النشر : ١٩٨٦

مؤلف هذا الكتاب روائي ، وقاص مغربي معروف ، صدرت له عدة أعمال ، أهمها مجموعته « الهواء الجديد » ، وهو أيضا مؤرخ ، كتب عدة أبحاث ودراسات تاريخية . يؤكد محمد زنيبر في هذه المجموعة التي تضم سبع قصص قصيرة انتماءه الى المدرسة الواقعية في الكتابة القصصية ، وهو يلتصق بالبيئة الشعبية وبالنماذج البشرية الفقيرة المثقلة بالقلق والأسئلة حول واقعها اليومي ومصيرها . □

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٤٢
مـايو ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 ـ الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٢ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يونيو ١٩٨٧

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٤٢

(الصحة والغذاء)

١ ـ يتردد ذكر الثريد في كتب الأدب العربي ، القديمة منها خاصة ، ترى ما المقصود بالثريد على وجه الدقة

* الحساء أو الشوربة
* فتة الخبز بالمرق
* فتة الخبز بالمرق ـ مع الارز

٢ ـ من المعروف أن تدخين السجاير قد يؤدي الى الاصابة باحدى مجموعتين من الامراض أو بكلتيهما مجموعة أمراض القلب ومجموعة أمراض السرطان ومن المعروف أيضا أن السجاير تحتوي على النكوتين والقطران ترى أي هاتين المادتين هي المسؤولة عن الاصابة بامراض القلب ، وأيهما المسؤولة عن الاصابة بامراض السرطان ؟

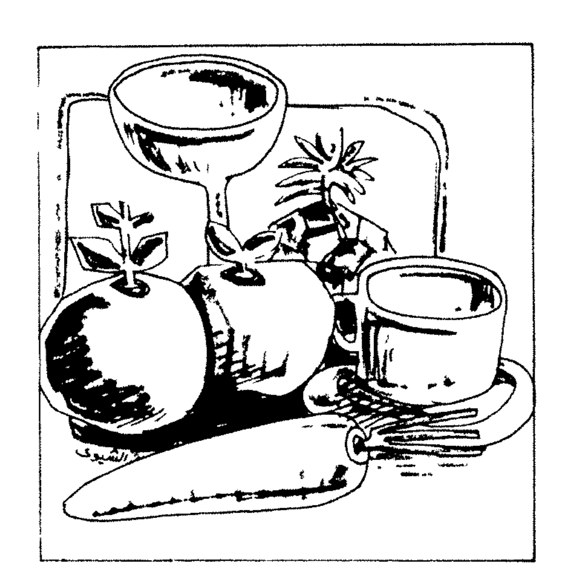
٣ ـ الليمون والجزر والبقدونس اي هذه الخضراوات هي الاغنى بالفيتامين أ وأيها الاغنى بفيتامين ج ، وأيها الاغنى بالحديد ؟

٤ ـ لم ـ ينصح الاطباء بأكل الجزر ؟

* لانه يشفى من آفة بعد النظر
* لانه يشفي من افة قرب النظر
* لانه يحسن القدرة على الرؤية في الظلام ، وقد يشفى مما يعرف بآفة عمى الليل

٥ ـ الخبز الأبيض والخبز الأسمر أيها يفوق الاخر من حيث فوائده الغذائية . ؟

* لا فرق بين الاثنين
* الخبز الابيض فهو خال من الشوائب



* الخبز الاسمر فهو يحتوى على مزيد من الفيتامينات والحديد والالياف الهاضمة

٦ - الحليب والجبن (الهولندي) . أيهما يحتوى على نحو خمسة اضعاف ما يحتويه الاخر من السعرات الحرارية ؟

٧ - بيض الدجاج والكستناء أيهما يحتوي على نحو خمسة أضعاف ما يحتويه الآخر من السعرات الحرارّية ؟

٨ - الشاي والقهوة . ايهما أكثر تنبيها ويحتوي على المزيد من المادة المنبهة (الكافيين) ؟

٩ - من المعروف أن الاسكيمو سكان اصقاع الشمال يكثرون من أكل لحوم الأسماك وشحومها ودهونها . . ولكنهم أقل الشعوب تعرضا للاصابة بأمراض القلب . . حسبما اثبتت البحوث العلمية الحديثة ترى ما السبب في ذلك ؟

* البرد القارس هو الذي يقيهم شر اللحوم والشحوم التي يأكلون

* الحركة . . فهم في حركة دائمة يبحثون عن الاسماك وحيوانات البحر

* شحوم الاسماك لا تضر كشحوم الماشية وحيوانات البر

١٠ - دلت الاحصائيات على أن سكان ولاية يوتا في الولايات المتحدة الامريكية اقل عرضة للاصابة بالسرطان من سكان سائر الولايات . لماذا ؟

* لانهم ذوو بني ضخمة وقوية ويتمتعون بمناعة فائقة

* لانهم يسكنون مناطق جبلية ذات جو نظيف وبعيد عن التلوث

* لانهم يمتنعون عن التدخين والكحول .

١١ - مالفائدة التي يجنيها الجسم من الفيتامينات ؟

* تسهم في بناء الانسجة

* تمد الجسم بالطاقة التي يحتاجها

* تساعد الجسم على اداء وظائفه بصورة فعالة

١٢ - كان الفالوذج من الوان الطعام المحببة الى الكثير من السلف الصالح ترى هل كان من الحلويات ام من الوان الطعام الدسمة ؟

حل مسابقة العدد ٣٣٩

١ ـ القارات ليست ثابتة بل إنها تتحرك ولو ببطء إذ لاتزيد سرعتها على سنتمترين في السنة كلها ، ومع ذلك فقد ترتب على تلك الحركة البطيئة أن انفصلت القارات الخمس بعضها عن بعض ، حتى أصبحت في الأماكن التي هي فيها حاليا وذلك في غضون ٢٠٠ مليون سنة حين كانت كتلة واحدة .

٢ ـ الزفت : مادة سوداء صلبة تسيلها السخونة ، تتخلف من تقطير المواد القطرانية

القطران : عصارة شجر الارز والابهل . . تطبخ ثم تطلى بها الابل . . . شديدة الاشتعال .

مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما بالتقطير الجاف ، وتستعمل لحفظ الخشب من التسوس ، والحديد من الصدأ .

القار : الزفت

٣ ـ كوكب الزهرة هو الأشد حرارة . . فغلافه الجوي يضاعف حرارته . على نحو ما تفعل البيوت الزجاجية او البلاستيكية التي يستعملها المزارعون على سطح الارض . وتبلغ درجة الحرارة على كوكب الزهرة حوالي ٤٧٥ درجة مئوية وهي كافية لاذابة بعض المعادن . . كالرصاص والقصدير والزنك .

٤ ـ لها يلهو لهوا ولهوا . . لها به : أولع .

لهي يلهى لها لهى عنه . . سلا عنه وغفل وأعرض .

٥ ـ الناشز هو برج بيزا المائل ، لأنه ليس من الصروح القديمة ولا من عجائب الدنيا السبع .

٦ ـ لا تستطيع أن ترى السماء بالعين المجردة أكثر من ٤٠٠٠ نجم ، ولو كانت الارض منبسطة لا كروية لتضاعف العدد ليصبح ٨٠٠٠ نجم ، أما بواسطة التلسكوب ، تلسكوب مرصد بالومار في كاليفورنيا مثلا ، ففي استطاعة العلماء ان يروا ويصوروا أكثر من ألف مليون نجم

٧ ـ جبل أوليمبوس هو أعلى جبل عرفه الانسان . . وهو يقع على سطح كوكب المريخ لا الكرة الارضية ولا كوكب الزهرة ، ويبلغ ارتفاع جبل أوليمبوس هذا نحو ٢٩٠٠٠ متر او مايعادل ٩٥٠٠٠ قدم . . اي أنه يبلغ ٣ أضعاف جبل افرست ارتفاعا .

٨ ـ أسم أرض النار أطلقه على الجزر التي تقع في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية المكتشف فرديناند مجلان سنة ١٥٢٠ ، فقد اتفق ان كانت النيران مشتعلة هنا وهناك فظنها مجلان نارا طبيعية او بركانية ، ولم يخطر بباله أن أهالي تلك البلد هم الذين أشعلوها . . لذلك سماها أرض النار . . هذا الاسم المضلل الذي لا يتفق وبرودة المنطقة الشديدة .

٩ ـ ٣٠,٠٠٠ قدم أو بالضبط ٢٦,٩٠٠ قدم اي بارتفاع

فبراير ١٩٨٧

جبل افرست تقريبا حيث شاهد المتسلقون الطيور هناك كذلك شاهد الطيارون الطيور على ارتفاع ٣٠,٠٠٠ قدم .

١٠ ـ من قصيدة للسـؤال في الفخر .

١١ ـ ثمر الخبز .

١٢ ـ الزهرة (وأوراقها الخضراء بالذات) هي أغنى المواد المذكورة بالحديد . فهي تحتوي على ٤٠ ملغراما منه ، بينما لايزيد مقدار الحديد الذي يحتويه الكبد على ١٠,٣ ملغرامات . . اما السبانخ فمقدار الحديد فيه اقل من ذلك باستثناء السبانخ الصيني الذي يحتوي على ٢٥,٥ ملغم حديد .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٩ فبراير ١٩٨٧

الجائزة الاولى : السيد / سامي بن صالح / صفاقس / الجمهورية التونسية

الجائزة الثانية : يوسف محمد عبد الله العامر / الرياض / المملكة العربية السعودية

الجائزة الثالثة : محمد مصطفى السمري / الابراهيمية / الاسكندرية / جمهورية مصر العربية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد ادريس السندي / الجامعة الاسلامية ارشاد العلوم / سند / باكستان

٢ ـ ليلى اومولِيد / الحي المحمدي / مراكش / المملكة المغربية

٣ ـ محمد علي ابراهيم / الخرطوم / ادارة المحاكم المدنية / السودان

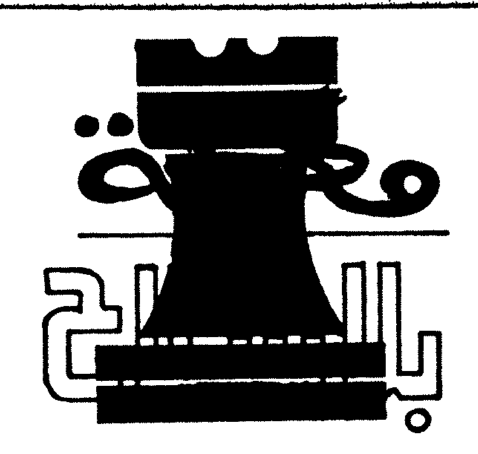
٤ ـ نبيل تللو / دمشق / الجمهورية العربية السورية

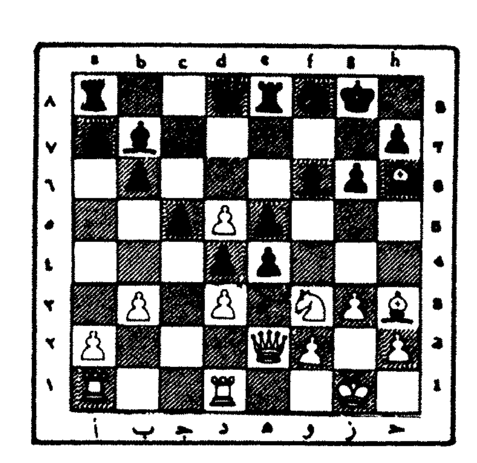
٥ ـ عبد السلام علي صالح / محافظة الانبار / الجمهورية العراقية

٦ ـ جميلة احمد السيلاوي / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية

٧ ـ نجاة بدر محمد البيلي / الرميثية / دولة الكويت

٨ ـ مريم محمد آل بن علي / الحد / دولة البحرين





بلغ عدد الدول العربية المشاركة في أولمبياد الشطرنج السابع والعشرين المقام في دبي ست عشرة دولة ، وقد أثبتت الدول العربية وجودها بجدارة في هذا المهرجان الدولي الهام .

وقد احتلت العراق المركز الأول بين الدول العربية برصيد ٣٠ نقطة ، وكان ترتيبها الحادية والثلاثين بين دول العالم البالغة ١٠٧ دول ، وفي المرتبة الخامسة بين الدول العربية .

واحتلت مصر المركز الثاني بين الدول العربية برصيد (٢٩,٥ نقطة) وقد كانت تحتل المرتبة الثالثة بين الدول العربية في الاولمبياد السابق ، وجاءت لبنان وتونس في المرتبة الثالثة (٢٩ نقطة) ، وسوريا والمغرب واليمن الجنوبي وفلسطين في المرتبة الخامسة (٢٧,٥ نقطة) ، والأردن في المرتبة التاسعة (٢٧ نقطة) ، وتليها الإمارات العربية المتحدة (٢٦,٥ نقطة) ثم الجزائر وليبيا والبحرين (٢٦ نقطة) ، فاليمن الشمالي فالسودان ، وجاءت قطر في المرتبة الأخيرة بين الدول العربية (٢٣ نقطة) واحتلت المرتبة ٩٩ بين دول العالم

أما ترتيب الفرق العربية للسيدات بين الفرق التسع والأربعين المشاركة في المهرجان فقد جاءت الإمارات العربية في المرتبة الأولى بين الدول العربية (٢٠,٥) نقطة،وفي المرتبة التاسعة والعشرين بين دول العالم ، وفي المرتبة الثانية العراق (٢٠ نقطة) وفي المرتبة الثالثة سوريا (١٩,٥ نقطة)

ومن الأبطال العرب الذين حققوا انتصارات مشرّفة على أبطال دوليين يفوقونهم في المرتبة والتصنيف الدوليين الاستاذ الدولي التونسي سليم أبو عزيز (٢٣٨٠ نقطة) الذي تغلّب على الاستاذ البرازيلي الكبير خاميه سونييه (٢٥١٥ نقطة) ، والاستاذ الاتحادي السوري عزت قصبة (٢٢٨٥ نقطة) الذي هزم الاستاذ الدولي الصيني جي ليبانغ (٢٤٢٥ نقطة) كما سنرى في الدور التالي

□ عزت قصبة	■ جي ليبانغ
٢٢ - د × هـ ٤	ف - ز ٧
٢٣ - ف - ز ٥	ف - و ٦
٢٤ - ف - حـ ٦	ف - ز ٧
٢٥ - ف - ز ٥	و - جـ ٧
٢٦ - ر (أ) - جـ ١	ف - جـ ٨
٢٧ - ف × جـ ٨	ر (أ) × حـ ٨
٢٨ - ح - هـ ١	و - ب ٧
٢٩ - ح - د ٣	ح - د ٧

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٣٩ فبراير ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ محمد فكري ـ ح م ع
٢ ـ حسن محمد عمر ـ ليبيا
٣ ـ بلال أبوخضير ـ الامارات
٤ ـ فوزية العمران ـ السعودية
٥ ـ سليم عمر الرقم ـ القيطرة / المغرب

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ محمد إمام ـ الصماة / الكويت
٢ ـ عمر البارودي ـ مكيبو / الدنمرك
٣ ـ فراس فياص ـ معان / الاردن
٤ ـ محمد أيمن نصري ـ دمشق / سوريا
٥ ـ حسن ابراهيم محمد ـ الحيره / ح م ع

---

٣٠ ـ ر ـ حـ ٢	ب ٥
٣١ ـ ر (د) ـ حـ ١	ف ـ و ٨
٣٢ ـ ح ـ ب ٢	أ ٦
٣٣ ـ ف ـ د ٢	ف ـ د ٦
٣٤ ـ حـ ٤	ح ـ ب ٦
٣٥ ـ أ ٤	ح ـ د ٧
٣٦ ـ أ × ب ٥	أ × ب ٥
٣٧ ـ حـ ٥	ر ـ أ ٨
٣٨ ـ حـ × ر ٦	حـ × ر ٦
٣٩ ـ و ـ ر ٤	م ـ ر ٧
٤٠ ـ ف ـ ر ٥	ر ـ أ ٣
٤١ ـ و ـ حـ ٣	ح ـ و ٨
٤٢ ـ ح ـ د ٣	حـ ٤
٤٣ ـ ب × حـ ٤	ر × د ٣
٤٤ ـ حـ ٥	ف ـ ب ٨
٤٥ ـ حـ ٦	و ـ حـ ٨
٤٦ ـ و ـ حـ ٦+	م ـ و ٧
٤٧ ـ حـ ٧	ف ـ أ ٧
٤٨ ـ ر ـ حـ ٦	ر ـ و ٣
٤٩ ـ ر × ز ٧	يستسلم

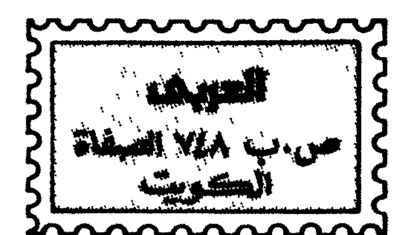
لو أحد بالحصان لمات في نقلتين

مسألة العدد
مات ٢

مهداة — عزام درويش (سوريا)

حل مسألة عدد مارس ٨٧
(العدد ٣٤٠)

١ ـ ر × أ ٧+	ف × أ ٧
٢ ـ ر × أ ٧+	ح × أ ٧
٣ ـ و ـ ب ٨+	ر × ب ٨
٤ ـ ح ـ حـ ٧ مات	



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

صفحات جديدة لحوار القراء

عزيزي القارىء

لعلك لاحظت منذ بداية العام الجديد (١٩٨٧) أن باب «حوار القراء» قد أصبح أربع صفحات بشكل دائم ، بعد أن كان يتراوح بين ثلاث وأربع صفحات في حركة مد وجزر مع صفحات الاعلانات .

وسوف تلاحظ ابتداء من هذا العدد (مايو سنة ١٩٨٧) زيادة جديدة في صفحات هذا الباب ، لانريد أن نحددها سلفا بشكل نهائي ، حتى يبقى الباب مفتوحا ، لك ولنا ، مرتبطا بجهدك وجهدنا .

إن الفضل في هذه الزيادة يرجع إليك أنت إذ ليس من الممكن أمام تطور إسهامك في الحوار الجاد مع مجلتك أن يبقى الباب محدود الصفحات ، وأن تطول المسافة الزمنية أكثر بين المادة المنشورة والحوار الذي يدور حولها .

كان لابد أن نلتقي معك في منتصف الطريق ، وأن نستجيب - في الوقت ذاته - لايقاع العصر الذي نعيش فيه ، فنحن نعيش في عصر ثورة المعلومات ، ونتطلع إلى آفاق جديدة لمفهوم الديمقراطية ، فلم يعد الكاتب إنسانا من نوع خاص ، يجلس في برج عاجي ، ويرسل بفيض إلهامه إلى القراء ، حيث لايملكون سوى دور المتلقي أو المتقبل .

إن الكاتب - كما قال (سارتر) في منتصف هذا القرن - هو صورة قارئه ، ولا نبالغ إذا عممنا هذا القول على السياسي ، والمفكر ، ورجل الدولة ، والفنان .

فلم يعد دور المجلة الثقافية مقصوراً على تقريب المسافة بين الكاتب والقارىء العادي فحسب ، بل تقريبها كذلك بين ذوي التخصصات المختلفة من المثقفين ، بين الطبيب والمعلم والمهندس والزراعي والتقني ، فمن ضمن معاني الثقافة تنمية القدر المشترك بين كل هؤلاء .

والمتابع لما ينشر في حوار القراء يمكن أن يلاحظ إلى أي مدى يجري تفاعل إيجابي بين كل هذه العناصر وبينهم ، وبين كتاب المجلة ومحرريها .

وحين يكتب الكاتب وهو يعيش عمق هذا التفاعل فإن النتيجة الحتمية هي ارتقاء الكاتب والقارىء والمجلة جميعا .

رسالة من الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

● الأخ الفاضل / الدكتور محمد الرميحي المحترم

تحية أخوية

أهدي لك أحر التحيات .

وصلني العدد الأخير من مجلة العربي (فبراير ١٩٨٧) ، وعكفت على قراءته ، فوجدته حافلا بالبحوث والمعلومات والأخبار ، وقد شدني هذا العدد ، وشعرت بزهو عظيم وأنا أقلب صفحاته ، فلقد احتل مستوى رفيعا في عالم المجلات ، واستطعت أيها الأخ العزيز أن تنقل العربي إلى صحوة نوعية ، ستبقى محل اعتزاز القارىء العربي بك أولا ، وبمن يعاونك في إخراجها بهذه الحالة المتقدمة ، فبوركت جهودك . وثق أنني فخور بك ، وأقسم لك أنك أرجعت للعربي مكانتها ، بل وزدت عليها ، فلا يخسر قارئها وقتا يعطيه لها ، بل يخرج وهو جذل مما قرأ ، ماذا أقول لك أيها الأخ الكريم وأنت تنهض بهذه المجلة ، بهذه الطريقة ، في هذا الزمن الصعب الذي تردت فيه الثقافات ، وتدهورت منه الدوريات ، ورخصت فيه قضايا الأمة ، إني أهنئك من كل قلبي ، وباسم المؤرخين أشد على يدك داعيا من الله أن يحفظك ذخرا للكويت والعروبة والاسلام ، فلقد أثبتت الأيام أنك مخلص نقي طيب . حياك الله وحفظك ورعاك ودمت ذخرا للمثقفين .

الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد

العربي

ـ لانملك حيال هذه المشاعر الطيبة ، والسند المعنوي الكبير الذي يقدمه الأخ الكريم الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب لمجلة « العربي » وللعاملين فيها إلا أن نشعر بعمق المسئولية التي تضعها على عواتقنا مثل هذه المشاعر الكريمة ، فنواصل الطريق آملين أن نكون دائما عند هذه الثقة الغالية التي ستبقى من أجمل وأنبل دوافعنا للاستمرار والعمل .

قضية التعريب : الوجه الآخر

● وصلتنا رسالتان ، الأولى من السيد محمد بشار حاج قدور ، بكلية الطب البشري بجامعة حلب والثانية من السيد خليل بحري ، مدرس بتزنيب ، في المغرب ، ومما جاء في الرسالة الأولى : « لندع العواطف جانبا ، ونفكر بواقعية ، فالتعريب في ضوء ظروفنا الراهنة سوف يؤثر سلبا على مستوى العلم في بلادنا ، ولسنا من الذين يتهمون اللغة العربية بالقصور والعجز ، بل بالعكس فإننا نثق في قدرة اللغة العربية على استيعاب التقنية الحديثة ، لكن المشكلة في ضوء الواقع الراهن تكمن في فقر مكتبتنا العربية في المراجع العلمية المترجمة ، فمدرس المادة في الكلية يقوم بترجمة حرفية لأحد المصادر الأجنبية في مادته ، أو يلجأ لتأليف كتاب معتمدا على خبرته واطلاعه وأحيانا تأتي تلك الكتب ناقصة ، أو تختلف ترجمة المصطلحات بينها ، مما يؤدي إلى بلبلة لدى الطلاب ، فتظهر ضرورة الاستعانة ببعض المراجع الأجنبية .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

ومما جاء في الرسالة الثانية :

« أين الطريق لطالب درس العلوم أو الطب باللغة العربية إذا ما أراد إكمال تخصصه ؟

صحيح أن هناك جامعات بها فروع عربية في إطار الدراسات العليا ، لكن هناك جامعات أخرى لا تضم مثل هذه التخصصات في أقسام الدراسات العليا ، ويطرح بعضهم الترجمة كحل ، لكن المتابع للكتب العلمية يدرك القصور الواضح في ترجمة كثير من الكتب الهامة الحديثة التي صدرت في مختلف المجالات العلمية ، وبخاصة الطبية منها . وهناك صعوبات حقيقية في ترجمة الكتب العلمية ، من أهمها عدم وضع المصطلحات العلمية المناسبة وعدم توافرها ، وعدم وجود تنسيق بين جهود المجامع العلمية العربية في وضع مثل هذه المصطلحات ، وعدم تشجيع الحكومات العربية لمثل هذا النوع من الترجمة ، إذن ليس عيبا أن ندرس العلوم بلغات أجنبية ، وبخاصة أننا نعرف أن الدول التي نقرأ هذه العلوم بلغاتها ترصد ملايين الدولارات لتطوير البحوث العلمية ـ الأمر الذي لانقدر على مثله في بلادنا ـ وبذلك يتاح لنا أن نتابع التطور العلمي في الخارج بدلا من أن نبقى بعيدين عنه ونبقى في الوقت ذاته عاجزين عن تحقيق مثله في بلادنا .

العربي

ـ لشعورنا بأهمية هذه القضية وخطورتها فقد أجرت « العربي » مناقشة جديدة حول هذه التساؤلات المطروحة في رسالتي القارئين العزيزين ، وغيرهما ، مع عدد من الاساتذة في جامعة دمشق ، وهي الجامعة التي تتبنى بقوة قضية التعريب ، وسينشر إن شاء الله هذا الحوار في عدد قادم من مجلة « العربي » ، ونرجو أن يجد القراء في نتائجه مايؤدي إلى الاقتراب من رؤية واضحة وموضوعية لهذه القضية ، فالعلوم في معظم أقطار العالم تدرس باللغة القومية السائدة في هذا القطر أو ذاك ، وعلينا أن نعمل لحل تلك الصعوبات لا أن نتخذ منها مبررات للاستمرار في غير الطريق الطبيعي .

أفران الغاز حقيقة أم أسطورة ؟

● في العدد ٣٣٩ من مجلة « العربي » الصادر فى فبراير ١٩٨٧ لفت نظرى مقال بعنوان « هل أفران الغاز النازية حقيقة مرعبة أم أكذوبة صهيونية » نشر في منتدى « العربي » بقلم منذر الأسعد ، وحين بدأت في قراءته شعرت أنه سبق لي أن طالعت مثل هذا الموضوع ، وللتأكد من صحة هذا الشعور سارعت بالبحث في مكتبتي ، فعثرت في العدد ٧٠ من مجلة « الدوحة » الصادر في اكتوبر ١٩٨١ في ركن « قضية الشهر » وتحت عنوان « رئيس المحاكمة التي هزت فرنسا » بقلم عبود عطية وعناوين جانبية منها : « عالم فرنسي يكشف أكاذيب الصهيونية » ، « وغرف الغاز أكذوبة تاريخية لا أساس لها من الصحة » .

وحين بدأت أعيد قراءة الموضوع لاحظت تشابها كبيرا في المحتوى ، بل حتى في بعض المفردات ، لكن هناك اختلافا في ترتيب المعلومات ، وطريقة معالجتها ، كما أن مانشرته « الدوحة » كان أكثر شمولا ، فالمقال عبارة عن رسالة من باريس ، ومتابعة حقيقية لمحاكمة البروفيسور الفرنسي « روبير فوريسون » ، وتطور القضية عبر الصحافة العالمية .

إنه يبدو لي أن كاتب المقال في مجلة « العربي » قد اطلع على ماصدر في مجلة « الدوحة » ، أو بعض ما كتب في الصحافة اللبنانية سنة ١٩٨١ ، ولا أدري لماذا انتظر مرور أكثر من خمس سنوات على تلك القضية ليتحدث عنها ، إن إعادة طرح الموضوع أمرمهم جدا ، وبخاصة أنه قد شمله تقييم إعلامي غريب لم يجد الصدى المناسب في الوطن العربي ، وقد كان الأجدر بالسيد منذر الأسعد أن يشير إلى المصادر التي اعتمدها ، ويضيف ما يمكن أن يكون قد ظهر بعد ذلك من معلومات جديدة عقب الضجة التي أثارتها محاكمة (فوريسون) سنة ١٩٨١ .

مصطفى بن علي الغربيي

صفاقس - تونس

العربي

- بالرجوع إلى مجلة « الدوحة » تبين لنا أن ما أشار إليه القاريء الكريم من وجود تشابه كبير بين الموضوعين صحيح في جملته مع وجود اختلاف واضح في طريقة التناول ، وبعض التفاصيل ، على أنه من المحتمل أن يكون الاستاذ منذر الأسعد قد اعتمد على كل المصادر التي استند إليها الاستاذ عبود عطية أو على بعضها وتبقى ملاحظة القاريء الهامة التي مفادها أنه كان من المفيد أن يضيف السيد منذر الأسعد ما يمكن أن يكون قد وجد بعد هذه القضية المثيرة من معلومات قد تناثرت بعد مرور حوالي خمس سنوات على هذه المحاكمة .

حول الصحراء المغربية
خطأ غير مقصود

● رسائل عديدة وصلتنا من إخوة أعزاء في المملكة المغربية الشقيقة ، تعلق كلها على ماورد في خريطة العالم الاسلامي - وهي هدية العدد الممتاز ٣٣٨ يناير سنة ١٩٨٧ - لورود اسم « الصحراء المغربية » ضمن أقطار إفريقية ذات سيادة ، ونختار من بين هذه الرسائل رسالة السيد المحترم عبدالله الحريزي المدير العام للشركة الشريفية للتوزيع والصحف بالدار البيضاء بالمملكة المغربية ، لأنها - فضلا عن إشارتها إلى ما ورد في الخريطة - أشارات أيضا إلى ما وردفي العدد ٣٣٧ (في الصفحة ١٨١ في السؤال ١١ في المسابقة الثقافية) من تسمية الصحراء المغربية - وهي من أقاليم المغرب - باسم الصحراء الاسبانية .

ونود أن نوضح بعض الملابسات التي شابت ورود هذه التسمية بهذه الصورة ، ليس في مجال التبرير ، بل في مجال الاعتذار عن خطأ غير مقصود ، نأسف له ، وحتى تفهم الأمور في حجمها الطبيعي .

فبالنسبة لما ورد في الخريطة نود أن نشير إلى أن الخريطة لم تذكر البلدان أو المناطق التي يعيش فيها المسلمون باعتبارها دولا ذات سيادة ، بل بوصفها أقاليم ووحدات « ديموغرافية » ، لمعرفة أعداد المسلمين فيها ، بدليل أننا ذكرنا ضمن تلك المناطق « الضفة الغربية » «وغزة»، وهي مناطق محتلة كما هو معروف .

وبالنسبة لماورد في المسابقة ، فقد جاء في إطار الاشارة إلى مشروع شهدته الصحراء المغربية في مطلع السبعينيات ، حينما كانت هذه الصحراء تحت نير الاستعمار الاسباني ، أي قبل المسيرة المباركة ، هكذا كان اجتهاد المحرر ، وهو اجتهاد قد يخطيء وقد يصيب .

وكما أسلفنا فنحن لانقدم تبريرا ، لكننا نأمل أن يجد القراء العاتبون في هذا التوضيح ما يدل على حسن النية ، فالعربي التي من أعز أهدافها خدمة مشروع الوحدة العربية المأمولة لايمكن أن تقصد إلى شيء يكون ضداً للوحدة الوطنية أو للقومية ، وإذا كان ثمة خطأ فهو خطأ من يجتهد فيدرك التوفيق أو يجانبه ، والكمال لله وحده ونحن شاكرون لكل من كتب حول هذا الموضوع متابعته الكريمة .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

جهود في تعريب الطب

● نشرتم في باب « حوار القراء » حديثا عن تعريب الطب ، وبدايته ، وأود أن ألفت النظر إلى أنني أول من قام بتعريب الطب ، وذلك على النحو التالي :

« قمت بتعريب كتاب « التشريح العملي كننجهام » بأجزائه الثلاثة ، وهو كتاب عالمي ، يدرس بالسنتين الأولى والثانية بكليات الطب ، وقد ظهر الجزء الأول منه عام ١٩٦١ ، والجزء الثاني عام ١٩٦٢ ، والجزء الثالث عام ١٩٦٥ ، وهو بالألوان الطبيعية وقد قامت بنشره مكتبة النهضة المصرية ، وقمت بعمل « قاموس خليفة الطبي » (انجليزي - عربي) ، وقد صدر عام ١٩٧٧ عن الهيئة العامة للكتاب ، ويحتوي على جميع المصطلحات الطبية العالمية باللغة العربية ، وهو بذلك يسبق أي إعداد آخر لتلك المصطلحات الطبية ، وقمت كذلك بعمل « قاموس خليفة التشريحي » وقد صدر أيضا عن الهيئة العامة للكتاب (انجليزي - عربي) ، ويحتوي على جميع المصطلحات التشريحية لجسم الانسان كله باللغة العربية .

وقد كرمتني الدولة لهذه الجهود التي وضعت أول أساس لدراسة الطب باللغة العربية ، فمنحتني وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، في يوم الطبيب عام ١٩٨١ ، ويتبين من هذا أن تعريب الطب قد بدأ منذ أكثر من عشرين عاما في مصر ، وأني أول من سبق إلى تعريب الطب ، ومراجعه العالمية ، ولعل هناك كثيرين لايعلمون بذلك ، ولهذا فإني أضع الحقيقة أمامكم ، ليأخذ كل ذي حق حقه ، مع التحية .

د . حسين خليفة / جراح
مصر الجديدة - القاهرة

العربي

- ننشر هذه الرسالة لأنها تشير إلى جهود قام بها عالم فاضل وجراح ، في ميدان تعريب الطب ، أما مسألة أسبقية جهوده في هذا الميدان فهو يقدم فيها وجهة نظره ، وهذا حقه ، وإن كنا نعلم أن لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، ولغيره من المجامع في الأقطار العربية جهودا سابقة بوضع بدايات لمعاجم متخصصة في مختلف العلوم ، وخصوصا في الطب ، ومايزال العمل في هذه المعاجم قائما ، يلاحق التطور ، وربما كانت هذه المعاجم لاتنشر بالشكل المطلوب على كل حال تَبقى مسألة الأسبقية مطروحة ، وقد يملك غيرنا من وسائل القطع في هذه المسألة مالانملكه أثناء كتابة هذه السطور .

دول الكومنولث

● اسمحوا لي أن أسألكم عن منظمة الكومنولث ، ماهي ؟ وما الدول التي تنخرط فيها ؟ وماذا يربط بين هذه الدول ؟ إلخ .

هاني صيرفي
سوريا - حلب

العربي

- دول الكومنولث هي مجموعة دول تدخل مع بريطانيا في نوع من العلاقة القائمة على درجة من التنسيق بين هذه الدول وبين بريطانيا ، وخصوصا في السياسة الخارجية ، **ومن هذه الدول** : المملكة المتحدة ، وكندا واستراليا ، ونيوزيلنده ، واتحاد جنوب افريقية ، والهند ، وباكستان ، وسيلان ، واتحاد روديسيا ونيسالاند الفيدرالي .

والعلاقة بين هذه الدول لاتنفي أن كل واحدة منها تحكم نفسها حكما ذاتيا تاما أو جزئيا □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مايو ١٩٨٧ م

الفكر التربوي العربي الحديث

تأليف : د. سعيد إسماعيل علي

الكتاب ١١٣

٥٠٠ فلس

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٢ أول مايو ١٩٨٧

رحلة النهار الطويلة خلال الليل

تأليف : يوجين اونيل - ٤
ترجمة : عامر الزهير
مراجعة وتقديم : د. شوقي السكري